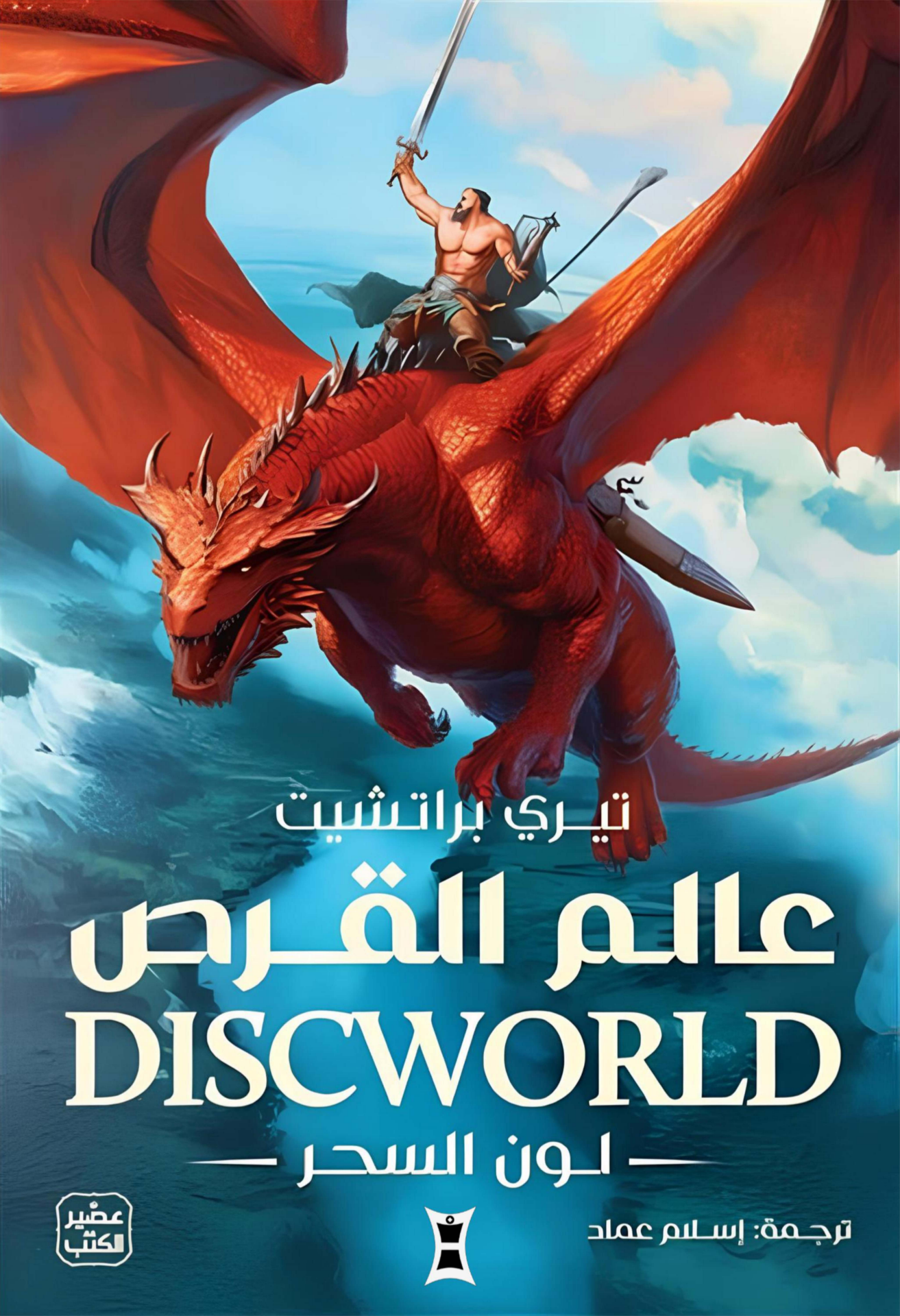

تيري براتشيت

# عالم القرص
# DISCWORLD

## لون السحر

ترجمة: إسلام عماد

عصير الكتب

# عالم القرص
# DISCWORLD

## لون السحر

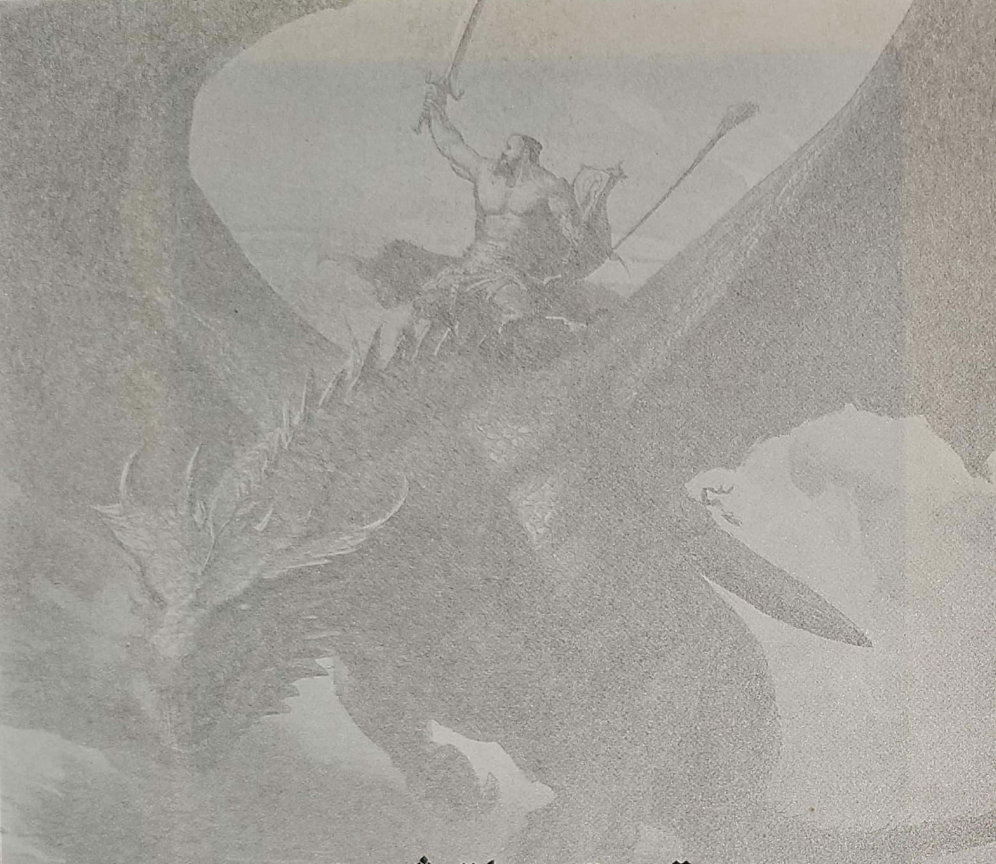

تيري براتشيت

# عالم القرص
# DISCWORLD

## لون السحر

ترجمة: إسلام عماد

عصير الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Colour of Magic
- العنوان العربي: لون السحر
- تأليف: تيري براتشيت
- ترجمة: إسلام عماد
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/2025م
- رقم الإيداع: 2024/26394م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-445-8

- حقوق النشر:

Copyright © Terry Pratchett 1983
Discworld® is a trade mark registered by Terry Pratchett The right of Terry Pratchett to be identified as the author of this work has been asserted by him in accordance with the Copyright, Designs and Patents Act 1988.
First published in Great Britain in 1983 by Colin Smythe Ltd

- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب»
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

عالم القرص
أول خريطة دقيقة للعالم،
نتيجة بحث مكثف
من قبل فريقنا الماهر
من المساحين،
مرسومة ببراعة
من قبل خرفيين مهرة
من الأقزام.
استنادًا إلى
روايات
عالم القرص
تأليف
تيري برانشيت
أرض الضباب؟
الخليج الكبير
أراضي مجهولة
كو
جزيرة بوري
محيط
عكس الدوران
خليج تاتسجورد
سهوب
أرض العركز
سهول الدوامة
جبل
كوري سيلي
جبال رامتوك
جبال بلايد
جبال
عطفة الترول
جبال رامتو
نهر فيو
جنوا
كيسا
بحر المستنقع
أويرفالد
يوروجيا مايا
نهر
سمارل
جبال كارال
غابة سكونة
سهول
عنق مورتوري
جبال
مورتوري
ليشب
استاريا
أومنيا
بنيريك
أوكتيسيان
سهالي
ماتحاليتس
كلاتش
كلاتش سبال
موتقاب
فارفيري
غات
سهول
خانابي
خليج تيزوما
سومطن
الإمبراطورية
إيروهان
بحيرة
صيصلية الثيف
الكبرى
تيس
سيلندي
رأس الرعب
خليج
الصقر
الأعلى
خليج
بريدسي
بريدسي
أرخبيل
بريدسي
خليج
بلتي
عطفة بريدسي

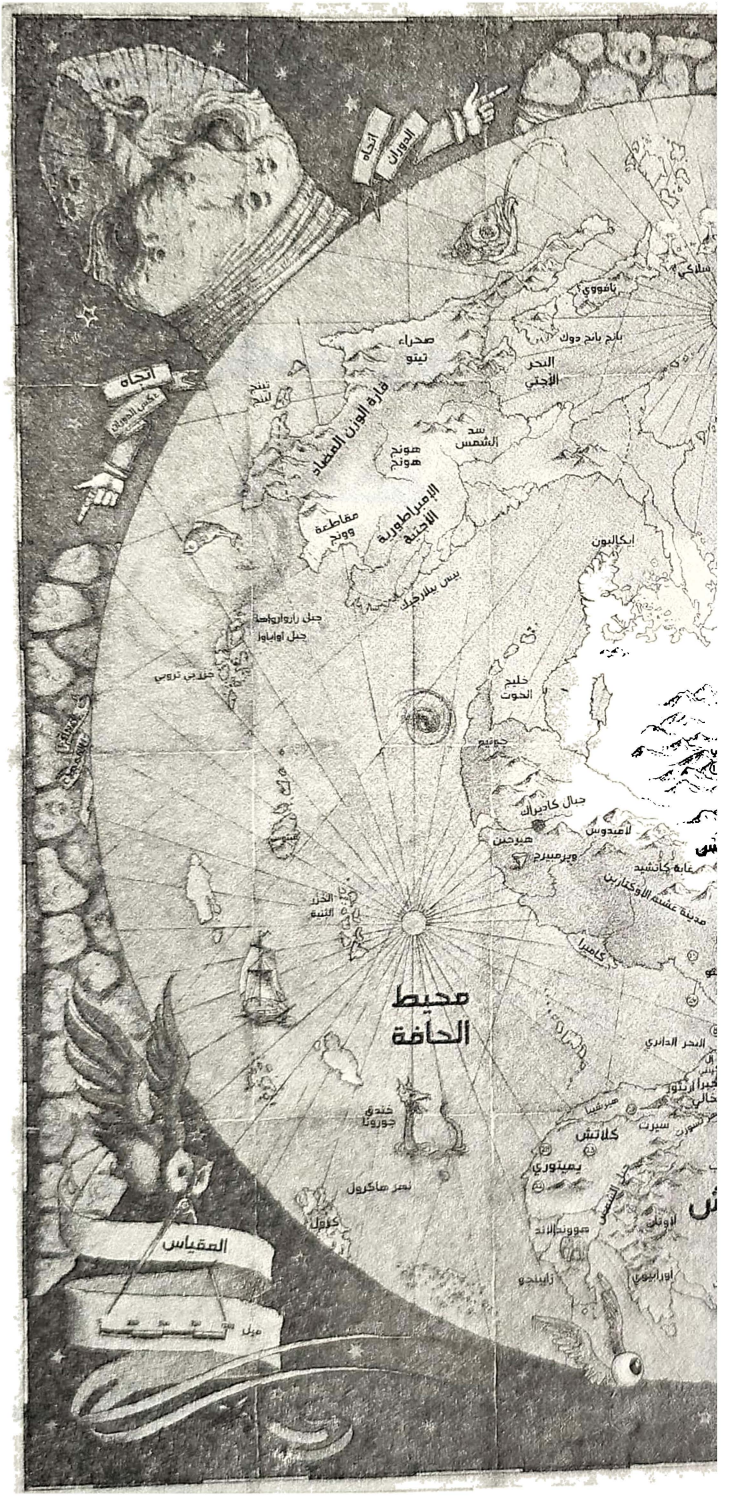
اتجاه
الدوران
اتجاه
عكس الدوران
صحراء
تيتو
البحر
الأجنبي
سد
الشمس
هونج
هونج
قارة الوان العصاد
الإمبراطورية
الأجنبة
مقاطعة
وونج
بس بيلاكيد
جبل رازوارواحة
جبل أواياوا
جنوب تروس
خليج
الحوت
جوبيع
جبال كاجيراك
لأميدوس
هيرجين
ويرميرم
غابة كاشيد
مدينة عشية الأوكارينا
الخلد
الثنية
كاميرا
محيط
الحافة
البحر الداخلي
كيرا ارتيو
خالي
سيرت
كلاتش
عرعيا
يمينوري
كندي
جوروبا
نهر صاكرول
كرول
صوونج الأدنى
لاونلي
زابيجو
أوراليوي
المقياس
ميل

# تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:
# أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

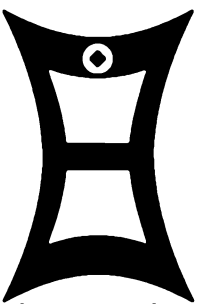

امسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

# لون السحر

## مقدمة

في مجموعة أبعاد نائية مُستهلَكة، وفي مستوى نجمي لم يكن من المفترض أن يوجد قطٌّ، تتمايل وتتباعد سُحُب غبار النجوم المتلألئة...

انظر...

ها قد أتى الغيلم آتوين العظيم، سابحًا ببطء خلال الخليج النجمي، وقد تجمَّد الهيدروچين على أطرافه الثقيلة، وانتشرتْ فوهات النيازك على صدفته الضخمة العتيقة. ينظر بثبات نحو وجهته بأعينه الضخمة كالبِحار، والمغطاة بالقشور وغبار الكويكبات.

وداخل عقله الأكبر من مدينة، وببطء چيولوچي، لا يفكر إلا في الوزن.

يعود معظم الوزن طبعًا إلى بيريليا، وتوبول، وتفون العظيم، وچيراكين، الأفيال الأربعة العملاقة التي يستقر قرص العالم على أكتافها العريضة المدبوغة بوهج النجوم، ويكلله الشلال الطويل عند محيطه الواسع فيما تعلوه قبة السماء ذات اللون الأزرق الزاهي. وقد عجز علم النفس الفلكي حتى الآن عن تحديد ما تفكر فيه تلك الأفيال.

كان الغيلم العظيم مجرد فرضية، إلى أن جاء اليوم الذي بَنَتْ فيه مملكة كرول الصغيرة السرية -التي تمتد أغلب جبالها على الحافة وتبرز منها- نظامًا من الروافع والبكرات على طرف الجرف الأكثر انحدارًا، وأنزلت عدة مراقبين فوق الحافة في مَرْكَبة نُحاسية ذات نوافذ من الكوارتز للنظر خلال حُجُب الضباب.

تمكَّن علماء الحيوانات الفلكية الأوائل -الذين سحبتهم إلى أعلى من أحبالهم المُدلَّاة فرق هائلة من العبيد- من جلب معلومات كثيرة عن شكل وطبيعة آتوين والفيلة، لكن لم يُجِبْ هذا عن الأسئلة الأساسية عن طبيعة الكون وغايته.

فمثلًا، ما الجنس الحقيقي لآتوين؟ هذا السؤال الحيوي -كما قال علماء الحيوانات الفلكية بسُلطة متزايدة- لن يُجاب إلى أن تُبنى رافعة أكبر وأقوى لتحمل مَرْكَبة تسبر أعماق الفضاء. أما في الوقت الحالي، فلم يمكنهم سوى التكهُّن حول الكون المُكتشَف.

فمثلًا، هُناك نظرية شاعت بين الأكاديميين، تفيد بأن آتوين قد أتى من العدم وسيواصل زحفه المنتظم، أو مشيه الثابت، إلى العدم، إلى الأبد.

وهُناك نظرية أخرى، مُفضَّلة لدى ذوي الميول الدينية، هي أن آتوين زحف من مكان الولادة إلى ميقات التزاوج، كما تفعل جميع النجوم في السماء التي -طبعًا- تحملها سلاحف عملاقة أيضًا. عندما يصلون، يتزاوجون بسرعة وشغف، للمرة الأولى والأخيرة، ومن هذا الاتحاد الناري تُولَد سلاحف جديدة لتحمل نمطًا جديدًا من العوالم. عُرِفَتْ هذه النظرية بفرضية التزاوج العظيم.

وهكذا، كان هناك شاب عالم في السلحفيات الكونية ينتمي إلى فصيل «الزحف المنتظم»، يختبر تلسكوبًا جديدًا على أمل إجراء قياسات دقيقة لبياض العين اليمنى لآتوين العظيم. وفي هذه الليلة الهامة، كان أول شخص من الخارج يرى تصاعدَ الدخانِ من مركز القرص ناتجًا من حرق أقدم مدينة في العالم.

لاحقًا في تلك الليلة، شُغِلَ تمامًا بدراساته لدرجة أنه نسي الأمر تمامًا. ومع ذلك، كان هو الأول.

لكنَّ هناك آخرين...

# لون السحر

السهل
حافة باول
عائلة الفيلسوف
جماعة الحرس والمناضلين
جماعة التجار والمناضلين
جماعة المحاربين
جماعة الفنانة
جماعة الأسوس والكتاب

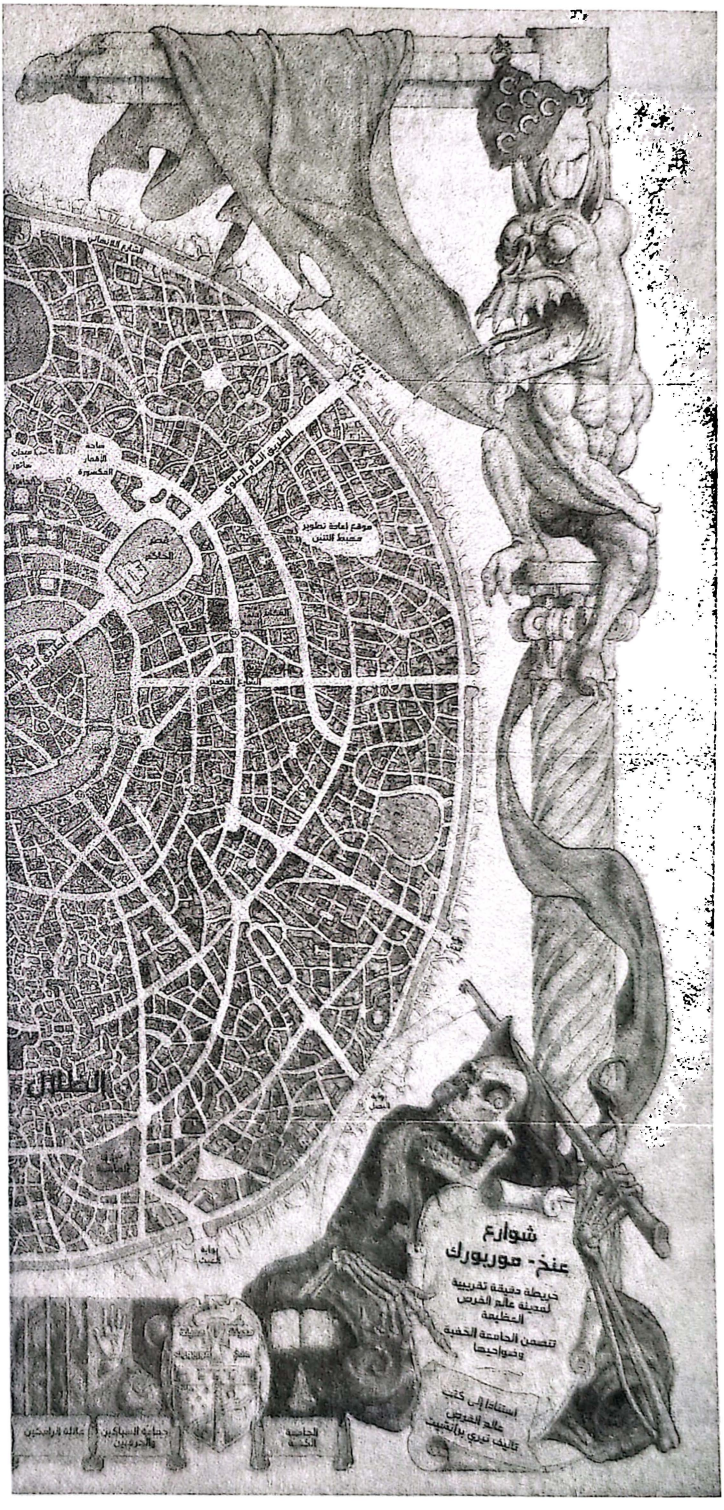
شوارع
عنخ- موربورك
خريطة دقيقة تقريبية
لعينة عالم الفرص
العظيمة
تتضمن الجامعة الخفية
وضواحيها
استنادا إلى كتب
عالم الفرص
تأليف تيري برانشيت
موقع إقامة تطوير
محيط التنين
ساحة
الأقمار
المكسورة
الطلاق
الجامعة
الخفية
حماية الأسياد
والحرفيين
عائلة فراسكين

اندلعتِ النيران في مدينة عنخ-موربورك المُتشعِّبة، وعندما وصلت إلى حيِّ السحرة، تلوَّنت النيران باللونين الأزرق والأخضر، وتخللتها شرارات غريبة من اللون الثامن، الأوكتارين؛ فشقَّت أطراف اللهب طريقها نحو البراميل ومستودعات الوقود على طول شارع التجار، لتتقدم على هيئة سلسلة من النوافير والانفجارات المتوهجة؛ وفي شوارع صانعي العطور احترقتْ برائحة حلوة؛ وعندما لامستْ حزمَ الأعشاب النادرة والجافة في مخازن صانعي الأدوية جعلتِ الناس يجنِّون ويخاطبون الإله.

بحلول هذا الوقت، صارت مِنْطَقة وسط مدينة موربورك بالكامل مُضاءةً بالنيران، فيما استجاب مواطنو مدينة عنخ الأكثر ثراءً وجدارة على الضفة الأخرى بشجاعة للموقف، وذلك بهدم الجسور بسرعة. لكنْ بعدما ازداد اشتعال السفن الموجودة فعلًا في أرصفة موربورك -المُحمَّلة بالحبوب، والقطن، والخشب، والمغطاة بالقار- واستحالتْ مراسيها إلى رماد، عَبَرَتْ نهر العنخ مع موجات المد والجزر، لتُشعِل القصورَ والملاجئَ على ضفاف النهر، في حين تنجرف مثل يراعات غارقة نحو البحر. على أي حال، تنقَّلت الشرارات مع النسيم، وهبطتْ بعيدًا خلال النهر إلى الحدائق المخفية وأماكن التخزين البعيدة.

ارتفعَ الدخانُ الناتجُ عن الحريقِ الهائلِ أميالًا، مُكوِّنًا عمودًا أسودَ نحتته الرياح يُمكِن رؤيته في كل أنحاء عالم القرص.

كان المشهد بالتأكيد مُثيرًا للإعجاب من قمة التل الباردة المظلمة التي تبعد بضعة فراسخ، حيث وقف شخصان يشاهدانه بقدر كبير من الاهتمام.

مضغ الأطول بينهما ساقَ دجاجة واتكأ على سيف أقصر قليلًا من الرجل العادي. لولا هالة الذكاء الحَذِرِ التي تحيط به، لكان من الممكن افتراض أنه بربري من براري هابلاند.

كان زميله أقصر بكثير ومغطًّى من رأسه إلى أخمص قدميه بعباءة بُنِّية. وعندما يضطر إلى التحرك لاحقًا، سيظهر أنه يتحرك بخفة مثل القطط.

بالكاد تبادل الاثنان الكلام خلال الدقائق العشرين الماضية، باستثناء جدال قصير غير حاسم عن أكان الانفجار القوي قد حدث بشكل خاص في مستودع النِّفْط أم في ورشة كيريبل السحار، فتراهنا بالمال على ذلك.

أنهى الرجل الضخم قضم العظمة ورماها نحو العشب مُبتسمًا بأسف، ثم قال: «ها قد احترقتْ كل تلك الأزقة الصغيرة، كم أحببتها».

قال الرجل الصغير: «كل بيوت الكنوز»، ثم أضاف مُتفكِّرًا: «تُرى هل تحترق الجواهر؟ يُقال إنها قريبة من الفحم».

قال الرجل الضخم متجاهلًا حديثه: «كل الذهب قد ذاب وانساب في المجاري. وكل النبيذ المغلي في البراميل».

أردف زميله البُنيُّ: «هناك فئران كذلك».

- الفئران، أنت على حق.

- لم تظهر قَطُّ في ذروة الصيف.

- أنت على حق في هذا أيضًا. مع ذلك، لا يُمكن للمرء إلا أن يشعر، حسنًا، بلحظة من...

توقف عن الكلام، ثم أشرق وجهه مُضيفًا: «كنا ندين لفريدور الشيخ في حانة العَلَقِ القرمزي بثماني قطع فضية». فأومأ الرجل الصغير برأسه.

صمت كلاهما وهلةً فيما شقَّتْ سلسلة جديدة من الانفجارات طريقًا أحمرَ خلال مِنْطَقة ظلَّت مُظلِمةً في أعظم مدينة في العالم. ثم تحرَّك الرجل الضخم قائلًا: «ويزل؟».

- أجل؟

- تُرى مَن بدأ تلك الانفجارات؟

لم يقل المُقاتل الصغير المعروف باسم ويزل شيئًا. إذ اكتفى بمراقبة الطريق على وهج الضوء الأحمر. لم يأتِ كثيرون من هذا الاتجاه منذ أن كانت بوابة ديوسيل واحدة من أولى الأماكن التي انهارت بسيل من الجمر الساخن حتى الابيضاض.

لكنِ الآن، هناك اثنان قادمان. تبيَّنت عينا ويزل -اللتان كانتا دائمًا في أوج حدتهما خلال الظلام والضوء الخافت- أشكالَ رجليْن يمتطيان الخيول، ونوع من الوحوش الضئيلة خلفهما. هذا بلا شك، تاجر غني يهرب بما يمكنه من الكنوز. قال ويزل ذلك لرفيقه الذي تنهَّد وأجابه: «لا تناسبنا أفعال قُطَّاع الطرق تلك، لكنْ كما تقول، تلك أوقات صعبة ولا يوجد ما هو أفضل الليلة».

شدَّد قبضته على سيفه، وعندما اقترب الراكب الأول، خرج الضخم إلى الطريق ويده مرفوعة، وارتسمت على وجهه ابتسامة محسوبة بعناية لبثِّ الطمأنينة والتهديد في الوقت نفسه.

قال الضخم: «معذرةً يا سيدي».

أوقف الراكب حصانه وسحب قلنسوته إلى الخلف. رأى الضخم أمامه وجهًا مغطًّى بحروق سطحية ومُزيَّنًا بخصلات لحية محترقة. حتى حاجباه قد اختفيا.

قال الراكب: «انصرفْ عن وجهي. أنت براڤد من هابلاند[1]، أليس كذلك؟»

أدرك براڤد أنه أخطأ في المبادرة.

(1) قد يكون الشكل والبناء الكوني للنظام القرصي جديرين بالملاحظة في هذه المرحلة. هناك، طبعًا، اتجاهان رئيسيان على القرص: نحو المركز، ونحو الحافة. لكنْ لما كان القرص نفسه يدور بمعدل دورة كل ثمانمئة يوم (لتوزيع الوزن بشكل عادل على الفيلة الداعمة له، وفق ريفورجول من جزيرة كرول)، فهناك أيضًا اتجاهان ثانويان، وهما اتجاه حسب الدوران، واتجاه عكس الدوران.

ولأن الشمس الصغيرة التي تدور حول القرص تحافظ على مدار ثابت فيما يدور القرص البهيج ببطء تحتها، نستنتج أن السنة القرصية تتكون من ثمانية فصول وليس أربعة. فيأتي الصيف عندما تشرق الشمس أو تغرب عند أقرب نقطة على الحافة، والشتاء عندما تشرق أو تغرب الشمس عند نقطة مقدارها نحو تسعين درجة على المحيط.

وهكذا، في الأراضي المحيطة بالبحر الدَّائري، يبدأ العام بليلة الهوجسووتش، ويتقدم خلال الربيع الأول الذي يسبق منتصف الصيف الأول (ليلة الآلهة الصغيرة) التي يليها الخريف الأول، وعند نقطة نصف العام المعروفة باسم كرويلتايد، يأتي الشتاء الثاني (المعروف أيضًا باسم الشتاء المغزلي، وفي هذا الوقت تشرق الشمس في اتجاه الدوران). ثم يأتي الربيع الثاني ويليه الصيف الثاني، وتكون نقطة ثلاثة أرباع العام هي ليلة جميع السواقي، وهي الليلة الوحيدة في العام، وفقَ الأسطورة، التي تظل فيها الساحرات والسحرة في أسرَّتهم. ثم تتجه الأوراق المتساقطة والليالي الباردة نحو الشتاء المغزلي العكسي، ومعه ليلة هوجسووتش جديدة تبدو كجوهرة متجمدة جاثمة على قلبه.

ولأن المركز لا يسخن أبدًا بشكل كبير بسبب الشمس الضعيفة، فإن الأراضي هناك مغطاة بجليد دائم. أما الحافة، من ناحية أخرى، فهي منطقة جزر مشمسة وأيام معتدلة.

قال الراكب: «هيًّا، انصرف فحسب؟ ليس لديَّ وقت لك، هل تفهمني؟».

ثم نظر حوله وأضاف: «وهذا ينطبق على شريكك القذر أيضًا، أينما اختبأ».

اقترب ويزل من الحصان وتطلَّع إلى الشخص المشوَّه قائلًا: «مرحى، إنه رينسويند الساحر، أليس كذلك؟». قالها بنبرة سعادة، مع حفظه وصفَ الساحر له في ذاكرته للانتقام ببطء، وأكمل: «أظن أنني تعرَّفتُ الصوتَ».

بصق براڤد وأعاد سيفه إلى غمده. لا يستحق الأمر الاشتباك مع السحرة، فهم نادرًا ما يمتلكون كنزًا يستحق الحديث عنه.

تمتم: «إنه يتحدث بجرأة بالنسبة إلى ساحر من الأحياء الفقيرة».

قال الساحر بإرهاق: «أنت لا تفهم شيئًا، أنا مرعوب منك لدرجة أن عمودي الفقري قد تحوَّل إلى هُلام، الأمر فقط أنني أعاني جُرْعةً زائدةً من الرعب الآن. أعني، عندما أتغلب على ذلك، سأتمكن من أن أخاف منك بشكل لائق».

أشار ويزل نحو المدينة المحترقة، ثم سأله: «لقد مررتَ خلال ذلك؟». فرك الساحر عينيه بيده ذات الجلد الملتهب مُجيبًا: «كُنت هناك عندما بدأ الأمر. أتراه؟ هناك في الخلف؟». ليشير إلى أسفل الطريق حيث ما

---

وطبعًا، هناك ثمانية أيام في الأسبوع القرصي وثمانية ألوان في طيف ضوءه. الرقم ثمانية له أهمية كبيرة في الأمور الغامضة على القرص ويجب ألا يُذكر أبدًا بأي ساحر. (المؤلف)

ولا يتضح السبب الدقيق لوجود كل ما سبق، لكنه يفسر إلى حد ما لماذا لا تُعبَد الآلهة على القرص بنفس قدر تعرضها للوم. (المؤلف)

زال رفيقه في السفر يقترب، وقد اعتمد طريقة ركوب تتضمن السقوط من على السرج كل بضع ثوانٍ».

قال ويزل: «ما شأنه؟».

قال رينسويند ببساطة: «هو من بدأ الأمر».

نظر براڤد وويزل إلى الشخص الذي صار الآن يقفز خلال الطريق بقدم واحدة مثبتة في رِكاب السرج.

قال براڤد أخيرًا: «أهو مُشعِل حرائق؟».

قال رينسويند: «لا، ليس بالضبط. لنقل فقط إنه إذا كانت الفوضى الكاملة المُطلقة هي البرق، فإنه سيكون من النوع الذي يقف على قمة تل في أثناء عاصفة رعدية مُرتديًا درعًا نُحاسيةً مُبتلةً صارخًا بـ«كل الآلهة أوغاد». ألديك طعام؟».

قال ويزل: «هُناك بعض الدجاج، مُقابل قصة».

قال براڤد الذي اعتاد الميلَ إلى التأخر في المحادثات: «ما اسمه؟».

- توفلاوَر.

قال براڤد: «توفلاوَر؟ يا له من اسم مضحك».

قال رينسويند وهو ينزل عن حصانه: «مهلًا، إنك لا تدري مدى جدية الأمر. هُناك دجاج، أليس كذلك؟».

قال ويزل: «دجاج حار»، فتأوَّه الساحر.

أضاف ويزل وهو يفرقع أصابعه: «تذكرت شيئًا، كان هناك انفجار كبير حقًّا منذ قرابة نصف ساعة».

قال رينسويند متألمًا عند تذكره المطر المحترق: «كان ذلك مستودعَ النِّفْط الذي انفجر».

استدار ويزل وابتسم بتوقُّع نحو رفيقه الذي سلَّمه عملة نقدية من كيس نقوده مُتذمِّرًا. ثم جاءت صرخة خلال الطريق وانقطعتْ فجأة، ولم يرفع رينسويند عينيه عن قطعة الدجاج خاصته.

قال رينسويند: «من الأشياء التي لا يستطيع فعلها، ركوب الحصان». ثم تجمد كأنَّه ضُرِبَ بحقيبة رمل إذ تذَكَّر أمرًا مفاجئًا، وأصدر صرخة خائفة قصيرة واندفع إلى الظلام. عندما عاد، كان الكائن المسمى توفلاوَر مُعلَّقًا بشكل متهدل على كتفه. كان صغيرًا ونحيفًا، ومُرتديًا ملابس غريبة، بنطالًا يصل إلى الركبة وقميصًا بألوان مُتعارضة تعارضًا عنيفًا وصارخًا، أزعجت عين ويزل الحساسة حتى في الضوء الخافت.

قال رينسويند: «لا عظام مكسورة، حسبما أشعر». كان يتنفس بصعوبة، فغمز براڤد نحو ويزل وذهب للتحقق من الشكل الذي افترضوا أنه حيوان يحمل شيئًا.

قال الساحر: «من الأفضل لك ألَّا تفعل ذلك». واستكمل دون أن يرفع نظره عن فحصه لتوفلاوَر فاقد الوعي: «صدِّقني. هناك قوة تحميه».

قال ويزل وهو يجلس القرفصاء: «تعويذة؟».

- أوه كلا. لكنْ أعتقد أنه ضرْب من السحر. ليس النوع المعتاد. أعني، يمكنه تحويل الذهب إلى نُحاس فيما يظل ذهبًا في الوقت نفسه، يجعل الرجال أثرياء بتدمير ممتلكاتهم، يسمح للضعفاء بالسير بلا خوف بين اللصوص، يخترق أقوى الأبواب ليسرق أكثر الكنوز حماية. حتى إنه جعلني عبدًا له الآن، بحيث عليَّ اتباع هذا المجنون وحمايته من الأذى رغمًا عني. إنه أقوى منك يا براڤد. أعتقد أنه أكثر دهاءً حتى منك يا ويزل.

- ما اسم هذا السحر العظيم إذن؟

هز رينسويند كتفيه وأردف: «في لغتنا نسميه اق-تص-اد. هل هناك أي نبيذ؟».

قال ويزل: «يجب أن تعرف أنني لست قليل الحيلة عندما يتعلق الأمر بالسحر. ففي العام الماضي -بمساعدة صديقي هناك- أبعدت رئيس سحرة يماتوري القوي الشهير عن عصاه وحزام جواهر القمر وحياته، بهذا الترتيب تقريبًا. لا أخاف من الاق-تص-اد هذا الذي تتحدث عنه، مع ذلك، فلقد أثرتَ اهتمامي. أيمكنكَ أن تخبرني المزيد؟».

نظر براڤد إلى الشكل على الطريق. صار أقرب الآن، وأكثر وضوحًا في ضوء ما قبل الفجر. بدا كأنه...

قال: «صندوق ذو أرجل؟».

قال رينسويند: «سأخبرك عنه. ما دام هناك أي نبيذ، سأخبرك».

أتى صوت هدير وهسهسة في أسفل الوادي. شخص أكثر تفكيرًا من البقية قد أَمَر بإغلاق بوابات النهر الكبيرة عند النقطة التي يتدفق فيها نهر العنخ من المدينة التوأمتين. بعدما مُنِعَ النهر من مساره المعتاد، انفجرتْ ضفافه وبدأ يتدفق في الشوارع التي دمرتْها النيران. سرعان ما تحولت قارة اللهب إلى سلسلة من الجُزُر، تتقلص كل واحدة منها مع ارتفاع المد المُظلِم. ومن المدينة الملآنة بالأبخرة والدخان، ارتفعتْ سحابة متصاعدة من البخار غطَّت النجوم. ظنَّ ويزل أن ذلك بدا كفطر أو عيش غراب مُظلِم.

المدينة المؤلفة من التوأمتين عنخ المجيدة وموربورك المصابة بالطاعون، التي تعد جميع المدن الأخرى في الزمان والمكان مجرد انعكاسات لها، واجهتِ العديد من الهجمات في تاريخها الطويل والمزدحم، وصمدتْ دائمًا لتزدهر مرة أخرى. لذلك، فإن الحريق والفيضانات التي تلت ذلك، والتي دمرت كل ما لم يكن قابلًا للاشتعال

وأضافتْ تدفقًا مزعجًا بشكل خاص إلى مشكلات الناجين، لم تكنْ بمنزلة النهاية لها. بل كانت علامة ترقيم نارية، فاصلة كالفحم، أو فاصلة منقوطة مثل حيوان السلمندر الناري، في قصة مستمرة.

قبل عدة أيام من هذه الأحداث، أبحرتْ سفينة خلال نهر العنخ مع مد الفجر واستقرتْ بين العديد من السفن الأخرى، في متاهة الأرصفة والمواني على شاطئ موربورك. كانت تحمل شِحنة من اللؤلؤ الوردي، وجوز الحليب، والحجر الخفاف، وبعض الرسائل الرسمية إلى حاكم عنخ-موربورك، ورجلًا.

هذا الرجل هو مَن لفت انتباه هيو الضرير، أحد المتسولين العاملين مبكرًا عند رصيف بيرل. وكز هيو كريبل وا في ضلوعه وأشار نحوه صامتًا.

الآن يقف الغريب على الرصيف، يشاهد عدة بحَّارة مجتهدين يحملون صندوقًا كبيرًا مُرصَّعًا بالنُّحاس على طول لوح العبور الخشبي. وهناك رجل آخر، من الواضح أنه القبطان، يقف بجانبه. هناك شيء بشأن هذا البحَّار -نبض كل عصب في جسد هيو الضرير بقوة كالصراخ داخل دماغه، إذ مال إلى الارتجاف عند الشعور بوجود أقل كمية من الذهب غير النقي على بعد خمسين خطوة- هذا رجل يتوقَّع ثراءً وشيكًا.

وكما هو متوقع، عندما وُضِعَ الصندوق على الحجارة، مدَّ الغريب يده إلى كيس نقود ظهر منه بريق لعملة. عدة عملات ذهبية. صفَّر هيو الضرير، وجسده يرتعش مثل غصن البندق إذا وُجِدَتِ المياه عند استخدامه للبحث عنها. ثم وكز كريبل وا مرة أخرى، وأرسله مُسرِعًا خلال زقاق قريب إلى قلب المدينة.

عندما عاد القبطان إلى سفينته تاركًا القادم الجديد يبدو مرتبكًا قليلًا على الرصيف، التقط هيو الضرير كوبَ التسول الخاصَّ به وشقَّ

طريقه خلال الشارع بابتسامة مريبة. عند رؤية هيو، بدأ الغريب في البحث عاجلًا في حقيبته النقدية.

بدأ هيو الضرير قائلًا: «يوم سعيد لك يا سيدي». ليرى أمامه وجهًا بأربع أعين، فاستدار هاربًا.

دُهِشَ الغريب وأمسك بذراعه. أدرك هيو أن البحارة المصطفِّين على حافة السفينة كانوا يضحكون منه. في الوقت نفسه، استشعرتْ حواسه الخاصة انطباعًا قويًّا بوجود المال، فتجمد في مكانه. أطلق الغريب سراحه بسرعة وتصفَّح كتابًا صغيرًا أسود اللون أخرجه من حزامه، ثم قال «مارحبًا».

قال هيو: «ماذا؟». فنظر الرجل إليه دون فهم.

أعاد الرجل بصوتٍ أعلى مما يلزم وبحرص بحيث سمع هيو الحروف المتحركة تتكامل في مكانها: «مارحبًا؟».

ردَّ هيو: «مرحبًا بك». ابتسم الغريب ابتسامة واسعة ثم بدأ في البحث مرة أخرى في كيس النقود. هذه المرة خرجتْ يده وبها عملة ذهبية كبيرة. كانت في الواقع أكبر قليلًا من كراون العنخ البالغ قيمته 8000 دولار، وتحمل تصميمًا غير مألوف، لكنها خاطبت عقلَ هيو بلغة فهمها تمامًا. قالت العملة: «مالكي الحالي بحاجة إلى العون والمساعدة؛ لماذا لا تقدمهما له، حتى تتمكن من الذَّهَاب معي إلى مكان ما لنستمتع بوقتنا؟».

تبدلتْ وقفة المتسول بتغييرات دقيقة، جعلتِ الغريب يشعر براحة أكبر، ففتح الكتاب الصغير مرة أخرى لاستشارته.

قال الغريب: «أرغب في أن أُرشَد إلى فندق، حانة، منزل إقامة، نُزُل، مُستشفى، خان، فندق».

قال هيو مُتفاجئًا: «ماذا، كلهم؟» فأجابه الغريب بعدم فهم.

أدرك هيو أن حشدًا صغيرًا من بائعات السمك، وحفَّاري المحار، والمتفرجين المستقلين وقفوا يراقبونهم باهتمام. فقال: «انظر، أعرف حانة جيدة، أيكفي هذا؟».

ارتعد هيو من فكرة فِقدان العملة الذهبية. أراد الاحتفاظ بتلك العملة، حتى لو صادر يمور كل الباقي. وقرر هيو أن الصندوق الكبير الذي شكَّل مُعظم أمتعة القادم الجديد يبدو ممتلئًا بالذهب.

نظر الرجل ذو الأعين الأربع إلى كتابه، وقال: «أودُّ أن أُرشَد إلى فندق، مكان للراحة، حانة، مكان...». فقاطعه هيو مُسرِعًا: «نعم، حسنًا. تعالَ إذن». ثم التقط إحدى الحُزَم وانصرف بعيدًا بسرعة، ليتبعه الغريب بعد لحظة من التردد.

راود هيو سيل من الأفكار. كان إيصال القادم الجديد إلى حانة الطبلة التالفة بهذه السهولة ضربة حظ، لا شك في ذلك، وربما سيكافئه يمور. لكنْ على الرغم من لطف هذا الرفيق الجديد، فهناك شيء ما بشأن هذا الشخص أشعر هيو بعدم الارتياح، ولم يستطع أن يدرك السبب. ليست العينين الإضافيتين، رغم غرابتهما. هناك شيء آخر.

نظر إلى الخلف، ليجد الرجل الصغير يمشي في منتصف الشارع ناظرًا حوله وقد بدا عليه الاهتمام الشديد.

رأى هيو شيئًا آخر جعله يتكلم بلا تفكير تقريبًا.

الصندوق الخشبي الضخم، الذي شاهده آخر مرة مُستقرًّا بثبات على شاطئ الميناء، رآه يتبع سيده بحركة هادئة متذبذبة. انحنى هيو حتى يمكنه أن يرى ما تحت الصندوق، ولكنه انحنى ببطء خوفًا من أن يكسر بحركة مفاجئة من جانبه سيطرته الهشة على ساقيه. فوجد هناك الكثير

والكثير من الأرجل الصغيرة. استدار هيو بتأنٍّ شديد، وسار بحذر بالغ نحو حانة الطبلة التالفة.

قال يمور: «غريب».

أضاف كريبل وا: «كان لديه صندوق خشبي كبير».

رد يمور: «لا بُدَّ أنه تاجر أو جاسوس». ثم سحب قطعة من اللحم من طبق الطعام في يده ورماها في الهواء. حالما وصلت إلى ذروة ارتفاعها بالكاد، انفصل شكل أسود عن الظلال في زاوية الغرفة واندفع نحوها، ليأخذها في منتصف الهواء.

أعاد يمور: «تاجر أو جاسوس. أفضِّل أن يكن جاسوسًا. نربح من الجاسوس قدرًا مضاعفًا من المال، لأنه دائمًا هناك مكافأة عندما نسلمه. ما رأيك يا ويزل؟».

في الجهة المقابلة ليمور، أغلق ويزل، ثاني أكبر لص في عنخ-موربورك، عينه الواحدة جزئيًّا وهزَّ كتفيه، ثم قال: «لقد تحققتُ من السفينة. إنه تاجر حر. يقوم برحلات من حين إلى آخر إلى الجُزُر البُنية. الناس هناك متوحشون. لا يفهمون شيئًا عن الجواسيس، وأظن أنهم يأكلون التجار».

تطوع كريبل وا بالكلام قائلًا: «بدا شبيهًا بتاجر، إلا أنه لم يكن سمينًا».

كان هناك صوت خافت لرفرفة أجنحة عند النافذة. انتقل يمور بجسمه الضخم من الكرسي وسار خلال الغرفة، ثم عاد بغراب كبير. بعد أن فكك كبسولة الرسالة من ساقه، طار الغراب لينضم إلى زملائه المتربصين بين العوارض، فيما نظر ويزل إليه بكراهية. كانت غربان يمور موالية لسيدهم بشكل سيئ السمعة، إلى درجة أن محاولة ويزل الوحيدة للارتقاء بنفسه إلى رتبة اللص الأعظم في عنخ-موربورك كلَّفته

عينه اليسرى. لكنْ مع ذلك، لم تكلفه حياته، إذ لم يحقد يمور قطُّ على أحد بسبب طموحاته.

قال يمور: «بي 12»، ثم رمى القنينة الزجاجية الصغيرة جانبًا وحلَّ الورقة الصغيرة الملفوفة بداخلها.

ردَّ ويزل تلقائيًّا: «جورين القط، إنه متمركز في برج الجرس في معبد الآلهة الصغير».

- يقول إن هيو قد أخذ غريبنا إلى الطبلة التالفة. حسنًا، هذا يكفي. برودمان صديق لنا، أليس كذلك؟

أجابه ويزل: «بلى، إذا كان يعرف الأفضل لمصلحته».

قال يمور بجذل: «رجلك جورين كان من بين زُبُنه، لأنه يكتب هنا عن صندوق على أرجل، إذا كنتُ أقرأ هذه الخربشة بشكل صحيح». ثم نظر إلى ويزل من وراء حافة الورقة.

أعرب ويزل عن عدم رضاه قائلًا ببرود: «سيؤدَّب».

نظر كريبل وا إلى الرجل المتكئ إلى الخلف في كرسيه، وهيئته المكسوة باللون الأسود مستريحًا كحيوان البوما على فرع شجرة بالغابة، وقرَّر أن جورين المتمركز أعلى معبد الآلهة الصغيرة سينضم قريبًا إلى تلك الآلهة الصغيرة في أبعاد الآخرة المتعددة. وكان مدينًا له بثلاث قطع من النُّحاس.

طوى يمور الورقة ورماها نحو ركن بعيد قائلًا: «أعتقد أننا سنتجول إلى حانة الطبلة التالفة لاحقًا يا ويزل. ربما، أيضًا، يمكننا أن نجرب هذه الجعة التي يجدها رجالك جذابةً للغاية».

لم يقلْ ويزل شيئًا، فكونه اليد اليمنى ليمور يشبه التعرض للجَلْد بلطف حتى الموت بأربطة حذاء معطَّرة.

مدينة التوأم عنخ-موربورك، الأولى من بين جميع المدن المُحيطة بالبحر الدَّائري، كانت بطبيعة الحال موطنًا لعدد كبير من العصابات، وجماعات اللصوص، والمنظمات المشابهة. كان هذا أحد أسباب ثروتها. إذ أكمل معظم الناس العاديين في الجانب الشمالي من النهر، في أزقة موربورك المتشعبة، دخولَهم الضئيلة بأداء أدوار صغيرة لمصلحة بعض العصابات المتنافسة.

لذا، عندما وصل هيو وتوفلاوَر إلى مدخل الطبلة التالفة، كان قادة عدد من هذه العصابات على علم بأن شخصًا ما وصل إلى المدينة يبدو أن لديه كنزًا هائلًا. تضمنتْ بعض التقارير من الجواسيس الأكثر ملاحظة تفاصيلَ عن كتاب يخبر الغريب بما يجب قوله، وصندوق يمشي بنفسه. استُبعِدَت هذه الحقائق على الفور، إذ لم يظهر أيُّ ساحر قادر على مثل هذه التعاويذ على بعد ميل من أرصفة موربورك.

كان الوقت حينها الذي يستيقظ فيه معظم أهل المدينة أو على وشك الذَّهَاب إلى الفراش، لذا لم يوجد في الحانة سوى عدد قليل شاهدوا توفلاوَر ينزل السلالم. عندما ظهرت أمتعته خلفه وبدأت تترنح بثقة على الدرج، نظر الزُّبُن الجالسون إلى المناضد الخشبية الخشنة بشك في آن واحد إلى مشروباتهم.

انهمك برودمان في توبيخ الترول الصغير الذي كان يكنس البار عندما مرَّ الثلاثي بجانبه، فقال: «ما هذا بحق الجحيم؟».

همس هيو: «لا تتحدث عنه فحسب»، فيما كان توفلاوَر يمرر أصابعه فعلًا خلال كتابه.

تساءل برودمان، ويداه على خاصرتيه: «ماذا يفعل؟».

تمتم هيو: «يخبره الكتاب بما يجب قوله. أعلم أن الأمر يبدو سخيفًا».

- كيف يمكن لكتاب أن يخبر المرء بما يجب قوله؟

قال توفلاوَر في نفس واحد: «أرغب في إقامة، غرفة، مَسكَن، إقامة كاملة، هل غرفك نظيفة، غرفة مع إطلالة، ما سعر الليلة الواحدة عندك؟».

نظر برودمان إلى هيو، فهزَّ المتسول كتفيه في استسلام، ثم قال: «لديه الكثير من المال».

- أخبِرْه أن السعر ثلاث قطع نُحاسية، وأن هذا الشيء يجب أن يبقى في الخارج.

نظر الغريب مُستفهِمًا، فرفع برودمان ثلاث أصابع حمراء سميكة، فأشرق وجه الرجل فجأة بفهم واضح. مدَّ يده إلى كيس نقوده، وأخرج منه ثلاث قطع ذهبية كبيرة وضعها في كف برودمان.

حدَّق برودمان إليها، إذ كانت ما يقارب أربعة أضعاف قيمة حانة الطبلة التالفة، بما فيها من عُمَّال. نظر برودمان إلى هيو، فلم يجبْه بشيء. فنظر إلى الغريب، ثم ابتلع ريقه.

أجابه برودمان بصوت مرتفع بشكل غير طبيعي: «نعم، وهناك وجبات طبعًا. آه. أتفهمني، أليس كذلك؟ الطعام. أنت تأكل، أم لا؟». فيما يومئ بالحركات المناسبة.

تساءل الرجل الصغير: «تِعام؟».

ردَّ برودمان: «نعم». وبدأ يتعرق: «ربما يجب أن ألقي نظرة إلى كتابك الصغير».

فتح الرجل الكتاب ومرر إصبعه على إحدى الصفحات. أما برودمان الذي كان يستطيع القراءة بطريقته الخاصة، فنظر من فوق الكتاب. ليرى كلامًا بلا معنى.

قال الغريب: «طعاااام. نعم. شريحة لحم، حَساء، شرائح، يخني، دجاج بالزبد، لحم مفروم، شرائح لحم، كعك، زلابية، حلوى البلانمانج،

مثلجات، عصيدة، نقانق، من دون نقانق، فاصولياء، من دون فاصولياء، قطائف، چيلي، مربى، أحشاء طيور». ثم ابتسم لبرودمان.

قال صاحب النزل بصوت واهن: «كل هذا؟».

قال هيو: «هذه هي طريقته في الحديث. لا تسألني لماذا. هو فقط يتحدث هكذا».

كل الأعين في الغرفة كانت تراقب الغريب، ما عدا عينين، عينيْ رينسويند الساحر، الذي كان يجلس في الزاوية الأكثر ظلامًا مُحتضنًا كوبًا لقدر قليل جدًّا من الجعة.

كان يراقب الأمتعة.

انظر إلى رينسويند.

ستجده نحيلًا، مثل معظم السحرة، ويرتدي رداءً أحمر قانيًا مُطرَّزًا ببعض الرموز السحرية الموشَّاة بالتِّرتِر الباهت. قد يعتقده البعض مجرد ساحر مبتدئ هرب من سيده على سبيل التحدي، أو بسبب الملل أو الخوف أو شغف مستمر بالنساء. ومع ذلك، ارتدى حول عنقه سلسلة تحمل شكلًا ثُمانيًّا من البرونز يشير إلى أنه خريج الجامعة الخفيَّة، المدرسة العليا للسحر التي لا يستقر حرمها الجامعي المتجاوز للزمان والمكان بموضع دقيق هنا أو هناك. عادةً ما يُقدَّر للخريجين أن يصبحوا سحرة على الأقل، لكن رينسويند –بعد حادث مؤسف– ترك الجامعة وهو يعرف تعويذة واحدة فقط، وتمكن من العيش بشكل ما في المدينة اعتمادًا على موهبته الفطرية في اللغات.

سار بقاعدة تجنُّب العمل عمومًا، لكنه كان يتمتع بسرعة بديهة جعلت معارفه يقارنونه بالقوارض الذكية. إذ كان يعرف خشب الكمثرى الحكيم فور رؤيته. كان يراه الآن، ولم يصدِّقْ تمامًا ما يرى.

قد يتمكن رئيس السحرة، بجهد كبير وإنفاق كثير من الوقت، من الحصول في النهاية على عصا صغيرة مصنوعة من خشب شجرة الكمثرى الحكيم، والتي تنمو فقط في مواقع السحر القديم. ربما لم يكن هناك أكثر من عصا واحدة أو اثنتين في جميع مدن البحر الدَّائري. أما الآن، فصندوق كبير منها... حاول رينسويند حساب الأمر، ليقرر أنه حتى لو كان الصندوق محشوًّا بأحجار العقيق النجمي وعِصي الأوريكولاتوم، فإن المحتويات لن تساوي عُشر ثَمَن الصندوق نفسه. بدأ عِرق في جبهته بالنبض، فنهض وتوجَّه إلى الثلاثي.

قال رينسويند: «أيمكنني مساعدتكم؟».

أجابه برودمان بحدة: «ابتعد يا رينسويند».

قال الساحر بلُطف: «ظننتُ فقط أنه ربما من الأفضل مُخاطبة هذا السيد بلُغتِه الخاصة».

قال صاحب النزل: «إنه على ما يُرام بمفرده»، لكنه تراجع بضع خطوات إلى الوراء.

ابتسم رينسويند بأدب إلى الغريب وجرَّب بضع كلمات من لغة الكيميران، إذ كان يفخر بطلاقته في تلك اللغة، لكنْ ظل الغريب حائرًا.

قال هيو بثقة: «لن ينجحَ الأمر، أترى؟ السرُّ في الكتاب. إنه يخبره بما يجب قوله. هذا سحر».

انتقل رينسويند إلى لغة البوروجرافية العليا، ثم إلى الفانجلميشت، السومتري، وحتى لغة الأوروجو السوداء، اللغة التي لا تحتوي على أسماء وتحتوي على صفة واحدة بذيئة فقط. قابل الغريب كل ما سبق بعدم فهم مؤدب. فجرَّب رينسويند يائسًا لغة التروب الوثنية، فارتسمتْ على وجه الرجل الصغير ابتسامة سَعيدة.

قال رينسويند: «أخيرًا! يا سيدي الكريم! كم هذا رائع!» (مع أنَّ الكلمة الأخيرة في لغة التروب كانت تعني في الواقع شيء قد يحدث مرة واحدة فقط طوال مدة استخدام زورق نُحِتَ بعناية بالفأس والنار من أطول شجرة خشب ماسي، التي تنمو في الغابات المعروفة لشجر الخشب الماسي على المنحدرات السفلية لجبل أواياوا، موطن آلهة النار أو هكذا يُقال).

تساءل برودمان بشك: «ما هذا كله؟».

قال الرجل الصغير: «ماذا قال صاحب النزل؟».

ابتلع رينسويند ريقه، وقال: «برودمان، كوبان من أفضل جعة لديك، من فضلك».

- أيمكنك فهمه؟

- أوه، طبعًا.

- إذن أخبره... أخبره إنه مُرحَّب به جدًّا. أخبره أن الإفطار هو.. آه.. مقابل قطعة ذهبية واحدة.

وبدا لحظةً على وجه برودمان كأنَّه يعترم بداخله صراع كبير، ثم أضاف بنوبة من السخاء: «سأضيف لك وجبتك أيضًا».

قال رينسويند بثبات: «أيها الغريب، إذا بقيتَ هنا ستُطعَن أو تتعرض للتسميم بحلول الليل. لكنْ لا تتوقف عن الابتسام، وإلا سأواجه المصير نفسه».

قال الغريب، ناظرًا حوله: «أوه، ليس هكذا، يبدو هذا مكانًا رائعًا. إنه نُزُل موربوركي حقيقي. أتعلم؟ لقد سمعتُ الكثير عنهم. كل هذه العوارض القديمة الجميلة. وأسعاره مقبولة جدًّا أيضًا».

نظر رينسويند بسرعة حوله، خشية أن يكون هناك تسرب للسحر من حي السحرة خلال النهر قد نقلهم مؤقتًا إلى مكان آخر. كلا، لا يزالان داخل «الطبلة التالفة»، بجدرانها الملطَّخة بالدخان، وأرضيتها المكوَّنة من خليط من السجاجيد القديمة والخنافس المجهولة، والجعة الحامضة التي لا تُباع كثيرًا بقدر استئجارها لمدد قصيرة. حاول رينسويند أن يوفِّق الصورة مع كلمة «جميل»، أو بالأحرى أقرب ما يعادلها في لغة التروب التي كانت «تلك الغرابة اللطيفة في التصميم الموجودة في المنازل المرجانية الصغيرة لأكلة الإسفنج القزمية في شبه جزيرة أروهاي».

تراجع عقله عن الجهد. فتابع الزائر قائلًا: «اسمي توفلاوَر»، ومدَّ يده. نظر الثلاثة الآخرون إلى الأسفل غريزيًّا ليروا أكانت هناك عملة في يده.

أجابه رينسويند: «يسعدني لقاؤك. أنا رينسويند. ولتعلم أني لم أكنْ أمزح. هذا مكان صعب».

- جيد! هذا بالضبط ما أردت!
- ماذا؟
- ما هذا الشيء في الأقداح؟
- هذه؟ إنها جعة. شكرًا يا برودمان. نعم. جعة.
- آه. المشروب المعتاد. قطعة ذهبية صغيرة ستكون كافية للدفع، أليس كذلك؟ لا أريد أن أسبب أي إهانة.

كانت القطعة فعلًا نصفها خارجَ حقيبته، فقال رينسويند بصوت مبحوح: «تبًّا. أعني، لا، لن تسبب أي إهانة».

- جيد. تقول إن هذا مكان صعب. أتقصد أنه يرتاده الأبطال ورجال المغامرة؟

فكر رينسويند في هذا، ثم قال: «نعم؟».

- رائع. أود أن أقابل بعضهم.

خَطَر على الساحر تفسيرٌ، فقال: «آه. هل جئتَ لتوظيف المرتزقة (المحاربين الذين يقاتلون من أجل القبيلة التي تملك أكبر كمية من الطعام)؟».

- أوه كلا. أريد فقط مقابلتهم. كي يمكنني أن أقول إنني فعلتُ ذلك عندما أعود إلى الوطن.

فكر رينسويند أن لقاء معظم زُبُن «الطبلة التالفة» يعني أن توفلاوَر لن يعود إلى وطنه مرة أخرى، إلا إذا كان يعيش بمصب النهر وتصادف أن يطفو نحوه.

استفسر رينسويند: «أين وطنك؟». فيما لاحظ أن برودمان قد انسلَّ إلى غرفة خلفية، في حين راقبهم هيو بشك من منضدة قريبة.

- هل سمعت بمدينة بيس بلارجك؟

- حسنًا، لم أقضِ وقتًا طويلًا في تروب. عبرتُ بها فحسب...

- أوه، إنها ليست في تروب. أتحدثُ لغة التروب لأن هناك العديد من البحارة التروبيين في موانينا. بيس بلارجك هو الميناء الرئيسي للإمبراطورية الأجتية.

- يا للأسف، لم أسمع به.

رفع توفلاور حاجبيه قائلًا: «قطُّ؟ إنه كبير جدًّا. أبحِرْ تجاه عقارب الساعة من الجُزر البُنية أسبوعًا تقريبًا وستجدها هناك. هل أنت

بخير؟». ليُسرِع بالدوران حول المنضدة ويربِّت ظهر الساحر الذي اختنق بالجعة.

قارة الوزن المضاد!

على بعد ثلاثة شوارع، أسقط رجل مسن عملة في طبق من الحمض وحرَّكها بلطف. فيما انتظر برودمان بفارغ الصبر، لا يشعر بالارتياح في تلك الغرفة الملآنة بالأبخرة المتصاعدة من الأحواض والقوارير ذات الفقاقيع، والمُبطَّنة برفوف تحتوي أشكالًا تلوح من الظلال تبدو كجماجم وكائنات عجيبة محشوة.

تساءل برودمان: «إذن؟».

أجابه الخيميائي الشيخ مُتذمِّرًا: «لا يُمكِن استعجال هذه الأمور. اختبار المعادن يستلزم وقتًا. آه». ثم دفع الطبق الذي استقرتْ به القطعة النقدية في دُوَّامة من اللون الأخضر، وأجرى بعض الحسابات على قطعة من الرَّق.

قال بالنهاية: «إنها مثيرة للاهتمام بشكل استثنائي».

- أهي أصلية؟

ضمَّ الشيخُ شفتيه وقال: «يعتمد ذلك على كيفية تعريفكَ لتلك الكلمة، فإذا كنتَ تعني: هل هذه القطعة النقدية، مثلًا، قطعة نقدية بقيمة خمسين دولارًا، فإن الإجابة لا».

صرخ صاحب الحانة: «كنت أعلم ذلك»، ليبدأ بالإسراع نحو الباب.

قال الخيميائي: «يبدو أني لم أوضح المقصود بكلامي»، فاستدار برودمان بغضب وقال: «ماذا تعني؟».

- حسنًا، أترى، بسبب أمور عدَّة، خُفِفَتْ نقودنا على مر السنين. محتوى الذهب في القطعة النقدية العادية بالكاد يبلغ أربعة أجزاء من اثني عشر، والباقي مزيج من الفضة والنُّحاس».

قاطعه برودمان: «وما شأن تلك العملة؟».

- قُلت إن هذه القطعة النقدية ليست مثل نقودنا. إنها ذهب نقي.

بعد أن غادر برودمان مُسرعًا، قضى الخيميائي بعض الوقت مُحدِّقًا إلى السقف، ثم أخرج قطعة صغيرة جدًّا من الرَّق الرفيع، وبحث عن قلم بين البقايا على منضدته، وكتب رسالة مقتضبة قصيرة جدًّا، ليتوجه بعدها إلى أقفاص الحمام الأبيض والديوك السوداء وغيرها من حيوانات المعامل. وأخرج من أحد الأقفاص فأرًا لامعًا، ثم لفَّ الرق في القارورة المثبتة على ساقه الخلفية، وأطلق سراح الحيوان.

شمَّ الفأر الأرض لحظةً، ثم اختفى خلال حفرة في الجدار البعيد.

في هذا الوقت تقريبًا، في الجانب الآخر من الحي، نظرتْ عرَّافة مخفقة حتى الآن مُصادفةً إلى وعاء التنبؤ الخاص بها، وأطلقتْ صرخة صغيرة. وفي غضون ساعة، باعت جواهرها ومختلف أدواتها السحرية ومعظم ملابسها، وجميع ممتلكاتها الأخرى تقريبًا التي يصعب حملها بسهولة على أسرع حصان تمكنت من شرائه. وفي الواقع، انهار منزلها في وقت لاحق ضمن ألسنة اللهب، وهي نفسها ماتت في انهيار أرضي غريب في جبال موربورك، وهذا ما يثبت أن الموت أيضًا لديه حس دعابة.

في اللحظة نفسها التي اختفى فيها الجرذُ حاملُ الرسالة في متاهة الممرات أسفل المدينة، مُنطلِقًا في طاعة تامة وَفْقَ غريزة قديمة، كان حاكم عنخ-موربروك يلتقط الرسائل التي سُلِّمتْ في ذلك الصباح من

خلال طائر الباتروس. نظر الحاكم بتأمُّل إلى الرسالة الأولى مرة أخرى واستدعى رئيس جواسيسه.

وفي حانة الطبلة التالفة، استمع رينسويند مدهوشًا بفم مفتوح مما يقوله توفلاوَر.

قال الرجل الصغير: «لذلك قررتُ أن أرى بنفسي. كلفني هذا ثماني سنوات من الادخار. لكنه يستحق كل نصف رينو. أعني، هأنا ذا. في عنخ-موربروك الشهيرة في الأغاني والقصص. في الشوارع التي عرفتْ خطوات هيريك وايتبليد، وهرون البربري، وبراڤد الهابلاندي وويزل... كل شيء كما تخيلته».

صار وجه رينسويند قناعًا من الرعب المذهول.

استمر توفلاوَر بسعادة: «لم أستطعِ التحمل أكثر من ذلك في بيس بلارجك، أن تجلس إلى مكتب طوال اليوم، لمجرد إضافة أعمدة من الأرقام، ثم التقاعد في نهاية المطاف... أين الرومانسية في ذلك؟ فقلتُ لنفسي يا توفلاوَر، إما الآن وإما لا إلى الأبد. ليس عليك الاستماع للقصص فقط. يمكنك الذَّهَاب إلى هناك. حان وقت التوقف عن التجوال في الموانئ للاستماع لحكايات البحارة. لذا أعددتُ كتابَ تفسير العبارات واشتريتُ تذكرة على السفينة التالية إلى الجُزر البُنية».

تمتم رينسويند: «بلا حراس؟».

أجابه توفلاوَر: «لا. لماذا؟ ماذا لديَّ يستحق السرقة؟».

سعل رينسويند وقال: «لديك، آه، ذهب».

قال توفلاوَر: «إنها بالكاد ألفَا رينو. ما يكفي لإبقاء رجلٍ حيًّا أكثرَ من شهر أو شهرين بصعوبة. هذا ما تساويه في الوطن. أتصور أنها قد تمتد إلى أكثر من ذلك هنا».

قال رينسويند: «هل الرينو واحدة من تلك العملات الذهبية الكبيرة؟».

ردَّ توفلاوَر: «نعم». ثم نظر بقلق إلى الساحر من فوق عدساته الغريبة مُكمِلًا: «أتعتقد أن ألفين سيكونون كافين؟».

قال رينسويند بصوت مبحوح: «تبًّا. أعني، أجل.. إنها كافية».

- جيد.

- امممم. هل الجميع في الإمبراطورية الأجتية أغنياء مثلك؟

أجابه توفلاوَر: «أنا؟ غني؟ باركك الإله، ماذا جعلك تظن ذلك؟ أنا مجرد موظف فقير! لقد دفعتُ لصاحب الحانة أكثر مما ينبغي، أليس كذلك؟».

أقرَّ رينسويند قائلًا: «امممم. ربما كان قد قبل بأقل من ذلك».

- آه. سأعرف الأصوب في المرة القادمة. يبدو أن لديَّ الكثير لأتعلمه. لقد خطرتْ لي فكرة. أتوافق يا رينسويند على أن تصبح موظفًا كـ.. لا أعرف، ربما كلمة «دليل» تناسب الظروف؟ أعتقد أنني أستطيع تحمل دفع رينو واحد في اليوم».

فتح رينسويند فمه للرد لكنِ انحشرت الكلمات في حلقه، إذ ترددتْ في الظهور في عالم يتسارع جنونه، فاحمرَّ وجه توفلاوَر وقال: «لقد أهنتكَ. كان طلبًا جريئًا أن أطلبه من رجل محترف مثلك. بلا شك لديك العديد من المشاريع التي ترغب في العودة إليها... بعض أعمال السحر العظيمة، بلا شك».

قال رينسويند بصوت خافت: «لا، ليس في الوقت الحالي. قلتَ رينو، أليس كذلك؟ واحدًا كل يوم. كل يوم؟».

أجابه توفلاوَر: «أعتقد أنه في ظل تلك الظروف، يجب أن أجعله رينو ونصفًا في اليوم. بالإضافة إلى أي نفقات إضافية طبعًا».

استعاد الساحر قوته بشكل رائع وقال: «هذا جيد. عظيم».

مدَّ توفلاوَر يده إلى جيبه وأخرج شيئًا دائريًّا كبيرًا من الذهب، نظر إليه لحظةً ثم أعاده. لم يحصل رينسويند على فرصة لرؤيته جيدًا.

قال السائح: «أعتقد أنني أرغب في الحصول على قسط من الراحة الآن. كان العبور طويلًا. ومن ثم ربما يمكنك العودة عند الظهيرة ونلقي نظرة على المدينة».

- طبعًا.

- إذن، إذا تفضلتَ، اطلب من صاحب الحانة أن يريني غرفتي.

فعل رينسويند ذلك، وشاهد برودمان العصبي، الذي وصل مندفعًا من غرفة ما في الخلف، يقود الطريق إلى السلالم الخشبية خلف البار. وبعد بضع ثوانٍ، انطلقتِ الأمتعة تتبعهم على الأرضية.

نظر الساحر إلى القطع النقدية الست الكبيرة في يده، إذْ أصر توفلاوَر على دفع أجرَ أربعةِ أيام مُقدَّمًا.

أومأ هيو وابتسم مشجعًا، فأجابه رينسويند مُزمجرًا.

بينما كان طالبًا يتعلم السحر، لم يحقق رينسويند أي درجات عالية في التنبؤ بالمستقبل، لكنِ الآن بدأت دوائر غير مستخدمة في دماغه بالخفقان، وبدا المستقبل كأنه محفور بألوانٍ زاهية على مقلتيْه. بدأ يشعر بحِكَّة في ما بين لوحيْ كتفيه. كان يعرف أن الشيء العقلاني الذي يجب فعله هو شراء حصان. يجب أن يكون حصانًا سريعًا ومُكلِّفًا، وبتفكير سريع، لم يتوصل رينسويند إلى أي تاجرِ خيولٍ يعرفه غنيٍّ بما يكفي ليعطيه باقي ما يقرب من أوقية كاملة من الذهب.

وطبعًا، فإن القطع الخمس الأخرى ستساعده على إرساء تدريب مُفيد لمسافة آمنة، لمئتي ميل مثلًا. هذا سيكون الشيء العقلاني.

لكن ماذا سيحدث لتوفلاوَر، بوجوده وحده في مدينة حيث حتى الصراصير لديها إحساس لا يخطئ بالذهب؟ لا بُدَّ أنه شخص معدوم الضمير حقًّا ليتركه هكذا.

ابتسم حاكم عنخ-موربورك، لكنْ بفمه فقط، ثم تمتم: «بوابة المركز، أليس كذلك؟».

حيَّاه قائد الحرس بحدة قائلًا: «نعم يا مولاي. اضطُرِرْنا إلى إطلاق النار على الحصان قبل أن يتوقف».

قال الحاكم ناظرًا إلى رينسويند: «وهو ما أتى بك إلى هنا مباشرة إلى حد ما. ماذا لديك إذن لتدافع به عن نفسك؟».

يُشاع أن جناحًا كاملًا من قصر الحاكم مملوء بالكتبة الذين يقضون أيامهم في جمع وتحديث جميع المعلومات التي جمعها نظام التجسس المنظم بدقة لسيدهم. لم يشُكَّ رينسويند في ذلك. ألقى نظرة نحو الشرفة الممتدة على جانب واحد من غرفة الاستقبال. إذا قفز قفزة سريعة، قفزة ماهرة، فسيباغته سيل من الأسهم المنهمرة، فارتجف من هول الفكرة.

استند الحاكم بيده المزينة بالخواتم أسفل ذقنه، ونظر إلى الساحر بعينين صغيرتين وقاسيتين كالأحجار، ثم قال: «فلنرَ. حنثُ القسم، سرقةُ حصان، إصدارُ عملة مزيفة.. أجل، أظن أن الساحة تناسبك يا رينسويند».

طفح كيل رينسويند.

- لم أسرق الحصان! اشتريتُه بعدل!

- لكنْ بعملة مزيفة. سرقة فنية كما ترى.

- لكنَّ عملات الرينو تلك من الذهب الخالص!

قال الحاكم: «رينو؟». ثم دحرج واحدة منها بين أصابعه السميكة، وأكمل: «أهكذا تسميها؟ يا له من أمر مثير للاهتمام. لكنها، كما تشير، ليستْ مشابهة للدولارات...».

-طبعًا ليست كذلك...

- آه! إذن، أنت تعترف بذلك؟

فتح رينسويند فمه ليتكلم، ثم فكر جيدًا، فأغلقه مُجددًا.

- كما ظننتُ تمامًا. وفوق كل ذلك، هناك طبعًا العار الأخلاقي لخيانة زائر لهذا الشاطئ. عار عليك يا رينسويند!

لوَّح الحاكم بيده بغموض، فتراجع الجنود الواقفين خلف رينسويند، واتخذ قائدهم بضع خطوات إلى اليمين. فجأة، شعر رينسويند بالوَحْدَة التامة.

يُقال إنه عندما يوشك ساحر أن يموت، يظهر الموت نفسه ليأخذه (بدلًا من تكليف المهمة لأحد مرؤوسيه مثل المرض أو المجاعة، كما هي الحال عادةً). نظر رينسويند حوله بقلق بحثًا عن كِيان طويل يرتدي السواد (السحرة، حتى المخفقين منهم، لديهم -بالإضافة إلى العِصي والمخاريط- في أعينهم أشكال ثمانية صغيرة تمكنهم من رؤية لون الأوكتارين، اللون الأساسي وكل الألوان الأخرى مجرد ظلال باهتة منه، تتداخل مع الفضاء رباعي الأبعاد الطبيعي. يُقال إنه درجة من درجات اللون الأرجواني المختلط بالأصفر المخضر المُشعِّ).

هل رأى ظلًّا وامضًا بسرعة ناحية الركن؟

قال الحاكم: «طبعًا، يمكنني أن أكون رحيمًا».

اختفى الظل، فنظر رينسويند إلى الأعلى، وارتسم على وجهه تعبير من الأمل المجنون، ليقول: «أجل؟».

لوَّح الحاكم بيده مرة أخرى، فرأى رينسويند الحراس يغادرون الغرفة. صار بمفرده مع الحاكم الأعلى للمدينتين، فكاد يتمنى أن يعود الحراس مُجددًا.

قال الحاكم: «تعالَ هنا يا رينسويند». ثم أشار إلى وعاء من المقبلات على منضدة منخفضة من العقيق بجانب العرش، ليقول: «أترغب في تناول قنديل بحر متبلور؟ لا؟».

أجابه رينسويند: «آآ، لا».

قال الحاكم بلطف: «أريدك الآن أن تستمع بعناية شديدة لما سأقوله، وإلا ستموت. بطريقة مثيرة للاهتمام. على مدى فترة. من فضلك توقف عن التململ هكذا. إذ إنكَ ساحر نوعًا ما، فأنت طبعًا على علم بأننا نحيا في عالم شكله، كأنَّه، مثل القرص؟ ويُقال إنه يوجد، نحو الحافة البعيدة، قارة على الرغم من صِغر حجمها، فإنها تساوي في الوزن جميع الكتل الأرضية الضخمة في هذه المِنْطَقة النصف دائرية؟ وذلك لأنها، وَفْقَ الأسطورة القديمة، معظمها مصنوع من الذهب؟».

أومأ رينسويند برأسه مؤكدًا. فمن لم يسمعْ بقارة الوزن المضاد؟ حتى إن بعض البحارة صدَّقوا حكايات الطفولة وأبحروا بحثًا عنها. وكانوا طبعًا يعودون إما فارغي الأيدي وإما لا يعودون أساسًا. ربما أكلتهم السلاحف العملاقة، حسب رأي البحارة الأكثر جدية. لأنه، طبعًا، لم تكن قارة الوزن المضاد أكثر من مجرد أسطورة شعبية.

قال الحاكم: «إنها موجودة طبعًا. برغم أنها ليست مصنوعة من الذهب، فإن الذهب معدن شائع جدًّا هناك. تتكون معظم كتلتها من رواسب شاسعة من الأوكتيرون الموجود بعمق داخل القشرة. الآن،

يتضح لعقل حادٍّ مثلك أن وجود قارة الوزن المضاد يُشكِّل تهديدًا مميتًا لشعبنا هنا». ليتوقف بعدها، وينظر إلى فم رينسويند المفتوح، فتنهد وقال: «أهناك ما يصعب فهمه؟».

قال رينسويند: «تبًّا». ثم ازدرد لعابه ولعق شفتيه، وقال: «أعني، لا. أعني، حسنًا، الذهب».

قال الحاكم بلطف: «فهمتكَ. تشعر، ربما، أنه من الرائع الذَّهَاب إلى قارة الوزن المضاد وإحضار شِحنة من الذهب؟».

شعر رينسويند بوجود فخ ما يُنصب له، فقال بمجازفة: «أجل؟».

- وإذا أصبح كل شخص على شواطئ البحر الدَّائري لديه جبل من الذهب؟ أسيكون ذلك شيئًا جيدًا؟ ماذا سيحدث؟ فكِّر بعناية».

تجعَّدَتْ جبهة رينسويند مُفكِّرًا، ثم قال: «سنصبح جميعًا أغنياء؟».

الطريقة التي انخفضت بها درجة الحرارة حينها، أخبرته أنها ليست الإجابة الصحيحة.

- يمكنني إخبارك يا رينسويند، بوجد بعض الاتصالات الجارية بين سادة البحر الدَّائري وإمبراطور الإمبراطورية الأجتية، كما يُطلق عليها. إنها اتصالات سطحية للغاية، فلا يوجد الكثير من القواسم المشتركة بيننا. ليس لدينا ما يريدونه، وليس لديهم ما يمكننا تحمل ثمنه. إنها إمبراطورية قديمة يا رينسويند. قديمة وذكية وقاسية وغنية جدًّا جدًّا. لذا نتبادل التحيات الأخوية بالبريد الطائر على أوقات متباعدة.

وصلتْ رسالة من هذا النوع هذا الصباح. يبدو أن أحد رعايا الإمبراطور قرر زيارة مدينتنا. يبدو أنه يرغب في رؤيتها. المجانين فقط من يمكنهم تحمُّل جميع مشاق عبور المحيط الدائري لمجرد

النظر إلى أي شيء. ومع ذلك، لقد وصل إلينا هذا الصباح. كان من الممكن أن يلتقي بطلًا عظيمًا، أو أذكى اللصوص، أو حكيمًا عظيمًا، لكنه التقاكَ، ووظَّفك كدليل. ستكون دليلًا يا رينسويند، لهذا الراغب في النظر المدعو توفلاوَر. ستتأكد من عودته إلى وطنه بتقرير جيد عن وطننا الصغير. ما رأيك؟».

قال رينسويند بأسى: «آه. شكرًا يا سيدي».

-هُناك نقطة أخرى طبعًا. سيكون من المؤسف أن يحدث أي شيء غير مرغوب لزائرنا الصغير. سيكون ذلك مروعًا إذا مات، مثلًا. سيكون ذلك مروعًا لكل أرضنا، لأن الإمبراطور يهتم برعاياه ويمكنه بالتأكيد أن يزيلنا بنظرة. مجرد نظرة. وسيكون ذلك مروعًا لك يا رينسويند، لأن في الأسابيع الباقية قبل وصول أسطول مرتزقة الإمبراطورية الضخم، سيتولى بعض خُدَّامي أمرك على أمل أن يجد القادة المنتقمون، عند وصولهم، ما يهدئ غضبهم برؤية جسدك لا يزال حيًّا. هناك بعض التعاويذ التي يمكنها منع الحياة من مغادرة الجسد، حتى إن تعرَّض لأقسى أنواع التعذيب، وأرى من وجهك أنك تفهم ما أقول؟».

- تبًّا.

- أستميحك عُذرًا؟

أجابه رينسويند: «أجل يا سيدي. سأحرص على ذلك، أعني، سأبذل جهدي لرعايته وضمان عدم حدوث أي مكروه له». ليضيف بعدها في مرارة داخل عقله: «وكأنَّ هذا أمر مُمكن».

- رائع! أرى أنك أنت وتوفلاوَر على أفضل حال. بداية ممتازة. عندما يعود بسلام إلى وطنه، ستنال امتناني. سأسقط على الأرجح التهم الموجهة إليك. شكرًا لك يا رينسويند. يمكنك الذَّهَاب الآن».

قرر رينسويند ألا يطالب باستعادة قطع الرينو الخمس المتبقية، فتراجع بحذر.

قال الحاكم فيما كان الساحر يبحث عن مقابض الباب: «أوه، وهناك شيء آخر». فأجابه رينسويند بإحباط: «أجل يا سيدي؟».

- أنا واثق أنك لن تفكر في الهروب من التزاماتك بالفرار من المدينة. أعتقد أنك شخص يحب الحياة في المدينة. لكن تأكَّد أن حكام المدن الأخرى سيُبلَغون بهذه الشروط قبل حلول الليل.
- أؤكد لك أن تلك الفكرة لم تخطرْ ببالي على الإطلاق يا سيدي.
- حقًّا؟ إذن لو كنتُ مكانكَ، لرفعتُ دعوى ضدي بتهمة التشهير.

ركض رينسويند إلى حانة الطبلة التالفة بأقصى سرعة، ليصل في الوقت المناسب تمامًا ليتصادم مع رجل يتراجع بسرعة إلى الخلف. كان سبب تراجعه السريع نسبيًّا إلى الرمح الموجود في صدره، إذ تنفس بصعوبة وسقط ميتًا عند قدميِ الساحر.

نظر رينسويند من إطار الباب، ثم سحب نفسه بسرعة عندما مرَّت بجانبه فأس ثقيلة رُميَتْ بسرعة.

نظر مُجددًا بحذر، مُعتقدًا أن الأمر مجرد رمية حظ. وجد أرجاء الحانة مظلمة وتعجُّ بالرجال المتصارعين، وقد بدا الغضب والاستياء على عدد منهم -كما أكدَّت له نظرة ثالثة أطول من سابقتيها- تراجع رينسويند مرة أخرى عندما مرَّ بجانبه مقعد مُلقى عشوائيًّا، لينسحق على الجانب الآخر من الشارع، ثم دلف إلى الحانة.

كان يرتدي رداءً داكنًا، ازدادتْ قتامته بسبب الاستخدام المستمر والغسيل غير المنتظم. لذلك في ظلام الغرفة الدامس، لم يبدُ أن أحدًا

لاحظ شكلًا ظليلًا يتحرك بيأس من منضدة إلى منضدة. في إحدى اللحظات، عندما تأرجح أحد المقاتلين إلى الوراء، وطأ ما بدا له كأنه أصابع، ليشعر بأسنان تعُضُّ كعبه. صرخ المقاتل بصوت مرتفع مُتخليًا عن حذره بشكل كافٍ، فضربه خَصْمه المفاجئ بطرف سيفه.

وصل رينسويند إلى الدرج فيما يمتص يده المتورمة، ويجري مُنحنيًا بشكل غريب. انطلق سهم من قوس صيد، ليخترق الدرابزين الخشبي فوقه، فأطلق الساحر أنينًا خافتًا.

صعد رينسويند الدرج بسرعة مذهلة، متوقعًا في أي لحظة أن تصيبه طلقة أخرى أكثر دقة.

وصل رينسويند إلى الردهة أعلى الدرج، فاستقامت وقفته وتنفس بصعوبة، ورأى الأرض أمامه ملآنة بالجثث، ورجلًا كبيرًا ذا لحية سوداء، يحمل سيفًا ملطخًا بالدماء في يده، فيما يحاول فتح الباب.

صاح رينسويند: «أنت!» فنظر الرجل حوله ثم سحب سكينًا قصيرة من حزامه بعقل شبه غائب، وألقاها تجاهه. انحنى رينسويند، وسمع صرخة قصيرة خلفه، إذ انغرست السكين في حلق الرجل الذي حمل بندقية الصيد بغرض استهدافه بها.

كان الرجل الكبير فعلًا على وشك رمي سكينة أخرى، فنظر رينسويند حوله بجنون، ثم -بتصرف عفوي- اتخذ وضعًا كالسحرة، ثم رمى يده إلى الوراء صائحًا: «أسونيتي! كيوروتشا! بعزلبلور!».

تردد الرجل، وتحوَّلت عيناه بعصبية من جانب إلى آخر انتظارًا لحدوث السحر. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ليفهم أنه لن يصيبه أي سحر، وباللحظة نفسها لما أدرك رينسويند ذلك، هرول بسرعة في الممر وركله بشدة في عانته.

بينما الرجل يصرخ متكورًا على نفسه، فتح الساحر الباب بعنف واندفع داخل الغرفة، ثم أغلقه وراءه بقوة واستند بجسده إليه مُتنهدًا.

كانت الغرفة هادئة، وتوفلاور نائم بسلام على الفراش المنخفض، فيما تقبع أمتعته على الأرض أمام الفراش.

سار رينسويند قليلًا إلى الأمام، يدفعه الطمع كأنَّه يتحرك على عجلات صغيرة. كان الصندوق مفتوحًا، وداخله حقائب. رأى في إحداها بريقَ الذهب. غلب الطمعُ الحذرَ لحظةً، فامتدت يده بحذر... لكنْ ما فائدة ذلك؟ لن يحيا ليتمتع بالذَّهب. فسحب يده بتردد، لتفاجئه حركة خفيفة في غطاء الصندوق المفتوح. هل انزلق قليلًا؟ كأنَّه تأرجح بفعل الرياح؟

نظر رينسويند إلى أصابعه، ثم إلى الغطاء. بدا ثقيلًا، ومغطًّى بأشرطة نُحاسية. كان هادئًا تمامًا الآن.

أي رياح إذن؟

- رينسويند.

قفز توفلاور من السرير صائحًا، فتراجع الساحر محاولًا الابتسام، فيما أكمل توفلاور قائلًا: «صديقي العزيز، في الوقت المناسب تمامًا! سنتناول الغداء على الفور، وبعده أنا واثق أن لديك برنامجًا رائعًا وضعتَه لهذه الظهيرة».

- آآآآ...

- رائع!

أخذ رينسويند نفسًا عميقًا، ثم قال بيأس: «انظر، لنتناول الطعام في مكان آخر. حدثتْ مشاجرة صغيرة هنا في الأسفل».

- مشاجرة في الحانة؟ لماذا لم توقظني؟

- حسنًا، ترى، أنا... ماذا؟

- اعتقدتُ أنني كنت واضحًا صباح اليوم يا رينسويند. أريد أن أرى حياة موربورك الحقيقية، سوقَ العبيد، وبيوتَ البغايا، ومعبدَ الآلهة الصغيرة، وجماعات الشحَّاذين... ومشاجرة حقيقية في الحانة.

ثم أصاب الشك صوت توفلاور قائلًا: «لديكم تلك الأمور، أليس كذلك؟ تأرجُح الناس على الثريات، ومعارك بالسيوف خلال المنضدة، هذا النوع من الأمور التي ينجذب إليها هرون الوحشي وويزل دائمًا. تلك الأمور المثيرة!».

جلس رينسويند بثقل على الفراش وقال: «أتريد أن تشاهد معركة؟».

- أجل. ما الخطأ في ذلك؟

- أولًا، هناك إصابات.

- أوه، لم أقترح أن نشارك. أريد فقط أن أشاهد واحدة، هذا كل شيء. وبعض أبطالكم المشهورين. لديكم بعض الأبطال، أليس كذلك؟ ليس الأمر مجرد كلام على أرصفة الميناء؟

دُهِشَ الساحر، إذ صار توفلاور يتوسل إليه تقريبًا، فقال بسرعة: «أوه، نعم. لدينا بالتأكيد». تخيلهم في عقله، فتراجع من هول الخاطر.

مرَّ جميع أبطال البحر الدائري من أبواب عنخ-موربورك في وقت ما. أتى معظمهم من القبائل البربرية الأقرب إلى المركز المتجمد، كمِنْطَقة اعتادت التجارة في تصدير الأبطال نوعًا ما. كان معظمهم يحملون سيوفًا سحرية خشنة، تسببت موجاتها الحُرَّة من خلال الوسط النجمي في نشر الفوضى في أي تجارب دقيقة للسحر التطبيقي ضمن مسافة تصل إلى ميلين، لكنْ لم يعارضْهم رينسويند لهذا السبب. كان يدرك أنه

مُخفِق في السحر، لذا لم يزعجه أن مجرد ظهور بطل عند أبواب المدينة، أمر كافٍ لتفجير الأفران وظهور الشياطين في جميع أنحاء الحي السحري. لا، ما لم يعجبه في الأبطال أنهم عادة ما يكونون مُحبَطين لدرجة الانتحار عندما لا يشربون الخمر، ومجانين لدرجة القتل في أثناء سُكرِهم. كان هناك الكثير منهم أيضًا، فتزدحم بعض أبرز المناطق بالمهمات المرغوبة بالقرب من المدينة في الموسم. وهناك مناقشات لتنظيم جدول زمني لها.

حكَّ رينسويند أنفه، فالأبطال الوحيدون الذين كان لديه وقت كافٍ لهم، هم براڤد وويزل اللذان كانا خارج المدينة في الوقت الحالي، وهرون الوحشي الذي يُعتبر في الواقع عالمًا وفق معايير المركز، لأنه يمكنه التفكير دون تحريك شفتيه. قيل إن هرون يتجول في مكان ما تجاه الدوران.

قال رينسويند أخيرًا: «انظر، هل سبق لك أن قابلتَ بربريًّا؟».

هزّ توفلاور رأسه، فقال رينسويند: «كنت أخشى ذلك، حسنًا، هُم...».

قاطعه صوت أقدام تركض في الشارع بالخارج، وضوضاء جديدة من الطابق السُّفلي، تلاها ضجيج على الدرج. انفتح الباب قبل أن يتمكن رينسويند من الاستعداد بما يكفي للاندفاع نحو النافذة.

لكنْ بدلًا من المجنون الطامع الذي توقعه، وجد نفسه ينظر إلى الوجه الأحمر المستدير لعريف من الحرس، فتنفس مرة أخرى. طبعًا. كان الحرس دائمًا حذرين من التدخل بسرعة في أي شجار ما لم تكن الاحتمالات لمصلحتهم بشكل كبير. لتلك الوظيفة معاش تقاعدي، فجذبتْ نوعًا حذِرًا ورصينًا من الرجال.

تجهَّم العريف في وجه رينسويند، ثم نظر إلى توفلاور باهتمام مُستفسرًا: «كل شيء على ما يرام هنا، إذن؟».

أجابه رينسويند: «أوه، جيد. تأخرتَ قليلًا، أليس كذلك؟».

تجاهله العريف واستفسر مُجددًا: «هذا هو الأجنبي، إذن؟».

قال رينسويند بسرعة: «كُنَّا على وشك المغادرة»، ثم انتقل إلى لغة تروب قائلًا: «توفلاور، أعتقد أننا يجب أن نتناول الغداء في مكان آخر. أعرف بعض الأماكن المناسبة».

توجَّه إلى الردهة بكل ما أمكنه جمعه من ثقة، فتبعه توفلاور، وبعد بضع ثوانٍ صدر صوت اختناق من العريف فيما أغلق الصندوق غطاءه بصوت مفاجئ، ثم وقف العريف وتمدد، وسار خلفهم.

كان رجال الحراسة يسحبون الجثث من الغرفة في الطابق السفلي. لم يكنْ هناك ناجون، وقد ضمن الحرس ذلك بإعطائهم وقتًا كافيًا للهروب من خلال الباب الخلفي، وهو حل وسط بين الحذر والعدالة استفاد منه جميع الأطراف.

قال توفلاور: «من هؤلاء الرجال؟».

رد رينسويند: «أوه، كما تعلم. مجرد رجال». وقبل أن يتمكن من إيقاف نفسه، تولَّى السيطرة على فمه جزءٌ من عقله لم يكن لديه شيء يفعله، فأضاف: «في الواقع، هم أبطال».

تساءل توفلاور: «حقًّا؟».

عندما تَعلَق إحدى قدميك في مستنقعات هيرول الرمادية، فمن الأسهل لك أن تغرق مباشرة بدلًا من إطالة الصراع. لذلك ترك رينسويند نفسه يغرق قائلًا: «أجل، ذلك هناك هو إريج سترونجنذآرم، والموجود هناك هو بلاك زينيل». سأله توفلاور ناظرًا حوله بشوق: «هل هرون البربري هنا؟».

أخذ رينسويند نفسًا عميقًا وقال: «هو ذلك الرجل خلفنا».

كان حجم هذه الكذبة كبيرًا لدرجة أن تموجاتها انتشرت فعلًا في أحد المستويات النجمية السفلية وصولًا إلى الحي السحري من خلال النهر، حيث اكتسبتْ سرعةً هائلةً من موجة القوة الثابتة الكُبرى التي كانت تحوم هناك دائمًا، وارتدَّت بجنون خلال البحر الدائري. وصل التناغم إلى هرون نفسه، الذي كان يقاتل زوجين من كائنات الجنول على حافة متداعية عالية في جبال كاديراك، فتسببت في لحظة من الانزعاج غير المسوَّغ لديه.

في هذه الاثناء، كان توفلاور قد فتح غطاء الصندوق بسرعة، وسحب مُكعَّبًا أسود ثقيلًا، ليقول: «هذا رائع! لن يصدقوا هذا أبدًا في الوطن!».

قال العريف بشك: «عمَّ يتحدث هذا؟».

ردَّ رينسويند: «إنه سعيد لأنك أنقذتنا». ثم نظر جانبًا نحو المكعب الأسود، يكاد يظنه سينفجر أو يصدر أصواتًا موسيقية غريبة.

قال العريف: «آه». وكان هو الآخر يُحدِّق إلى الصندوق، فابتسم توفلاور لهما بإشراق وقال: «أودُّ تسجيل هذا الحدث. أتظن أنه يمكنك أن تطلب منهم جميعًا الوقوف بجانب النافذة، من فضلك؟ لن يستغرق هذا لحظة. وأنت يا رينسويند؟».

- أجل؟

وقف توفلاور على أطراف أصابعه ليهمس: «أتوقَّع أنك تعرف ما هذا، أليس كذلك؟».

نظر رينسويند إلى الصندوق المكعب، كانت به عين زجاجية مستديرة تبرز من منتصف أحد الأوجه، ورافعة في الخلف، فقال: «ليس تمامًا».

أجابه توفلاور: «إنه جهاز لالتقاط الصور بسرعة. إنه اختراع جديد تمامًا. أنا فخور به للغاية، لكن، لا أعتقد أن هؤلاء السادة سيحبونه... أعني، قد يكونون قلقين نوعًا ما؟ أيمكنك أن تشرح لهم؟ سأعوِّضهم عن وقتهم طبعًا».

قال رينسويند باختصار: «لديه صندوق به شيطان يرسم الصور، افعلوا ما يقوله المجنون وسيعطيكم ذهبًا». فابتسم الحرس بعصبية.

قال توفلاور: «أودُّ أن تكون في الصورة يا رينسويند. هذا جيد». ثم أخرج القرص الذهبي الذي لاحظه رينسويند من قبل، وحدَّق إلى سطحه المحتجب عنهم هنيهةً وتمتم: «ثلاثون ثانية تكفي»، ثم قال بفرح: «ابتسموا من فضلكم!».

قال رينسويند بصوت خشن: «ابتسموا» فيما صدر صوت طنين من الصندوق.

- حسنًا!

حلَّق طائر الباتروس الثاني عاليًا فوق القرص، مُرتفِعًا جدًّا لدرجة أن عينيه البرتقاليتين المجنونتين الصغيرتين أمكنهما رؤية العالم بأسره، والبحر الدائري اللامع الكبير.

رُبِطَتْ بإحدى رجليه كبسولة رسالة صفراء. بينما بالأسفل بعيدًا، تحجبه السُّحُب عن الأنظار، رفرف برفق الطائر الذي أحضر الرسالة السابقة إلى الحاكم في عنخ-موربورك عائدًا إلى منزله.

نظر رينسويند إلى المربع الزجاجي الصغير بدهشة. ارتسمتْ عليه بوضوح صورة لشخصية صغيرة، بالألوان الكاملة، تقف أمام مجموعة من رجال الحراسة الذين تجمدت على وجوههم ابتسامةٌ مروعةٌ. ارتفعت

همهمة من الرعب غير المنطوق بين الرجال حوله، وهم يميلون وراء كتفه للنظر.

أخرج توفلاور مُبتسِمًا حَفنة من العملات الأصغر التي أدرك رينسويند الآن أنها تُسمى ربع رينو، ثم غمز للساحر.

قال توفلاور: «واجهتُ مشكلات مماثلة عندما توقفتُ في الجُزُر البنية. ظنُّوا أن الأيكونوجراف يسرق جزءًا من أرواحهم. أمر مُضحِك، أليس كذلك؟».

ردَّ رينسويند: «تبًّا». ثم، لأن ذلك لم يكن كافيًا من جانبه لاستكمال المحادثة، أضاف: «رغم ذلك، لا أظن أنه يشبهني كثيرًا».

قال توفلاور مُتجاهِلًا إياه: «إنه سهل التشغيل. انظر، كل ما عليك فعله هو ضغط هذا الزر. الأيكونوجراف يتولى الأمر. الآن، سأقف هنا بجانب هرون، ويمكنك التقاط الصورة».

خففتِ العملات الذهبية من حدة توتر الرجال كما يفعل الذهب دائمًا، ودُهِشَ رينسويند عندما وجد أنه بعد نصف دقيقة، يُمسك بصورة زجاجية صغيرة لتوفلاور حاملًا سيفًا ضخمًا مُسننًا، ويبتسم كأنَّ كل أحلامه قد تحقق.

تناولا الغداء في مطعم صغير بالقرب من جسر النُّحاس، فيما استقر صندوق الأمتعة أسفل المنضدة. كان الطعام والنبيذ، وكلاهما أفضل بكثير من طعام رينسويند المعتاد، قد أسهما كثيرًا في تهدئته. قرر أن الأمور لن تصبح سيئة للغاية. كل ما يحتاج إليه هو بعض الابتكار والتفكير السريع.

بدا أن توفلاور يُفكِّر أيضًا، إذ نظر مُتأملًا كأسَ النبيذ وقال: «شجارات الحانات شائعة هنا، أليس كذلك؟».

- أوه، نوعًا ما.

- لا شكَّ أن التجهيزات والتركيبات تتضرر؟

- التجهـ.. أوه، فهمت. تعني مثل المقاعد وما إلى ذلك. نعم، أعتقد ذلك.

- لا بُدَّ أن ذلك يزعج أصحاب الحانات.

- لم أفكِّر في ذلك حقًّا. أعتقد أنها إحدى أخطار المهنة.

نظر إليه توفلاور بتفكير، ثم قال: «قد أتمكن من المساعدة في ذلك، فالأخطار هي عملي. وأظن أن هذا الطعام يبدو دهنيًّا بعض الشيء، أليس كذلك؟».

- لقد قلتَ أنك تريد تجربة بعض الطعام الشعبي في موربورك. ماذا عن الأخطار؟

- أوه، أعرف كل شيء عن الأخطار. إنها عملي.

- أظنكَ قلتَ هذا سابقًا. لم أصدقه في المرة الأولى أيضًا.

- أوه، أنا لا أتحمل الأخطار. أكثر شيء مثير حدث لي كان سكب بعض الحبر. أنا أقيِّم الأخطار. يومًا بعد يوم. أتعرِف ما احتمالات احتراق منزل في مِنْطَقة المثلث الأحمر في بيس بلارجك؟ خمسمئة وثمانية وثلاثون إلى واحد.

ثم أضاف بفخر: «لقد حسبتُ ذلك بنفسي».

قال رينسويند: «لماذا؟». ثم حاول كبح التجشؤ وأكمل: «لماذا؟ اعذرني». وسكب لنفسه المزيد من النبيذ.

قال توفلاور: «من أجل...». ثم توقف وقال: «لا أستطيع قولها باللغة التروبية. لا أظن أن التروبيين لديهم كلمة لذلك. في لغتي نسميها». ثم قال مجموعة من الكلمات الغريبة بالنسبة إلى رينسويند.

كرَّر رينسويند وراءه: «تأ-مين-ضد-الحوا-دث. هذه جملة مضحكة. ماذا تعني؟».

- حسنًا، لنفترض أن لديك سفينةً محملةً، مثلًا، بسبائك الذهب. قد تواجه عواصف أو تتعرض للهجوم من قبل القراصنة. لا تريد أن يحدث ذلك، لذا تحصل على بوليصة تأ-مين. أنا أحسب احتمالات فِقدان الشِّحنة بناءً على تقارير الجو وسجلات القرصنة آخرَ عشرين سنة، ثم أضيف قليلًا، ثم تدفع لي بعض المال بناءً على تلك الاحتمالات.

قال رينسويند ملوحًا بإصبعه بجدية: «وتلك الإضافة؟».

- إذا فُقدت الشِّحنة، أعوضك.

- تعوضني؟

قال توفلاور بصبر: «أدفع لك قيمة شِحنتك».

- فهمتُ. إنه مثل الرهان، صحيح؟

- رهان؟ أظن ذلك، نوعًا ما.

- وأنت تجني المال من هذا التأ-مين؟

- إنه يوفر عائدًا على الاستثمار بالتأكيد.

حاول رينسويند التفكير في ذلك التأ-مين وَفْقَ معايير البحر الدائري، غارقًا في وهج النبيذ الأصفر الدافئ، ثم قال بثبات وهو يراقب العالم يدور حوله: «لا أعتقد أنني فهمت هذا التأ-مين جيدًا. السحر فقط. السحر هو ما أفهمه».

ابتسم توفلاور وقال: «السحر شيء، والاقتصاد شيء آخر».

قال رينسويند: «ماذا؟»

- ماذا؟

قال رينسويند بنفاد صبر: «هذه الكلمة الطريفة التي استخدمتها».

- اقتصاد؟

- لم أسمع بها قطُّ.

حاول توفلاور أن يشرح، وحاول رينسويند أن يفهمه.

في الظهيرة الطويلة، جالوا أنحاء المدينة على ضفة النهر. قاد توفلاور الطريق مُعلِّقًا صندوق الصور الغريب حول عنقه. تبعه رينسويند متذمرًا بين الحين والآخر، محاولًا الحفاظ على هدوء أعصابه.

تبعهما بعض الآخرين أيضًا. ففي مدينة كانت تنفيذات الإعدام العامة والمبارزات والقتالات والصراعات السحرية والأحداث الغريبة تشكل جزءًا من حياتها اليومية بانتظام، وصلت مهارة سكانها في مشاهدة كل جديد إلى ذروة الاتقان. كانوا، بلا استثناء، متفرجين ماهرين للغاية. وعلى أي حال، كان توفلاور يلتقط بفرح صورةً تلو الأخرى للناس في أثناء مشاركتهم في ما وصفه بأنه أنشطة شعبية، ولأنهم سينالون ربع رينو «مقابل عنائهم»، بدأ طابور من الأثرياء الجدد المرتبكين والسعداء يتبعونه على الفور، في حال أطلق هذا الرجل المجنون سيلًا من الذهب.

في معبد سيك ذي الأيادي السبعة، اتفق عاجلًا جمعٌ من الكهنة وحرفيي زرع القلوب من خلال الطقوس على أن تمثال سيك البالغ ارتفاعه مئة ذراع كان مُقدسًا جدًّا لدرجة أنه لا يمكن تحويله إلى صورة

سحرية، لكنْ بعدما دفع توفلاور قطعتي رينو، ذُهِلُوا وقرروا أنه ربما لم يكنْ مقدسًا لتلك الدرجة التي كانوا يعتقدونها.

أنتجت جلسة طويلة في بيوت البغايا عددًا من الصور الملونة والتعليمية، كما أخفى رينسويند بعضها لنفسه كي يفحصها بمزيد من التدقيق الخاص لاحقًا. وبينما تبددتْ أبخرة النبيذ من عقله، بدأ في التأمل بجدية في آلية عمل الأيكونوجراف.

حتى ساحر مُخفِق مثله كان يعلم أن بعض المواد حساسة للضوء. ربما عولجت الألواح الزجاجية خلال عملية غامضة لتُجمِّد الضوء المار من خلالها؟ أو شيء مشابه على الأقل. اشتبه رينسويند في كثير من الأحيان في وجود شيء ما، في مكان ما، أفضل من السحر. كان عادة ما يخيب ظنه.

ومع ذلك، سرعان ما استغل كل فرصة لاستخدام الصندوق. وهو ما أسعد توفلاور للغاية بالسماح لذلك، لأنه يتيح للرجل الصغير أن يظهر في صوره الخاصة. وفي هذه اللحظة، لاحظ رينسويند شيئًا غريبًا. كانت حيازة الصندوق تمنح نوعًا من القوة لحامله وهي أن أي شخص، يواجه العين الزجاجية المنومة، سيطيع بانقياد الأوامر الفورية لاتخاذ وضعية الوقوف وتعبيرات الوجه.

وعند وصولهما إلى ساحة الأقمار المكسورة، حلَّت الكارثة.

كان توفلاور قد وقف بجانب بائع رُقى سحرية مرتبك، فيما راقبته حشود معجبيه الجدد بفضول، في حال فعل شيئًا جنونيًّا طريفًا.

ركع رينسويند على ركبة واحدة، لتثبيت الصورة بشكل أفضل، ثم ضغط الرافعة المسحورة.

قال الصندوق: «لا جدوى. لقد نفدَ اللون الوردي».

فُتِحَ باب في الصندوق لم ينتبه له من قبل أمام عينيه، ليبرز منه رجل صغير أخضر اللون وممتلئ بالزوائد الجلدية المقرفة، وأشار بيده المخلبية إلى لوح ألوان ملوث يمسكه بيده الأخرى، ليصيح في وجهه: «لا وجود للوردي! ألا ترى؟ لا جدوى من استمرارك في الضغط على الرافعة عندما لا يوجد لون وردي، حسنًا؟ إذا أردتَ الوردي، لم يكنْ ينبغي أن تلتقط كل تلك الصور للسيدات الشابات، أليس كذلك؟ سيكون كل شيء أحادي اللون اعتبارًا من الآن يا صديقي. هل فهمت؟».

قال رينسويند: «حسنًا. نعم، بالتأكيد». وفي إحدى الزاوية المظلمة داخل الصندوق الصغير، ظن أنه رأى حاملًا للوحات الرسم، وسريرًا صغيرًا غير مُرتَّب. وكم تمنى لو أنه لم يرَ ذلك.

قال العفريت القزم: «ما دمتَ فهمتَ الأمر، وداعًا». ثم أغلق الباب. ظن رينسويند أنه سَمِعَ صوتَ شكوى مكتومة، ثم جرَّ كرسيٍّ خلال الأرض.

قال رينسويند: «توفلاور...». ثم رفع رأسه، ليجد أن توفلاور اختفى. استمر رينسويند في التحديق إلى الحشد، وشعوره بالرعب يَخِزُه ويتسلل على عموده الفقري، إلى أن شعر بلمسة خفيفة في أسفل ظهره، وصوت كالحرير الأسود يقول: «استدرْ على مهل، أو قُل وداعًا لكُليتيك».

شاهد الحشد ما يحدث بفضول. يبدو أنه سيكون يومًا جيدًا جدًّا. استدار رينسويند ببطء، فيما يشعر بطرف السيف الحاد يخدش ضلوعه. ليرى أمامه المُمسك بالسيف، سترين ويزل، اللص، المقاتل القاسي والمنافس المستاء على لقب أسوأ رجل في العالم.

قال رينسويند بضعف: «مرحبًا». فيما لاحظ على بُعد أمتار رجلين قاسيين يرفعان غطاء صندوق الأمتعة، ويشيران بحماس إلى أكياس

الذهب. ابتسم ويزل، فأثَّر ذلك في وجهه المتعرج بشكل مربك وقال: «أنا أعرفك، أنت ساحر متسكع. ما هذا الشيء الذي تحمله؟».

أدرك رينسويند أن غطاء الأمتعة يرتعش قليلًا، رغم عدم وجود رياح. وأنه لا يزال يحمل صندوق الصور، فقال بمرح: «هذا؟ إنه يصنع صورًا، أتريد واحدة؟» ثم تراجع بسرعة، ووجَّه الصندوق نحوه.

تردد ويزل للحظة، ثم قال: «ماذا؟».

قال رينسويند: «لا عليكَ، احتفظ فقط بهذه الابتسامة...».

وقف اللص قليلًا، ثم زمجر ولوَّح بسيفه إلى الوراء. حدثت فرقعة، وزوج من الصرخات الرهيبة. لم يلقِ رينسويند نظرة خلفه خوفًا من الأشياء الرهيبة التي قد يراها، وعندما نظر ويزل للبحث عنه مرة أخرى، كان قد وصل إلى الجانب الآخر من الساحة، مُستمرًّا في الركض.

هبط طائر الباتروس ببطء في حركات دائرية واسعة، انتهتْ بتناثر الريش وارتطامه عندما حط بثقله على منصة الطيور في حديقة طيور الحاكم. استيقظ حارس الطيور، الذي كان نائمًا تحت أشعة الشمس، بالكاد يتوقع قرب وصول رسالة بعيدة المدى ببداية الصباح، فهبَّ واقفًا ونظر إلى الأعلى.

بعدها بلحظات قليلة، كان يندفع خلال ردهات القصر مُمسِكًا بكبسولة الرسالة، وبسبب إهماله الناتج عن المفاجأة، كان يمصُّ جرحَ المنقارِ البشعِ على ظهر يده.

ركض رينسويند في أحد الأزقة، دون أن يلقي بالًا لصرخات الغضب الصادرة من صندوق الصور، وتخطَّى جدارًا عاليًا فيما يرفرف رداؤه

المهترئ حوله كريش الغراب الأشعث. هبط في الساحة الأمامية لمتجر السجاد، فبعثر البضائع بين الزُبُن، وقفز من خلال مخرجه الخلفي مُعتذِرًا، ثم اتجه إلى زقاق آخر وتوقف، ليتأرجح بخطورة، إذ كان على وشك أن يغرق بلا تفكير في نهر العنخ.

يُقال إن هناك بعض الأنهار السحرية التي يمكن لقطرة واحدة منها أن تسرق حياة الإنسان. بعد مروره العكر خلال المدينتين التوأمتين، ربما كان نهر العنخ أحد تلك الأنهار.

وعلى مبعدة، اكتسبت صيحات الغضب نبرة عالية من الرعب. نظر رينسويند حوله بيأس بحثًا عن قارب، أو عن موضع يستمسك به بالجدران العمودية على جانبيه.

لقد حوصِر.

وبلا سبب، تدفقتِ التعويذة في عقله. ربما كان خطأً أن نقول إنه تعلمها؛ بل هي التي تعلمته. قادته هذه الحادثة إلى طرده من الجامعة الخفيَّة، لأنه بسبب رهان ما، تجرأ على فتح صفحات آخِر نسخة متبقية من كتاب السحر الخاص بالخالق، الأوكتاڤو (فيما شُغِل أمين مكتبة الجامعة بأمور أخرى). قفزتِ التعويذة من الصفحة واخترقت أعماق عقله على الفور، إذ لم يتمكن حتى طلبة كلية الطب الموهوبين مجتمعين من إخراجها. لم يستطيعوا تحديد أي تعويذة هي بالتحديد، باستثناء أنها واحدة من التعاويذ الثمانية الأساسية المتشابكة بشكل معقد مع نسيج الزمان والمكان نفسه.

منذ ذلك الحين، أظهرتِ التعويذة ميولًا تبعث على القلق، فكلما شعر رينسويند بالإرهاق أو بالتهديد الشديد، تبدر محاولات منها لأن تخرج وتُقال.

كزَّ رينسويند أسنانه، لكنْ أجبر المقطع الأول من التعويذة نفسه على الخروج من فمه. ارتفعتْ يده اليسرى بلا إرادة، ومع دوران القوة السحرية حوله، بدأت شرارات الأوكتارين في الانطلاق...

اندفع صندوق الأمتعة حول الزاوية، فتحركتْ مئات الأقدام أسفله كالمكابس. فتح رينسويند فمه بدهشة. ماتت التعويذة، دون أن تُقال.

لم يبدُ أن الصندوق تأثر بأي شكل بالسجادة المزخرفة التي تدلَّت فوقه بمكر، ولا باللص المتعلق بذراعه من الغطاء. كان، بصدق، حملًا زائدًا. وعلى طول الغطاء كانت هناك بقايا إصبعين، صاحبهما مجهول.

توقف الصندوق على بعد بضع أقدام من الساحر، وبعد لحظة، سحب أرجله. لم يكنْ لديه أعين يمكن لرينسويند رؤيتها، لكنه كان متأكدًا أنه يحدق إليه في انتظار.

قال رينسويند بضعف: «ابتعدْ». لم يتحرك الصندوق، لكنْ تأرجح الغطاء وانفتح، ليُطلِق اللص الميت.

تذكَّر رينسويند الذهب. ربما يلزم وجود سيد للصندوق. وفي غياب توفلاور، هل اعتمده الصندوق كسيده؟

بدأ المد بتحويل اتجاهه، ورأى الحطام ينجرف مع التيار في الضوء الأصفر لوقت العصر نحو بوابة النهر، على بعد تسعين مترًا فقط في مجرى النهر. يتطلب الأمر لحظة واحدة لجعل اللص الميت ينضم إلى الحُطام. حتى لو عُثِرَ عليه لاحقًا، لن يثير ذلك تعليقًا كبيرًا. وأسماك القرش في المصب اعتادت وجبات ثابتة ومنتظمة.

شاهد رينسويند الجسدَ ينجرف بعيدًا، ففكَّر في خطوته التالية. ربما يمكن للصندوق أن يطفو. كل ما عليه فعله هو الانتظار حتى الغسق، ثم الانطلاق مع المد. هناك أماكن بريَّة عدَّة في مجرى النهر حيث يمكنه أن يرسو على الشاطئ، وبعدها... حسنًا، إذا كان الحاكم قد أرسل إشعارًا

عنه فعلًا، فإن تغيير الملابس وحلاقة الذقن سيتكفلان بإخفائه. على أي حال، هناك أراضٍ أخرى، ولديه موهبة تعلم اللغات.

فليصل فقط إلى كيميرا أو جونيم أو إيكالبون، ولن تتمكن نصف دزينة من الجيوش من إعادته. وبعدها تأتي الثروة، الراحة، الأمان...

لكن هناك، طبعًا، مشكلة توفلاور. سمح رينسويند لنفسه بلحظة من الحزن، وقال مُودِّعًا: «كان من الممكن للوضع أن يسوء، كان يمكن أن أكون أنا».

عندما حاول التحرك، اكتشف أن رداءه كان عالقًا في بعض العوائق. لوى رقبته لينظر خلفه، فوجد أن غطاء الصندوق أمسك حافة ردائه بإحكام.

قال الحاكم بلطف: «آه، جورفال، تفضل بالدخول. اجلسْ. هل يمكنني أن أقدم لك نجمَ البحر المُحلَّى؟».

قال الشيخ بهدوء: «أنا طوْع أمرك يا سيدي. باستثناء، ربما، في مسألة الحيوانات الشوكية المحفوظة».

هزَّ الحاكم كتفيه، وأشار إلى المخطوطة على المنضدة قائلًا «اقرأ هذه».

أخذ جورفال الرَّق، فرفع حاجبه قليلًا عندما رأى الرموز المألوفة للإمبراطورية الذهبية. قرأ في صمت نحوَ دقيقة، ثم قلب المخطوطة ليفحص بعناية الختم على الجانب الآخر.

قال الحاكم: «إنك مشهور كدارس لشؤون الإمبراطورية، أيمكنك شرح هذا؟».

قال الدبلوماسي الشيخ: «المعرفة بالنسبة إلى الإمبراطورية لا تكمن في ملاحظة الأحداث المحددة، بقدر ما تكمن في دراسة نوع معين من التفكير. الرسالة غريبة بالتأكيد، لكنها ليست مفاجئة».

قال الحاكم: «هذا الصباح أمرني الإمبراطور...». ثم سمح لنفسه بترف التقطيب وأكمل: «أمرني يا جورفال، بحماية هذا الشخص المدعو توفلاور. والآن يبدو أنني يجب أن أقتله. ألا تجد ذلك مفاجئًا؟».

- لا. الإمبراطور مجرد صبي. إنه مثالي. حريص. يُعتبر إلهًا بالنسبة إلى شعبه. أما رسالة هذا العصر، ما لم أكن مخطئًا جدًّا، فجاءت من رئيس الوزراء المدعو تسع مرايا دوارة. لقد شاخ في خدمة عدة أباطرة، يعتبرهم عنصرًا ضروريًّا ولكنه مُرهِق لإدارة الإمبراطورية بنجاح. لا يحب الأشياء الخارجة عن موضعها. لم تُبنَ الإمبراطورية بالسماح للأشياء بالخروج عن موضعها. هذه هي وجهة نظره.

قال الحاكم: «بدأتُ أفهم..».

ابتسم جورفال من وراء لحيته قائلًا: «لذلك، هذا السائح شيء خارج عن موضعه. بعد الموافقة على رغبات سيده، سيرتِّب تسع مرايا دوارة -وأنا مُتأكد تمامًا- ترتيباته الخاصة لضمان عدم السماح لهذا المتجول بالعودة إلى الوطن، إذ ربما جلب معه مرضَ عدم الرضا. تحب الإمبراطورية أن يبقى الناس حيث وضعتهم. سيكون من الأنسب بكثير إذن، إذا اختفى توفلاور هذا إلى الأبد في الأراضي البربرية. أي هنا يا سيدي».

سأله الحاكم: «وما نصيحتك؟». فهزَّ جورفال كتفيه وقال: «لا تفعل شيئًا فحسب. ستتجه الأمور نحو الحل بالتأكيد. ومع ذلك»، حك أذنه بتفكير، وأكمل: «ربما جماعة القتلة...؟».

قال الحاكم: «أوه أجل. جماعة القتلة. من رئيسهم في الوقت الحالي؟».

- زلورف فلانيلفوت يا سيدي.

- تحدث معه، حسنًا؟

- بالتأكيد يا سيدي.

أومأ الحاكم، إذ غمره ارتياح كبير. إنه يتفق مع تسع مرايا دوارة في وجهة نظرة، فالحياة صعبة بما فيه الكفاية. يجب أن يظل الناس حيثما وُضِعوا.

تألّقت الأبراج المتلألئة في سماء عالم القُرص. أغلق التُّجَّار محالهم واحدًا تلو الآخر. وكذلك استيقظ النشالون، والسارقون، والمحتالون، والبغايا، والسحرة، والمخادعون ولصوص المنازل واحدًا تلو الآخر ليتناولوا إفطارهم. انهمك السحرة في شؤونهم العابرة للأبعاد. وشهدت الليلة اقتران كوكبيْن قوييْن، وتلبُّدَ الهواء فوق الحي السحري فعلًا بالتعاويذ المبكرة.

قال رينسويند: «انظر، لا فائدة من كل هذا». ثم تحرك قليلًا نحو جانب الطريق، فتبعه صندوق الأمتعة بإخلاص، وغطاؤه نصف مفتوح في تهديد. فكَّر رينسويند لحظةً في الهرب نحو بَرِّ الأمان، لكنِ انغلق الغطاء بقوة وانفتح مُتحفِّزًا.

أخبر رينسويند نفسه بقلب مثقل، أنه في أي حال، سيتبعه ذلك الشيء اللعين مجددًا، إذ بدا عليه العناد كالكلاب. حتى لو تمكن من الحصول على حصان، فلديه شك مزعج بأنه سيتبعه بوتيرته الخاصة. بلا نهاية. حتى إن سبح خلال الأنهار والمحيطات. سيتباطأ كل ليلة إذ

عليه التوقف للنوم. ثم في يوم ما، في مدينة غريبة بعد سنوات من الآن، سيسمع صوت مئات الأقدام الصغيرة تُسرِع على الطريق خلفه...

صاح رينسويند متأوهًا: «لستُ أنا من تريده! ليستْ غلطتي! لم أختطفه!».

تحرَّك الصندوق إلى الأمام قليلًا. لم يكن هناك الآن سوى شريط ضيق من رصيف موحِل بين كعبيْ رينسويند والنهر. ألهمته لمحة من التنبؤ أن الصندوق سيمكنه السباحة بسرعة أكبر منه. حاول ألَّا يتخيل كيف سيكون الغرق في نهر العنخ.

حادثه صوت صغير قائلًا: «إنك تعلم أنه لن يتوقف حتى تستسلم له».

نظر رينسويند إلى الأيكونوجراف الذي ما زال يتدلى حول عنقه. كان بابه مفتوحًا والقزم الصغير يتكئ على الإطار، يدخن غليونًا ويشاهد الأحداث مُستمتِعًا.

قال رينسويند بغيظ: «على الأقل، سآخذكَ معي».

انتزع القزم الغليون من فمه وقال: «ماذا قُلت؟».

- قُلت سآخذك معي، اللعنة!

ضرب العفريت جانب الصندوق وقال: «كما تريد. سنرى من يغرق أولًا».

تثاءبت الأمتعة، وتحركت إلى الأمام بضع بوصات.

قال رينسويند بانزعاج: «حسنًا، لكنْ عليك أن تعطيني وقتًا للتفكير».

تراجع صندوق الأمتعة ببطء، فاتجه رينسويند إلى اليابسة الآمنة وجلس مستندًا إلى جدار، فرأى أنوار مدينة عنخ تتوهج خلال النهر.

قال عفريت الصورة: «أنت ساحر، ستفكر في طريقة لإيجاده».

- أخشى أنني لست ساحرًا مميزًا.

أضاف العفريت مشجعًا، متجاهلًا ملاحظته الأخيرة: «يمكنك مهاجمة الجميع وتحويلهم إلى ديدان».

- لا. التحويل إلى حيوانات هي تعويذة من المستوى الثامن. لم أكملْ تدريبي حتى. أعرف تعويذة واحدة فقط.

- حسنًا، سَيَفي ذلك بالغرض.

أجابه رينسويند بيأس: «أشك في ذلك».

- وماذا تفعل تلك التعويذة؟

- لا أستطيع أن أخبرك. لا أريد حقًّا التحدث عن ذلك. لكنْ بصراحة... تنهد رينسويند وأكمل: «التعاويذ لا تفيد بحق. يستغرق الأمر ثلاثة أشهر لحفظ أبسط التعاويذ، وبعد ذلك بمجرد استخدامها، بوف! تختفي. أتعلم؟ هذا هو الجزء الغبي في كل ما يتعلق بالسحر. تقضي عشرين عامًا في تعلم التعويذة التي تجعل العذارى العاريات يظهرن في غرفتك، ثم تسممك أبخرة الزئبق وتفقد نصف بصرك من قراءة كتب السحر القديمة، لدرجة أنك لا تتذكر ماذا يحدث تاليًا.

قال العفريت: «لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل».

- مهلًا، انظر... كل هذا خطأ. عندما قال توفلاور إنهم حصلوا على نوع أفضل من السحر في الإمبراطورية، ظننت.. ظننت...

نظر إليه العفريت بتوقع، فأطلق رينسويند سبةً في سره.

- حسنًا، إذا كنتَ تريد أن تعرف، ظننتُ أنه لم يقصد السحر. ليس بهذا الشكل.

- ما الذي يمكن أن يكون هناك إذن؟

بدأ رينسويند يشعر ببؤس شديد، فقال: «لا أعرف، ربما طريقة أفضل لفعل الأشياء. شيء يحتوي على قليل من المنطق. تسخير... تسخير البرق، أو شيء من هذا القبيل».

نظر إليه العفريت نظرة لطيفة لكنْ مشفقة.

قال العفريت بلطف: «البرق هو الرماح التي يقذفها عمالقة الرعد عندما يقاتلون. إنها حقيقة مثبتة من حقائق الأرصاد الجوية. لا يمكنك تسخيره».

أجابه رينسويند ببؤس: «أعرف. هذا هو الخلل في الحُجَّة، طبعًا».

أومأ العفريت، ثم اختفى داخل أعماق الأيكونوجراف. بعدها بلحظات، اشتمَّ رينسويند رائحة قلي لحم خنزير مقدد. انتظر حتى لم تعد معدته قادرة على تحمل الاضطراب. طرق على الصندوق، فظهر العفريت مُجددًا، وقال قبل أن يتمكن رينسويند من فتح فمه: «كنتُ أفكر في ما قلته.. حتى لو تمكنتَ من تقييده بسَرْج، كيف يمكنك جعله يسحب عربة؟».

- عم تتحدث بحق الجحيم؟
- البرق. إنه يتحرك صعودًا وهبوطًا فقط. تريده أن يتحرك أفقيًّا، وليس صعودًا وهبوطًا. على أي حال، من المحتمل أن يحرق حزام السَّرج.
- لا أهتم بالبرق! كيف يمكنني التفكير وأنا جائع؟
- كُلْ شيئًا إذن. هكذا يقول المنطق.
- كيف؟ كلما تحركتُ، فتح ذلك الصندوق اللعين مفصلاته في وجهي!

فتح صندوق الأمتعة فمه على مصراعيه في التوقيت المناسب.

- أرأيت؟

ردَّ العفريت: «إنه لا يحاول عضك، هناك طعام بالداخل. لن تفيده بشيء إذا جعتَ».

حدَّق رينسويند إلى الزوايا المظلمة لصندوق الأمتعة. فوجد فعلًا عدة زجاجات وحُزَم في ورق مشمَّع، بين أكوام من الصناديق وحقائب الذهب. ضحك رينسويند ساخرًا وتسَكَّع حول الرصيف المهجور حتى وجد قطعة خشب بطول مناسب، ووضعها بأدب قدر الإمكان في الفراغ بين الغطاء والصندوق، وسحب واحدة من الحُزَم المسطحة.

وجد بداخلها بسكويتًا تبيَّن أنه صلب كالخشب الماسي.

تمتم رينسويند متحسسًا أسنانه: «اللـــ.. آه.. ـعـنة».

قال العفريت من باب صندوقه: «إنه بسكويت كابتن إيتبانثر للمسافرين. لقد أنقذ حياة العديدين في البحر».

- أوه، بالتأكيد. أتستخدمهم كطوف، أم ترميهم فحسب إلى أسماك القرش وتراقبهم وهم يغرقون؟ ماذا يوجد بتلك الزجاجات؟ سم؟

- ماء.

- لكنَّ الماء موجود في كل مكان! لماذا سيحضر ماء؟

- ثقة.

- ثقة؟

- نعم. إنه لا يثق بالماء الموجود هنا. فهمت؟

فتح رينسويند زجاجة. ربما كان السائل بداخلها ماءً فعلًا. كان بلا طعم، بلا أي أثر للحياة، فتمتم: «لا طعم ولا رائحة».

أحدث صندوق الأمتعة صريرًا صغيرًا جذب انتباهه، وبإحساس كسلان من التهديد المدروس، أغلق غطاءه ببطء طاحنًا القطعة الخشبية التي وضعها رينسويند كرغيف جاف، فقال: «حسنًا، حسنًا، أنا أفكر».

يقع مقرُّ يمور في البرج المائل عند تقاطع شارع رايم وزقاق فروست. عند منتصف الليل، نظر الحارس الوحيد الواقف في الظلال إلى الكواكب المقترنة، وتساءل بشكل عابر عن تغيرات حظوظه الناتجة عن ذلك الاقتران. ثم سمع صوتًا ضعيفًا للغاية، كطنين بعوضة تتثاءب.

نظر الحارس إلى الشارع المهجور، ولاحظ سقوط بريق ضوء القمر على شيء ملقى في الطين على بعد بضعة أمتار. التقطه من الأرض، فلمع ضوء القمر على قطعة الذهب، فشهق بصوت عالٍ بما يكفي ليتردد صداه خلال الزقاق.

سمع صوتًا خفيفًا مرة أخرى، ثم تدحرجتْ عملة أخرى خلال المزراب على الجانب الآخر من الشارع.

بحلول الوقت الذي التقطَ فيه العملة الثانية، كانت هناك عملة أخرى، على بعد قليل وما زالت تدور بموضعها. تذكر ما قيل إن الذهب يتكون من الضوء المتبلور للنجوم. حتى الآن لم يصدق قطُّ أنه من الممكن أن يسقط شيء ثقيل كالذهب طبيعيًّا من السماء.

عندما وصل إلى بداية الزقاق المقابل، سقط المزيد. ولكنه كان بكمية كبيرة داخل حقيبة، أسقطها رينسويند بقوة على رأسه.

عندما استفاق الحارس، وجد نفسه ينظر إلى وجه ساحر بعينين جاحظتين، يهدد حلقه بسيف. وفي الظلام، قبض شيء آخر على ساقه أيضًا.

كانت القبضة المؤلمة دليلًا على أن القابض يمكن أن يقبض بقوة أكبر بكثير، فقط إذا أراد ذلك.

همس الساحر: «أين ذهب الأجنبي الثري؟ أجِب بسرعة!».

قال الرجل بنبرة خائفة: «ماذا يمسك بساقي؟». وحاول التملص، فازداد ضغط القبضة.

- لن تودَّ أن تعرف. أرجوك انتبه. أين الأجنبي؟

- ليس هنا! لقد أخذوه إلى بيت برودمان! الجميع يبحثون عنه! أنت رينسويند، أليس كذلك؟ الصندوق... الصندوق الذي يعض الناس... لا لا لا... أرجووووك.

رحل رينسويند، وشعر الحارس بالشخص المُمسِك بساقه -أو كما بدأ يخشى- الشيء المُمسِك بساقه يتركها. ثم، بينما كان يحاول النهوض، اندفع نحوه شيء كبير وثقيل ومربع خارجًا من الظلام، وانطلق يتبع الساحر. شيء له مئات الأقدام الصغيرة.

حاول توفلاور شرح أمور التأمين الغامضة لبرودمان، بمساعدة كتاب تفسير العبارات الذي صنعه بنفسه. استمعَ صاحب النزل البدين باهتمام، فيما تلمع عيناه السوداوان الصغيرتان.

من الطرف الآخر للمنضدة، شاهد يمور ما يحدث باستمتاع خفيف، وهو يُطعِم غُرابه قطعًا من طبق طعامه بين الحين والآخر. وبجانبه، استمر ويزل في السير ذَهَابًا وإيابًا.

قال يمور دون أن يرفع عينيه عن الرجلين المقابلين له: «أنت قلق جدًّا، يمكنني الإحساس بذلك يا سترين. من يجرؤ على مهاجمتنا هنا؟

سيأتي الساحر المتسكع. وسيمنعه جُبنُه الشديد من عدم القدوم. وسيحاول المساومة. وسنمسكه. وسنحصل على الذهب. والصندوق».

حدَّق ويزل بعينه الوحيدة، وضرب قبضته في كف يده المُغطاة بالقفاز الأسود، ثم قال: «من كان يعتقد أن هناك الكثير من خشب الكمثرى الحكيم في أنحاء القرص؟ كيف أمكننا أن نعرف؟».

قال يمور بلطف: «أنت تبالغ في قلقك يا سترين. أنا متأكد من أنك قادر على القيام بعمل أفضل هذه المرة».

نخر ويزل باشمئزاز، وسار خلال الغرفة لمضايقة رجاله، فيما استمر يمور في مراقبة السائح.

كان الأمر غريبًا، لكنْ يبدو أن الرجل الصغير لا يُدرِك خطورةَ موقفه. لقد رآه يمور في عدة مناسبات ينظر إلى أرجاء الغرفة بتعبير يعكس الرضا العميق. كما كان يتحدث أوقاتًا طويلة مع برودمان، ورآهما يمور يتبادلان ورقة ما. ثم إن برودمان أعطى الأجنبي بعض العملات. كان هذا غريبًا.

عندما نهض برودمان وتهادى بجانب كرسي يمور، اندفعت ذراع سيد اللصوص كزنبرك فولاذي وأمسكتْ بالرجل البدين من مئزره.

سأله يمور بهدوء: «ماذا تفعلان يا صديقي؟».

- لا..لا شيء يا يمور. مجرد عمل خاص، كما ترى.

- لا توجد أسرار بين الأصدقاء يا برودمان.

أجابه صاحب الحانة بارتباك: «أجل.. حسنًا، أنا نفسي لستُ متأكدًا منه. إنه نوع من الرهان، يُسمى تأ-مين. إنه كالرهان على أن الطبلة التالفة لن تحترق».

حدَّق يمور بالرجل حتى ارتعش برودمان خوفًا وخجلًا، ثم ضحك سيد اللصوص قائلًا: «هذه الكومة القديمة المتعفنة؟ لا بُدَّ أنه مجنون!».

- نعم، لكنه مجنون لديه المال. يقول الآن إنه حصل على... لا أستطيع تذكر الكلمة، تبدأ بحرف الباء، إنها ما يمكنك تسميته مال الرهان... والناس الذين يعمل لديهم في الإمبراطورية الأجتية هم من سيدفعونه. إذا احترقت الطبلة التالفة -ليس أنني آمل أن يحدث ذلك- أعني أن تحترق الطبلة التالفة... أعني، إنها مثل المنزل بالنسبة إليَّ، هي الطبلة...

قال يمور: «يبدو أنك لست غبيًّا تمامًا، أليس كذلك؟». ثم دفع صاحب الحانة بعيدًا.

انفتح الباب بقوة واصطدم بالحائط، فصرخ برودمان: «مهلًا، هذا بابي!». ثم أدرك من يقف في أعلى الدرج، فاختبأ خلف المنضدة قبل لحظة واحدة فقط من انطلاق سهم أسود قصير خلال الغرفة وارتطم بالخشب. حرك يمور يده بحذر، وصبَّ قدحًا آخر من الجعة قائلًا بهدوء: «ألن تنضم إليَّ يا زلورف؟ وأدخِلْ ذلك السيف يا سترين. زلورف فلانيلفوت صديقنا».

أدار رئيس جماعة القتلة أنبوب النفخ القصير خاصته بمهارة، وأعاده إلى جرابه في حركة سلسة واحدة.

قال يمور: «سترين!».

همَّ اللصُّ مرتدي السواد، وأعاد سيفه إلى غمده. لكنه أبقى يده على المقبض، وعينيه على القاتل.

لم يكن ذلك سهلًا. فالترقية في جماعة القتلة تتم من خلال الاختبار التنافسي، والجانب التطبيقي هو الأهم، بل كان الجانب الوحيد. لذا امتلأ وجه زلورف العريض المستقيم بندوب المعارك، نتيجة للعديد من

المواجهات الخطرة. لم يكن مظهره جيدًا بأي حال، إذ يُقال إن زلورف اختار مهنة تشتمل بشكل كبير على الأغطية الداكنة، والعباءات، والتجول الليلي لأن لديه جزءًا في سلالته من كائنات الترول أعداء النهار. كل من قالوا هذا على مسمع من زلورف، عادوا إلى منازلهم حاملين آذانهم المقطوعة في قبعاتهم.

نزل الدرج متبخترًا، يتبعه عدد من القتلة. وعندما صار أمام يمور مُباشرةً قال: «جئتُ من أجل السائح».

- أيخصُّك هذا الشأن يا زلورف؟

- نعم. جرينجو، أورموند... خُذاه.

تقدَّم اثنان من القتلة، فقطع سترين طريقهما، وظهر سيفه ليتمركز على بعد سنتيمترين من حناجرهما دون أن يضطر إلى المرور خلال الهواء الفاصل.

تمتم ويزل: «ربما يمكنني قتل واحد منكما فقط، لكنني أقترح عليكما أن تسألا نفسيكما... من سيكون؟».

قال يمور: «انظر إلى الأعلى يا زلورف».

كان بالأعلى صف من الأعين الشريرة، الناظرة إلى الأسفل من الظلام بين العوارض.

قال سيد اللصوص: «خطوة أخرى وستغادر المكان بعدد من الأعين أقل مما أتيت به». ثم أضاف بعد هنيهة: «لذا اجلسْ وتناولْ شرابًا يا زلورف، ودعنا نتناقش في الأمر بعقلانية. ظننت أننا لدينا اتفاق، أنت لا تسرق، وأنا لا أقتل. ليس مقابل المال».

أخذ زلورف الجعة المُقدَّمة إليه، ثم قال: «إذن؟ سأقتله. ثم تسرقه أنت. أليس هو ذلك الشخص ذو الهيئة العجيبة هناك؟».

- أجل.

حدَّق زلورف إلى توفلاور، فابتسم توفلاور إليه. هزَّ زلورف كتفيه، فنادرًا ما ضيَّع وقته في التساؤل عن سبب رغبة الناس في التخلص من أشخاص آخرين. بالنسبة إليه، كان الأمر مجرد وسيلة للعيش.

قال يمور: «من هو عميلك، إن كان لي أن أسأل؟».

رفع زلورف يده احتجاجًا: «من فضلك! آداب المهنة».

- أكيد. بالمناسبة...

- نعم؟

- أعتقد أن لديَّ زوجين من الحراس في الخارج.

- كان لديك.

- وبعض الآخرين في المدخل خلال الشارع.

- سابقًا.

- وزوجان من رماة الأسهم على السطح.

مرَّت لمحة من الشك على وجه زلورف، مثل آخر شعاع من ضوء الشمس فوق حقل أسيء حرثه.

انفتح الباب بقوة، فألحق أضرارًا كبيرة بالقاتل الواقف بجانبه.

صرخ برودمان من تحت منضدته: «توقف عن فعل ذلك!».

حدَّق زلورف ويمور إلى الشخص الواقف على عتبة الباب. كان قصيرًا، سمينًا ويرتدي ملابس فاخرة. فاخرةً جدًّا. ويلوح خلفه عدد من الكائنات الطويلة الكُبرى. ببنية ضخمة للغاية تبدو عليها الخطورة.

قال زلورف: «من هذا؟».

أجاب يمور: «أعرفه، اسمه ريرب. يدير حانة الطبق المتذمر قرب جسر النُّحاس. أخرجه يا سترين».

رفع ريرب يده المزينة بالخواتم. تردد سترين ويزل في منتصف الطريق إلى الباب حيث انحنى عدد من كائنات الترول الضخمة تحت إطار الباب ووقفوا على جانبيِ الرجل البدين وقد ضايقهم الضوء. انتفختْ عضلاتهم الضخمة بحجم البطيخ في سواعد مثل أكياس الدقيق. وحمل كل ترول فأسًا مزدوجة الرأس بين الإبهام والسبابة.

اندفع برودمان من مخبأه، وصاح بغضب: «اخرجوا! أخرج هؤلاء الترولات من هنا!».

لم يتحركْ أحد. فجأة أصبحت الغرفة هادئة. نظر برودمان حوله بسرعة، وقد بدأ يدرك للتوِّ ما قاله، ولمن. فخرجتْ أنةٌ من شفتيه، كأنها فرحتْ بتحررها.

وصل إلى باب قبو النبيذ في الوقت الذي رمى فيه أحد الترولات رميةً كسلانةً من يده الضخمة بحجم الفخذ، بتطويح فأسه خلال الغرفة، فاندمج صوت انغلاق الباب وانقسامه لاحقًا عند اصطدام الفأس به، في صوت واحد.

صاح زلورف فلانيلفوت: «اللعنة!».

سأله يمور: «ماذا تريد؟».

قال ريرب بنبرة هادئة: «أنا هنا نيابةً عن نقابة التجار وأصحاب الدكاكين، يمكنكَ أن تقول، لحماية مصالحنا. أعني الرجل الصغير».

عقد يمور حاجبيه وقال: «معذرةً، ظننتُ أنني سمعتكَ تقول نقابة التجار؟».

وافقه ريرب قائلًا: «وأصحاب الدكاكين». فظهر خلفه الآن، بالإضافة إلى المزيد من الترولات، العديد من البشر الذين عرفهم يمور بشكل سطحي. ربما رآهم، خلف مناضد المتاجر وباراتها. شخصيات ثانوية، يسهل تجاهلها ونسيانها عادةً. بدأ شعور سيئ ينمو في مؤخرة عقله. ففكَّر في ما يمكن أن يحدث، مثلًا، عندما يواجه الثعلب خروفًا غاضبًا. والخروف، إضافة إلى ذلك، يمكنه تحمل تكاليف توظيف الذئاب.

سأله: «منذ متى تأسستْ تلك النقابة، إذا جاز لي السؤال؟».

قال ريرب: «منذ وقت العصر هذا اليوم، أنا نائب رئيس النقابة المسؤول عن السياحة».

- أي سياحة تتحدث عنها؟

قال ريرب: «آه.. لسنا متأكدين تمامًا». أطلَّ شيخ بلحية طويلة برأسه من فوق كتف رئيس النقابة وضحك بصوت عالٍ قائلًا: «بالنيابة عن بائعي النبيذ في موربروك، السياحة تعني الأعمال. أتفهم؟».

رد يمور ببرود: «إذن؟».

قال ريرب: «إذن، نحن نحمي مصالحنا، كما قلت».

قال رفيقه الشيخ: «أخرِجوا اللصوص، أخرِجوا اللصوص!». انضمَّ آخرون إلى الهتاف، فابتسم زلورف.

هتف الشيخ: «والقتلة أيضًا». فزمجر زلورف.

قال ريرب: «أمر منطقي، بوجود أناس يسرقون ويقتلون في كل مكان، ما الانطباع الذي سيأخذه الزوار؟ تقطع مسافة طويلة لرؤية مدينتنا الجميلة الزاخرة بالعديد من المعالم التاريخية والمدنية، والعديد من العادات القديمة أيضًا، فتستيقظ جثةٌ هامدةٌ في زقاق خلفي أو

طافيًا في نهر العنخ، كيف ستخبر جميع أصدقائك بمدى استمتاعك؟ دعنا نواجه الحقيقة، عليك أن تتطور مع الوقت».

تبادل زلورف ويمور النظرات، فقال يمور: «لقد فعلنا، أليس كذلك؟».

أجابه زلورف موافقًا: «إذن دعنا نتطور يا أخي». وفي حركة واحدة، أدنى زلورف نفاخته إلى فمه، وأرسل منها سهمًا سريعًا نحو أقرب ترول. دار الترول حول نفسه، وقذف فأسه التي حلقت فوق رأس القاتل، ثم انغرستْ في جسد لصٍّ مسكين خلفه.

انحنى ريرب، وهذا ما سمح لترول خلفه برفع قوسه الحديدية الضخمة، وإطلاق نشاب نحو أقرب قاتل. وكانت تلك هي البداية...

لقد لوحظ من قبل أن أولئك الذين لديهم حساسية للإشعاعات في لون الأوكتارين –اللون الثامن، أو صبغة الخيال كما يُسمَّى- يمكنهم رؤية أشياء لا يمكن للآخرين رؤيتها.

لذا، بينما أسرع رينسويند خلال الأسواق المسائية المزدحمة والمضاءة بالمشاعل في موربورك، وصندوق الأمتعة الذي يتبعه مترنحًا، اصطدم بشخص طويل ومظلم. استدار رينسويند ليطلق بعض الشتائم المناسبة، فوجد نفسه أمام الموت.

كان يجب أن يكون الموت. فلا أحد آخر يتجول بمحجريْه فارغين، وطبعًا كان المنجل على كتفه دليلًا آخر. بينما كان رينسويند يحدق إليه في رعب، مرَّ أمامه زوجان يتغازلان ويضحكان على نكتة خاصة بهما دون أن يبدو أنهما لاحظا شيئًا.

بدا الموت مدهوشًا، بالقدر الممكن لوجه بلا ملامح متحركة.

قال الموت بصوت عميق وثقيل كإغلاق الأبواب الرصاصية في أعماق الأرض: «رينسويند؟».

أجابه رينسويند، محاولًا إشاحة نظره عن عينيِ الموت الفارغتين: «ممم».

- لماذَا أَنت هنا؟ (بوم، بوم، ذاك هو صوت أغطية القبور، في أعماق الجبال القديمة التي يقطنها الدود...).

قال رينسويند: «ممم، ولِمَ لا؟ على أي حال، أنا متأكد أن لديك الكثير لتفعله، لذا إذا سمحت لي...».

- تفاجأتُ أَنَّكَ صدَمتَنِي يا رينسويند، لِأَنَّ لِي موعِدًا مَعَكَ هذه الليلة.

- أوه لا، ليس...

- طبعًا لديك، مَا يُزعِجُني جِدًّا في كُلِّ هذا الأَمر هو أنني كنت أتوقع لقاءك في سيفوبولوليس.

- لكنَّ تلك المدينة تبعد خمسمئة ميل!

- أعلم ذلك، أرى أن النظام كله قد تعطَّل مرة أخرى. انظر، ألا توجد أي فرصة أنك...؟

تراجع رينسويند ويداه ممدودتان أمامه بشكل وقائي. فيما راقب بائع الأسماك المُجففة من كشكه القريب رينسويند المجنون باهتمام.

قال رينسويند: «ليست هناك أدنى فرصة!».

- يُمكنني إعارتك حصانًا سريعًا حقًّا.

- كلا!

- لن يؤذيك إطلاقًا.

صاح رينسويند: «كلا!». ثم استدار وركض، ليشاهد الموت هروبه، فيهزُّ كتفيه قائلًا: «تبًّا لك إذن». ثم استدار، فلاحظ أمامه بائعَ الأسماك.

وعلى الفور، مدَّ الموت إصبعًا عظميةً، فتوقَّف قلب البائع عن الخفقان، لكنه لم يشعر بالكثير من الفخر بذلك. ثم تذكَّر الموت ما كان من المقرر أن يحدث لاحقًا تلك الليلة. لا يُمكن القول بأن الموت ابتسم، لأنه في جميع الأحوال ملامح وجهه العظمي ثابتة على ابتسامة جيرية باردة. لكنه همهم بلحن صغير، مُبهِج كحفرة الطاعون، وتوقف فقط لاستخراج الحياة من ذبابة مايو طارت أمامه، وإحدى الحيوات السبع لقطة كانت تختبئ تحت كشك السمك (جميع القطط تستطيع رؤية الأوكتارين)، ثم استدار الموت على عقبيه واتجه نحو حانة الطبلة التالفة.

في الواقع، شارع شورت بمدينة موربك هو أحد أطول الشوارع في المدينة. يعبر شارع فيليجري نهايته الدوارة بطريقة عمودية، وتقع حانة الطبلة التالفة بموضع يواجه طول الشارع بالكامل.

عند الطرف الأبعد من شارع شورت، ارتفع مستطيل داكن على مئات من الأرجل الصغيرة، وبدأ في الركض. تحرَّك في البداية بخُطى بطيئة، لكنْ بحلول منتصف الشارع صارت حركته بسرعة السهم...

تحرَّك ظل أكثر قتامةً ببطء على طول أحد جدران حانة الطبلة التالفة، على بعد بضعة أمتار من ثنائي الترولات اللذين كانا يحرسان الباب. كان رينسويند يتصبب عرقًا، خوفًا منهما إذا سمعا الصوت الخفيف للأكياس المُعَدَّة خصوصًا المعُلَّقة بحزامه...

نقر أحدهما كتفَ زميله، مُحدِثًا ضوضاء تشبه اصطدام حجرين ببعضهما. وأشار نحو الشارع المُضاء بالنجوم...

انطلق رينسويند من موضع اختبائه، ثم استدار وألقى بحمله خلال أقرب نوافذ حانة الطبلة التالفة.

رأى ويزل وصوله، إذ طارت الحقيبة خلال الغرفة، بدوران بطيء في الهواء، ثم انفجرت على حافة منضدة. بعدها بلحظة، كانت القطع الذهبية تتدحرج خلال الأرض، لتدور وتتألق.

ساد الصمت في الغرفة فجأة، باستثناء أصوات الذهب الصغيرة وأنين الجرحى. أطلق ويزل سُبة وأنهى حياة القاتل الذي كان يقاتله، ثم صاح: «إنها خَدْعَة! لا أحد يتحرك!».

تجمَّد ثلاثة وستون رجلًا ودزينة من الترولات في منتصف حركتهم.

ثم، للمرة الثالثة، انفجر الباب مفتوحًا، ليندفع من خلاله اثنان من الترولات، ثم أغلقاه خلفهما وأحكما غلقه بوضع دِعامة أفقية ثقيلة عليه، وهربا إلى أسفل على الدرج.

تزايدت في الخارج أصوات الأقدام الراكضة فجأةً. وللمرة الأخيرة، فُتِحَ الباب. في الواقع، انفجر الباب، إذ طارت الدِّعامة الخشبية الثقيلة خلال الغرفة، وأطيح بإطار الباب نفسه.

هبط الباب والإطار على منضدة، فتطايرتِ الشظايا في كل مكان. حينها، لاحظ المقاتلون المتجمدون أن هناك شيئًا آخر ضمن كومة الخشب. كان صندوقًا يهتزُّ بجنون لتحرير نفسه من حُطام الخشب حوله.

ظهر رينسويند في المدخل المُحطَّم، وألقى بواحدة أخرى من قنابله الذهبية. اصطدمتْ بالجدار، ورشَّت العملات المعدنية في كل مكان.

في القبو، نظر برودمان إلى الأعلى، ثم تمتم لنفسه، واستمرَّ في عمله. كان كامل مخزونه الشتوي من الشموع قد تبعثر فعلًا على

الأرض، مختلطًا بمخزونه من حطب المدفأة. والآن انهمك في مهاجمة برميل من زيت المصابيح.

تمتم قائلًا: «تأ-مين». فيما تدفَّق الزيت وبدأ يتجمَّع حول قدميه.

وثب ويزل خلال الغرفة، ووجهه مُكتسٍ بقناع من الغضب. ركَّز رينسويند على هدفه بعناية، فأصاب ويزل في صدره بكيس من الذهب.

لكنْ كان يمور يصيح الآن، ويشير بإصبع الاتهام. فانقضَّ غراب من عشه على العوارض واندفع نحو الساحر، وقد أبرز مخالبه اللامعة.

لم يتمكن الغراب من الوصول، ففي منتصف الطريق تقريبًا قفز صندوق الأمتعة من موضعه وسط الشظايا، وانفتح في الهواء، ثم انغلق غطاؤه فجأة.

هبط الصندوق بخفة، فرأى رينسويند غطاءه ينفتح مرة أخرى قليلًا. بالكاد بدرجة كافية ليُخرِج لسانًا كبيرًا مثل ورقة النخيل، أحمر مثل الماهوجني، ويلتقط به بعض الريش الشارد.

في اللحظة نفسها سقطتْ ثريا الشموع العملاقة من السقف، وهذا ما أغرق الغرفة في الظلام. قفز رينسويند بمرونة، وأمسك بعوارض السقف، متأرجحًا إلى الأمان النسبي على السقف بقوة أدهشته، فقال صوت بجانب أذنه: «مُثير، أليس كذلك!».

في الأسفل، أدرك اللصوص والقتلة والترولات والتجار في اللحظة نفسها تقريبًا أنهم كانوا في غرفة مُفخَّخة بسبب العملات الذهبية، وتحتوي على شيء، بين الأشكال المُهدِّدة فجأة في الظلام الخافت، مُرعب للغاية. فاتجهوا جميعًا كجسد واحد نحو الباب، لكنْ بعشرات التوقعات المختلفة لموقعه الدقيق.

عاليًا فوق تلك الفوضى، حدَّق رينسويند إلى توفلاور هامسًا: «هل قطعتَ الأنوار؟».

- نعم.

- كيف صعدتَ إلى هنا؟

- ظننتُ أنه من الأفضل ألا أعيق طريق أي أحد.

فكر رينسويند في الأمر. لم يبدُ وجود ما يمكنه قوله، فأضاف توفلاور: «معركة حقيقية! هذا أفضل من أي شيء تخيلته! هل تعتقد أن عليَّ أن أشكرهم؟ أم إنك رتبت ذلك؟».

حدَّق رينسويند إليه بلا تعبير، ثم قال بصوت عميق: «أعتقد أنه ينبغي لنا النزول الآن، لقد رحل الجميع».

جرَّ رينسويند توفلاور خلال الغرفة الملآنة بالفوضى وصعد الدرج. انطلقا خارجيْن إلى آخر الليل. ما زالتْ هناك بعض النجوم اللامعة، لكنْ غاب القمر، مع وجود وهج رمادي خافت في الأفق. لكنَّ الأهم من ذلك، أن لا أحد في الشارع.

استنشق رينسويند الهواء وقال: «أيمكنك شم رائحة الزيت؟».

حينها خرج ويزل من الظلال وعثر عليه.

ركع برودمان عند بداية درجات القبو، ليُمسِك بعلبة القداحة خاصته. تبيَّن أنها كانت رطبة، فتمتم: «سأقتل ذلك القط اللعين» وبحث عن العلبة الاحتياطية التي عادةً ما تكون على الرف بجانب الباب. لكنها لم تكن موجودة، فنطق برودمان بسُبَّة.

ظهرتْ شمعة مضاءة في الهواء بجانبه مباشرة، وصوت يقول: «هاك، خذ هذه».

قال برودمان: «شكرًا».

- لا داعي إلى الشكر.

توجَّه برودمان لإلقاء الشمعة أسفل الدرج، لكنْ توقفت يده في منتصف الطريق. نظر إلى الشمعة وعقد جبينه، ثم استدار ورفع الشمعة لتضيء المكان. لم تضئْ كثيرًا، لكنها أعطت الظلام شكلًا، فشهق وقال: «أوه، لا...».

فأجابه الموت: «أجل...».

تدحرج رينسويند أرضًا.

وللحظة، ظنَّ أن ويزل سيضربه حيث كان يرقد. لكنْ كان الأمر أسوأ من ذلك، إذ انتظره أن ينهض.

قال ويزل بهدوء: «أرى أنك تملك سيفًا أيها الساحر. أقترح أن تنهض، وسنرى كيف تستخدمه».

نهض رينسويند ببطء شديد قدر استطاعته، وأخرج من حزامه السيف القصير الذي أخذه من الحارس قبل بضع ساعات ومئة سنة مضت. كان سيفًا قصيرًا جافًّا مقارنةً بسيف مبارزة ويزل الرفيع كالشعرة.

صاح رينسويند نائحًا: «لكني لا أعرف كيف أستخدم السيف».

- جيد.

قال رينسويند بيأس: «أتعلم أن السحرة لا يمكن قتلهم بالأسلحة الحادة؟».

ابتسم ويزل ببرود وقال: «أجل، كما سمعتُ. وأتطلع إلى اختبار ذلك». ثم هجم عليه.

صدَّ رينسويند الطعنة بضربة حظ، ثم أشاح بيده مصدومًا، فأبعد الضربة الثانية بالمصادفة، وأخذ الثالثة خلال عباءته عند مستوى القلب.

صدر صوت صلصلة.

توقفتْ صرخة النصر في حلق ويزل، ثم سحب السيف ودفعه مرة أخرى نحو الساحر الذي تجمد بموضعه رعبًا وقلقًا. كان هناك صوت صلصلة آخر، وبدأتِ العملات الذهبية تتساقط من حافة رداء الساحر.

همس ويزل: «إذن، أنت تنزف ذهبًا، أليس كذلك؟ لكنْ هل لديك ذهب مخبأ في تلك اللحية الممزقة، أيها الـ...».

عندما توجَّه سيفه ليضرب ضربته الأخيرة، تذبذب الوهج الكئيب الذي كان ينمو في مدخل الطبلة التالفة، ثم خفتَ، بعدها انفجر في كرة نارية هائلة دفعت الجدران إلى الخارج، وأطاحتْ بالسقف مئة قدم في الهواء، قبل أن تنطلق من خلاله في طوفان من البلاط الأحمر الساخن.

حدَّق ويزل بذهول إلى النيران المشتعلة، فقفز رينسويند واندفع تحت ذراع اللصِ المُمسِكة بالسيف، وأدار شفرة سيفه في قوس أخطأ تقديره بشكل غير كفء، لدرجة أنه ضرب الرجل بشكل سطحي، وقفز من يد الساحر. هطلتْ شرارات وقطرات من الزيت المشتعل، فيما مدَّ ويزل يديه المُدججتين بالدروع، وأمسك برقبة رينسويند مجبرًا إياه على النزول.

صرخ ويزل: «أنت من فعل ذلك! أنت وصندوق خدعك هذا!».

وجدت إصبعه قصبة هواء رينسويند، فقال الساحر في عقله: «إنها النهاية. أينما سأذهب، لا يمكن أن يكون أسوأ من هنا».

قال توفلاور: «عُذرًا».

شعر رينسويند بقبضة ويزل تخف حول عنقه. نهض بعدها ويزل ببطء، وعلى وجهه نظرة كراهية تامة.

سقطتْ جمرة متوهجة على الساحر فأزاحها بسرعة، ونهض على قدميه. كان توفلاور واقفًا خلف ويزل مُمسكًا بسيف ويزل الحاد، موجهًا طرفه نحو ظهر اللص. ضاقتْ عينا رينسويند، وأدخل يده في ردائه، ثم سحبها وهي مضمومة في قبضة.

قال رينسويند: «لا تتحرك».

سأله توفلاور بقلق: «هل أفعل هذا بشكل صحيح؟».

ترجم رينسويند كاذبًا: «يقول إنه سيطعن كبدكَ إذا تحركتَ».

قال ويزل: «أشُكُّ في ذلك».

- أتراهنني؟

- لا.

عندما تأهب ويزل ليستدير نحو السائح، ضرب رينسويند فكَّه. حدَّق ويزل إليه بدهشة للحظة، ثم سقط بهدوء في الوحل.

فرد الساحر قبضته المتألمة، وانزلقتْ لفافة من العملات الذهبية بين أصابعه النابضة، ثم نظر إلى اللص المُلقى أرضًا وتنهد قائلًا: «يا إلهي».

نظر رينسويند إلى الأعلى وصرخ عندما سقطتْ جمرة أخرى على عنقه. تسابقتِ النيران فوق أسطح المنازل على جانبي الشارع، وكان الناس من حوله يقذفون ممتلكاتهم من النوافذ، ويسحبون الخيول خارج الإصطبلات المشتعلة. انبعث انفجار آخر خلال البركان الأبيض الحار الذي صارت عليه حانة الطبلة التالفة ، ليُلقي بقطع رخام كبيرة طائرة فوق رؤوسهم.

صرخ رينسويند فوق صوت تكسير العوارض المنهارة: «أقرب بوابة هي بوابة ويدرشينز! هيا!». ثم أمسك بذراع توفلاور المتردد، وسحبه على طول الشارع.

صاح توفلاور: «أمتعتي».

صرخ رينسويند: «تبًّا لأمتعتك! ابقَ هنا مدة أطول، وستذهب إلى مكان لا تحتاج فيه إلى أمتعة! هيا!».

ركضا وسط الحشود المذعورة المغادرة للمِنْطَقة، وبينما استنشق الساحر جرعات كبيرة من هواء الفجر البارد، كان هناك شيء يشغل باله.

قال: «أنا متأكد أن كل الشموع قد انطفأت. فكيف اشتعلت النار في حانة الطبلة؟».

قال توفلاور متأوهًا: «لا أعرف. إنه أمر مروع يا رينسويند. كنا نتعارف جيدًا للغاية أيضًا».

توقَّف رينسويند بدهشة، وهذا ما جعل رجلًا راكضًا آخر يصطدم به، ثم يدور مبتعدًا لاعنًا إياه.

- تتعارفون؟

- أجل، كانوا مجموعة رائعة من الأشخاص، اعتقدتُ أن عامل اللغة سيسبب مُشكلةً، لكنهم كانوا متحمسين جدًّا لانضمامي إلى حفلتهم، لم يقبلوا بالرفض كإجابة. كانوا أشخاصًا ودودين جدًّا، اعتقدت أن...».

بدأ رينسويند في تصحيح كلامه، ثم أدرك أنه لا يعرف من أين يبدأ.

تابع توفلاور: «سيكون ذلك أمرًا صادمًا لبرودمان الشيخ. على الرغم من ذلك، كان حكيمًا. ما زلتُ أحتفظ بالرينو الذي دفعه كأول قسط».

لم يُدرِك رينسويند معنى كلمة «قسط»، لكنْ بدأ عقله في التفكير بسرعة. فهتف مُشيرًا بالاتهام إلى توفلاور: «أنت وضعتَ تأمينًا على حانة الطبلة؟ راهنتَ برودمان أنها لن تشتعل؟».

بدا توفلاور مُرتبكًا، وقال: «أجل، صحيح. تقدير قياسي. مئتان رينو. لماذا تسأل؟».

استدار رينسويند ونظر إلى النيران التي تتسابق نحوهما، وتساءل عما يمكن شراؤه من عنخ-موربورك بمئتي رينو. تأكد أنها قطعة كبيرة جدًّا. لكنْ فقط ليس الآن، ليس بالطريقة التي تتقدم بها تلك النيران...

ثم ألقى نظرة على السائح وقال: «أنت...». وبحث في ذاكرته عن أسوأ كلمة في لغة تروب؛ لكنْ لم يعرف التروبيون، هؤلاء الصغار المرحون، كيف يسبُّون بشكل صحيح حقًّا.

فكرر مُجددًا: «أنت...». ثم انفجر غضب رينسويند عندما اصطدم شخص مُسرِع آخر بجانبه، وبالكاد ضربه بسيفه على كتفه.

-أنت يا (من يرتدي حلقةً نُحاسية في أنفه، ويغسل قدمه في حوض على قمة جبل راروا‌روها في أثناء عاصفة رعدية شديدة، ويصرخ بأن ألوهورا، إلهة البرق، وجهها يشبه جذور نبات ألوروها مصاب بالمرض)!

قال الشخص المُسرع الذي اتضح أنه الموت وهو يتجه بعيدًا: «أنا فقط أؤدي عملي».

كانت كل كلمة قالها ثقيلة كألواح الرخام؛ إضافة إلى ذلك، كان رينسويند متأكدًا أنه الوحيد الذي سمعها.

أمسك رينسويند بتوفلاور مرة أخرى قائلًا: «لنغادرْ هذا المكان!».

أحد الآثار الجانبية المثيرة للاهتمام للحريق في عنخ-موربورك يتعلق ببوليصة التأمين، التي غادرت المدينة عندما انفجر سقف حانة الطبلة التالفة، وارتفعتْ عاليًا في الغِلاف الجوي لعالم القرص، ثم حطَّتْ بعد أيام عدَّة على شجيرة ألوروها في جزر تروبي على بُعد عدة آلاف من الأميال.

وفي ما بعد، عبد أهل الجزيرة البسطاء الضاحكين تلك الشجيرة كإله، وهو ما أثار ضحك جيرانهم الأكثر تطورًا. وبشكل غريب، صارت كمية الأمطار والحصاد في السنوات القليلة اللاحقة وفيرة تقريبًا بشكل خارق، ليؤدِّي هذا إلى إرسال فريق بحث إلى الجزر بكلية الديانات الصغيرة في الجامعة الخفيَّة. وكانت نتيجة تقريرهم تأكيد تلك الظاهرة.

انتشرت النيران بفعل الرياح من حانة الطبلة بسرعة أكبر من سرعة سير الإنسان. كان خشب بوابة ويدرشينز يحترق فعلًا عند وصول رينسويند، وقد لفحتِ النيران وجهه وصار محمرًّا من اللهب. وفي ذلك الوقت، كان هو وتوفلاور على صهوة حصانين، إذْ لم يكن من الصعب الحصول على الخيول. فقد طلب تاجر ماكر خمسين ضعفَ قيمتهما، فتركاه مذهولًا عندما وضعا في يديه ألفَ ضعفِ قيمتهما.

ركبا الحصانين قبل أن يسقط أول خشب البوابة الكبيرة بانفجار من الشرر. كانت موربورك قد تحولت فعلًا إلى مرجل يمور باللهب.

وفي أثناء هرولتهم خلال الطريق المُضاء باللهب الأحمر، نظر رينسويند بجانبه إلى رفيقه في الرحلة، الذي كان يحاول جاهدًا تعلم ركوب الخيل، ففكر في داخله: «اللعنة، إنه حي! وأنا أيضًا. من كان يتصور ذلك؟ ربما هناك شيء ما في الاق-تص-اد هذا؟» كانت العبارة

ثقيلة اللفظ. حاول رينسويند التلفظ بالمقاطع الثقيلة كما تنطقها لغة توفلاور الخاصة، فقال: «اتقصاد؟ اقتل صاد؟ اقتصاد؟».

أجل. يبدو هذا صحيحًا تقريبًا.

على بُعد مئات الأمتار تجاه تيار النهر من آخر ضاحية محترقة من المدينة، ظهر جسم مستطيل غريب ويبدو أنه ثقيل، ولامس طين الضفة المعاكسة. وعلى الفور، بدأ عدد كبير من الأرجل ينمو بأسفله، ليحاول التمسُّك بالأرض.

وبعد أن تسلَّق إلى أعلى الضفة، هزَّ صندوقُ الأمتعة نفسه، إذ كان مغطى بالسخام وبقع الماء، وهو ما أثار غضبه بشدة، وتمكَّن من تحديد موقعه. ثم انطلق بسرعة، والعفريت الصغير القبيح للغاية الذي اتخذ موضعًا على الغطاء يشاهد المكان من حوله باهتمام.

نظر براڤد إلى ويزل ورفع حاجبيه. فيما قال رينسويند: «وهذا كل ما حدث. لحق بنا صندوق الأمتعة، ولا تسألني كيف. أهناك المزيد من النبيذ؟».

التقط ويزل قربة النبيذ الفارغة، وقال: «أعتقد أنكَ شربتَ ما يكفي من النبيذ هذه الليلة».

تجعد جبين براڤد، وقال أخيرًا: «الذهب ذهب. كيف لرجل لديه الكثير من الذهب أن يعتبر نفسه فقيرًا؟ إما أن تكون فقيرًا وإما تكون غنيًّا. هذا هو المنطق».

أصيب رينسويند بالفواق، كان يجد أمر التفكير في المنطق صعبًا نوعًا ما، فقال: «حسنًا، ما أعتقده هو، النقطة هي، حسنًا، أتعرف الأوكتيرون؟».

أومأ المغامران برأسيهما. كان ذلك المعدن اللامع الغريب محل تقدير كبير في الأراضي المحيطة بالبحر الدائريِّ، تقريبًا كما هي الحال بالنسبة إلى خشب الكمثرى الحكيم، ووُجِدَ بالندرة نفسها تقريبًا. فأي شخص يمتلك إبرة مصنوعة من الأوكتيرون لن يضلَّ طريقه أبدًا، لأنها دائمًا ما تشير إلى مركز عالم القرص، بسبب حساسيتها الفائقة للحقل السحري للقرص؛ ثم إنها ستصلح جواربه بشكل إعجازي.

قال رينسويند: «حسنًا، ما أقوله هو، ترى، أن للذهب أيضًا حقله السحري الخاص. نوع من السحر المالي. يُسمى اقتصاد».

وقف ويزل ليمدد جسده. كانت الشمس قد ارتفعت الآن، وغرقتِ المدينة أدناهم في الضباب وامتلأت بالأبخرة السامة. بالإضافة إلى الذهب. حتى مواطِن من مدينة موربورك سيهجر كنزه في لحظة الموت الأخيرة لإنقاذ نفسه. حان وقت الانتقال.

بدا الرجل الصغير المدعو توفلاور كأنه نائم. نظر ويزل إليه وأطرق رأسه. قال: «المدينة في انتظارنا، على النحو الذي هي عليه. شكرًا لك على تلك الحكاية اللطيفة أيها الساحر. ما الذي ستفعله الآن؟». نظر إلى صندوق الأمتعة، فابتعد على الفور وأغلق غطاءه بعيدًا عنه.

قال رينسويند ضاحكًا: «حسنًا، لا توجد سفن تغادر المدينة الآن. أعتقد أننا سنأخذ الطريق الساحلي إلى تشيرم. عليَّ أن أعتني به كما ترى. لكنِ انظر، لم...».

قال ويزل بهدوء: «بالتأكيد، بالتأكيد»، ثم استدار وركب على سرج الحصان الذي كان براڤد يمسكه. بعد لحظات قليلة، أصبح البطلان مجرد نقاط تحت سحابة من الغبار، في طريقهما إلى مدينة الفحم.

نظر رينسويند بشكل غامض إلى السائح المستلقي. إلى السائحين المستلقيين. وفي حالته المسالمة قليلًا، انزلقتْ إلى دماغه فكرة عابرة تجولَّت خلال الأبعاد بحثًا عن عقل يؤويها.

قال بألم: «ها هي ورطة أخرى أدخلتني فيها». ثم سقط إلى الخلف.

قال ويزل: «مجنون». فأومأ براڤد برأسه، إذ كان يجري بجانبهما ببضع أقدام، وقال: «كل السحرة هكذا. إنها أبخرة الزئبق التي تفسد أدمغتهم. والفطر أيضًا».

قال ويزل ذو الرداء البني: «على أي حال...». ومدَّ يده إلى سترته، ليخرج قرصًا ذهبيًّا بسلسلة قصيرة، فرفع براڤد حاجبيه دهشةً.

قال ويزل: «قال الساحر إن الرجل الصغير لديه نوع من الأقراص الذهبية التي تخبره بالوقت».

- أيثير ذلك طمعكَ أيها الصديق الصغير؟ كنت دائمًا لصًّا خبيرًا يا ويزل.

وافقه ويزل بتواضع: «أجل». ثم لمس المقبض عند حافة القرص، فانقلب مفتوحًا.

نظر الشيطان الصغير الحبيس في الداخل من فوق آلة العد الصغيرة أمامه، وقال عابسًا: «تبقى عشر دقائق فقط حتى الساعة الثامنة». ثم زمجر وأغلق الغطاء بسرعة، حتى كاد يغلقه على أصابع ويزل.

أطلق ويزل سُبَّة، ثم ألقى جهاز تحديد الوقت بعيدًا نحو أرض زراعية، حيث ارتطم بحجر تقريبًا. شيء ما، على أي حال، تسبب في انشقاق الغِلاف، فبزغ وميضُ أوكتارين مُشِعٌّ مع رائحة كبريت، ليتبخر كائن الوقت إلى أي بُعد شيطاني ينتمي إليه.

قال براڤد الذي لم يكن قريبًا بما يكفي لسماع كلمات الشيطان الصغير: «لماذا فعلت ذلك؟».

قال ويزل: «فعلتُ ماذا؟ لم أفعلْ شيئًا. لم يحدث شيء على الإطلاق. هيا... نحن نضيِّع الفرص».

أومأ براڤد برأسه، ثم استدارا معًا بخيولهما واندفعا نحو عنخ القديمة، وسحرها الصريح.

عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه الرواية، أو تحملها من موقع غير (مكتبة ضَاد الإلكترونية) على تطبيق تيليجرام، فتأكد من أنك لست في المكان المناسب، لذا يجب عليك الاشتراك في قناتنا الرسمية حتى يتسنا لك تحميل كل جديد بكل سهولة. (@twinkling4 ).

# إرسال الثمانية

## مقدمة

يُقدِّم عالم القرص مناظرَ أكثر إثارة للإعجاب بكثير من تلك الموجودة في الأكوان التي بناها الخالقون أصحاب الخيال الأقل والمهارة الميكانيكية الأكبر.

ومع أنَّ شمس القرص ليست سوى قمر صغير يدور حوله، فإن نتوئات سطحه بالكاد أكبر من أطواق الكروكيه، وهذا العيب الطفيف يجب أن يُقارَن بالمشهد الهائل للغيلم آتوين العظيم، الذي يستقر القرص على صَدَفَته القديمة الملآنة بالحُفَر النيزكية. أحيانًا، في رحلته البطيئة خلال شواطئ الأبدية، يُحرِّك رأسه الضخم بحجم البلاد ليلتقط مُذنَّبًا عابرًا.

لكنْ ربما يكون المشهد الأكثر إثارة للإعجاب -وذلك فقط لأن معظم العقول، عندما تشاهد ضخامة آتوين الهائلة، ترفض تصديقه- هو شلال الحافة اللانهائي، حيث تغلي بحار القرص بلا توقف على الحافة نحو الفضاء. أو ربما يكون هو قوس الحافة، قوس ألوان الطيف الثمانية الذي يُحيط بالعالم ويحوم في الهواء المحمَّل بالضباب فوق الشلال. اللون الثامن هو الأوكتارين، الناتج عن تأثير تشتت ضوء الشمس القوي في حقل سحري مُكثَّف.

أو ربما، مرة أخرى، المشهد الأكثر روعة هو المركز. فهُناك، ينتصب برج من الجليد الأخضر بارتفاع عشرة أميال ليخترق السحب، وتستقر

على قمته مملكة دونمانيفستين، مقر آلهة القرص. نادرًا ما يُشعِر آلهة القرص أنفسَهم بالرضا، رغم روعة العالم الذي تحتهم. من المحرج أن تعرف أنك إله لعالم لا يُوجَد إلا لأن كل منحنًى احتمالي يجب أن تكون له نقطة نهاية؛ خاصةً عندما يمكنك النظر نحو أبعاد أخرى لعوالم كان لدى خالقيها مهارة ميكانيكية أكبر من خيالهم. فلا عجب إذن أن تقضي آلهة القرص وقتًا في الجدال أكثر من قضائه في المعرفة الشاملة.

في هذا اليوم بالذات، جلس إيو المكفوف، بسبب يقظته المستمرة كونه رئيس الآلهة، مستندًا بذقنه إلى يده، لينظر إلى لوح اللعب على المنضدة الرخامية الحمراء أمامه. حصل إيو المكفوف على ذلك اللقب لأنه حيث كان يجب أن يكون محجريْه، لم يكن هناك سوى منطقتين من الجلد الفارغ. أمَّا أعينه التي كان لديه عدد كبير منها بشكل باهر، فكانت تعيش حياة شبه مستقلة، إذ يحوم العديد منها حاليًّا فوق المنضدة.

كان لوح اللعب خريطة منحوتة بعناية لعالم القرص، مقسَّمة إلى مربعات، احتلَّها عدد من قطع اللعب المُصمَّمة بشكل جميل. كان يمكن لبشري إن رآها، مثلًا، أن يتعرَّف قطعتين منها على هيئة شخصيات براڤد وويزل. فيما مثَّلت قطع أخرى المزيد من الأبطال والمحاربين، الذين وُجِدُوا في عالم القرص بعدد أكثر من كافٍ.

شُغِلَ في اللعبة إيو، وأوفلر الإله التمساح، وزيفيروس إله النسائم الخفيفة، و«القدَر»، و«السيدة». ساد جو من التركيز حول لوح اللعب الآن بعد أن أُزيل من اللعبة اللاعبون الأقل شأنًا. خرجت «المصادفة» في وقت مبكر، إذ دفعتْ بطلها إلى بيت مملوء بكائنات الجنول المُسلَّحين (نتيجة لرمية نرد محظوظة من قِبَل أوفلر)، وبعد ذلك بوقت قصير،

خرج «الليل» من اللعبة، معتذرًا بموعد مع «القَدَر». وتسكَّعت عدة آلهة صغيرة في المكان، لتراقب ما يحدث من خلف أكتاف اللاعبين.

أقيمتْ مُراهنات جانبية على أن «السيدة» هي من ستغادر اللعبة تاليًا. كان آخر أبطالها المُهمِّين قد تحول الآن إلى حَفنة من الرماد في أنقاض عنخ-مورپورك التي لم تتوقف عن الاشتعال، ولم يكن بحوذتها قطع كثيرة يمكنها ترقيتها إلى الدرجة الأولى.

التقط إيو المكفوف صندوقَ النرد، وهو جمجمة انسدَّت فتحاتها المُختلِفة بقطع الياقوت، وبينما تركَّزت العديد من أعينه نحو السيدة، جاءت رميته ثلاث خمسات.

ابتسمت «السيدة»، وكانت أعينها خضراء زاهية بطبيعتها، تفتقر إلى القزحية أو البؤبؤ، وتتوهج من الداخل.

عمَّ الصمت أرجاء الغرفة فيما عبثت «السيدة» في صندوق القطع الخاص بها، فأخرجت من أسفل القاع قطعتيْن وضعتهما على اللوحة بنقرتيْن حاسمتيْن. انحنى بقية اللاعبين نحوهما، كإله واحد، ليحدقوا إليهما.

قال أوفلر الإله التمساح، فيما عاقتْه أنيابه عن الكلام كالمُعتاد: «ساحوٌّ متموِّد وموظف ما. وَائع، حقًّا!». ثم دفع بمخلبه كومة من الرموز البيضاء كالعِظام إلى وسط المنضدة بمخلبه.

أومأتِ السيدة برأسها قليلًا، ثم التقطت كوب النرد وأمسكته بثبات كصخرة، ومع ذلك سمع جميع الآلهة المكعبات الثلاثة تهتزُّ بداخله. ثم أطلقتهم ليتدحرجوا خلال المنضدة.

ستة. ثلاثة. خمسة.

لكنْ حدث شيء ما للرقم خمسة. فنتيجة لتصادم عدة مليارات من الجزيئات بالمصادفة، انقلب النرد على أحد جوانبه، ودار بلطف، ثم استقرَّ على الرقم سبعة.

أخذ إيو المكفوف المُكعَّب وعدَّ الجوانب.

وقال بإرهاق: «مهلًا، العبي بنزاهة».

# إرسال الثمانية

كان الطريق من عنخ-موربورك إلى مدينة كيرم مرتفعًا، أبيضَ ومتعرجًا، يمتدُّ إلى مسافة ثلاثين فرسخًا من الحُفَر والصُّخور نصف المدفونة التي تلتفُّ حول الجبال، وتغوص في أودية خضراء باردة ملآنة بأشجار الليمون، ويعبر الأودية المكتظة بنباتات الليانا على جسور من حبال تصدر صريرًا كلما عبرها أحد، ويُعتبر الطريق عامة ذا جمال أخَّاذ أكثر من كونه مفيدًا.

جمال أخَّاذ. كانت هذه كلمة جديدة لرينسويند الساحر (الراسب في الجامعة الخفيَّة). كانت إحدى الكلمات الكثيرة التي التقطها منذ مغادرته أنقاضَ عنخ-موربورك المُحترِقة. «غريب» كانت كلمة أخرى. فبعد ملاحظة متأنية للمشاهد الطبيعية التي ألهمت توفلاور لاستخدام الكلمة، قرر أن «جمال أخَّاذ» تعني أن المناظر الطبيعية شديدة الوعورة. أما «غريب»، عندما تُستخدَم لوصف القرى التي يمرون بها بين الحين والآخر، فتعني أنها متداعية ملآنة بالحُمَّى.

كان توفلاور سائحًا، الأول من نوعه في عالم القرص. وقد قرر رينسويند أن كلمة «سائح» تعني «أحمق».

تأمل رينسويند تجاربَ الأيامِ القليلة الماضية، في أثناء ركوبهما الخيل بهدوء خلال الهواء المعطَّر بالزعتر والمملوء بأصوات النحل. رغم أن الأجنبي الصغير كان مجنونًا بوضوح، فإنه كان كريمًا أيضًا، وأقل

فتكًا بكثير من نصف الأشخاص الذين اختلط بهم الساحر في المدينة. كان رينسويند يحبُّه نوعًا ما. أن تكره توفلاور، كأنك ركلتَ جروًا.

أظهر توفلاور في الوقت الراهن اهتمامًا كبيرًا بنظريات السحر وممارساته.

إذ قال: «يبدو لي أن الأمر برمَّته غير مُجدٍ. كنت أعتقد دائمًا، كما تعلم، أن الساحر يقول الكلمات السحرية فحسب. ليس كل هذا الحفظ الممل».

وافقه رينسويند بفتور. حاول أن يشرح له أنه في وقت ما، كان السحر جامحًا بلا قوانين، لكنْ روَّضه القدماء في غياهب الزمن وألزموه طاعةَ قانون بقاء الواقع، بجانب أمور أخرى؛ وينص هذا القانون على أن الجُهد اللازم لتحقيق الهدف يجب أن يظلَّ ثابتًا بصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة. وهو ما معناه عمليًّا، أن خلق وهم كأس من النبيذ كان سهلًا نسبيًّا، لأنه لا يتطلب سوى تغيير خفيف لأنماط الضوء. من ناحية أخرى، رفع كأس نبيذ حقيقية بضع أقدام في الهواء باستخدام الطاقة العقلية الصرفة، يتطلَّب ساعات من التحضير المنهجي إذا أراد الساحر منع مبدأ الرفع البسيط من قذف عقله خلال أذنيه.

ثم أضاف رينسويند أن بعض السحر القديم لا يزال يُمكِن العثور عليه في حالته الخام، ويستطيع المبتدئون تعرُّفه بالشكل الثماني الذي يصنعه في الهيكل البلَّوري للزمان والمكان. وهناك معدن الأوكتيرون، مثلًا، وغاز الأوكتوجين، اللذان يشعُّ كلاهما كميَّات خطِرة من السحر الخام.

ثم أنهى رينسويند كلامه قائلًا: «كل هذا محبط جدًّا».

- مُحبِط؟

استدار رينسويند على سرجه وتنهَّد وهو ينظر إلى صندوق أمتعة توفلاور، الذي كان يتجول حاليًّا على أرجله الصغيرة، ويلتقط غطاؤه بعضَ الفراشات أحيانًا.

قال عفريت الصور، الذي كان يراقب الطريق من الباب الصغير للصندوق المُعلَّق حول رقبة توفلاور: «يعتقد رينسويند أنه يجب أن يكون قادرًا على ترويض البرق». وقضى العفريت الصباح في رسم مناظر خلابة ومشاهد غريبة لسيده، وسُمِحَ له بأخذ استراحة للتدخين.

قال رينسويند: «عندما قُلتُ ترويض، لم أقصد ترويضًا فعليًّا. أعني، حسنًا، أنا فقط أعني أن... لا أعلم، لا أستطيع التفكير في الكلمات المناسبة. أعتقد فقط أن العالم يجب أن يكون أكثر تنظيمًا نوعًا ما».

قال توفلاور: «هذا مجرد خيال».

قال رينسويند مُتنهدًا مرة أخرى: «أعلم ذلك. هذه هي المشكلة». كان من الجيد أن يتحدث عن المنطق التام، وكيف أن الكون محكوم بالمنطق وتناغم الأرقام، لكنَّ الحقيقة الواضحة هي أن القرص كان يسبح في الفضاء على ظهر سلحفاة عملاقة، وأن الآلهة اعتادوا الذَّهَاب إلى منازل الملحدين وتكسير نوافذهم.

كان هناك صوت خافت، بالكاد أعلى من ضجيج النحل خلال نباتات إكليل الجبل بجانب الطريق. كان له صفة عظمية غريبة، كأنه صوت جماجم متدحرجة أو رجرجة صندوق نرد. نظر رينسويند حوله، فلم يجدْ أيَ أحد بالقرب منهم. ولسبب ما، أثار ذلك قلقه.

ثم أتت نسمة خفيفة، ازدادت ثم تبخرتْ في مدة مقدارها خفقات قلب معدودة. فتركتِ العالم دون تغيير باستثناء بعض الأمور المثيرة للاهتمام.

فهناك الآن، مثلًا، كائن ترول جبلي يبلغ طوله خمسة أمتار يقف في الطريق. كان غاضبًا للغاية. وسبب ذلك جزئيًّا أن الترولات عادة ما يكونون غاضبين على أيِّ حال، لكنْ تفاقم الأمر بسبب النقل الفوري والمفاجئ من وكر الترول في جبال راميروك على بعد ثلاثة آلاف ميل وتسعمئة متر أقرب إلى الحافة، والذي رفع درجة حرارته الداخلية إلى مستوى خطِر وَفْقَ قوانين حفظ الطاقة. لذا كشف عن أنيابه واندفع إلى الأمام.

قال توفلاور: «يا له من مخلوق غريب. هل هو خطِر؟».

صاح رينسويند: «على الناس فقط!». ثم استلَّ سيفه، وبضربة سلسة من فوق كتفه، أخفق تمامًا في إصابة الترول. انغرس النصل في نبات الخلنج بجانب الطريق، فصدر صوت خافت للغاية، يشبه صريف الأسنان القديمة.

ضرب السيف صخرةً مخفيةً بين نباتات الخلنج، كانت مخفيةً بمهارة لدرجة قد يعتقد المشاهد أنها لم تكن موجودة على الإطلاق قبل لحظات. قفزتِ الصخرة مثل سمكة سلمون قافزة، وفي منتصف ارتدادها انغرستْ بعمق في مؤخرة رقبة الترول الرمادية.

تأوَّه المخلوق، وبضربة واحدة من مخلبه، أحدث جرحًا في جانب حصان توفلاور، الذي صرخ وهرب إلى الأشجار بجانب الطريق. فيما دار الترول حول نفسه مُحاوِلًا الإمساك برينسويند.

ثم أدرك الجهاز العصبي البطيء للمخلوق أنه قد مات. فبدا متفاجئًا للحظة، ثم انهار وتحول إلى حصى (لأن الترولات كائنات سيليكونية، تتحول أجسامهم إلى حجر فور موتهم).

تمتم رينسويند بغيظ: «تبًّا». فيما نهض حصانه في رعب. تمسَّك رينسويند به يائسًا وكان الحصان يتعثر على قدميه خلال الطريق ثم استدار وانطلق مسرعًا إلى الغابة وقد تعالت صرخاته.

تلاشى صوت حوافر الحصانين، تاركًا الهواء لطنين النحل ورفرفة أجنحة الفراشات. كان هناك صوت آخر أيضًا، صوت غريب بالنسبة إلى وقت الظهيرة الساطع.

بدا كأنه صوت نرد.

«رينسويند؟».

تردَّد صوت توفلاور بين ممرات الأشجار الطويلة من جانب إلى آخر وفي النهاية عاد إليه في خفوت. فجلس على صخرة وحاول التفكير.

أولًا، كان تائهًا. وذلك أمر مزعج، لكنْ لم يقلقه كثيرًا. بدتِ الغابة مثيرة للاهتمام، وربما احتوتْ على جنيات أو أقزام، وربما كليهما. في الواقع، في مناسبتين سابقتين، اعتقد أنه رأى وجوهًا خضراء غريبةً تطل عليه من بين الأغصان. لطالما أراد توفلاور أن يلتقي جنِّية. في الحقيقة، ما أراده حقًّا هو مقابلة تنين، لكن لا بأس بالجنِّية. أو بعفريت حقيقي.

كان صندوق أمتعته مفقودًا، وذلك هو الأمر المزعج حقًّا. ثم إن المطر بدأ يتساقط، فتحرك بعدم ارتياح على الحجر الرطب، وحاول أن ينظر إلى الجانب المشرق. فمثلًا، في أثناء اندفاع حصانه المجنون، اخترق بعض الشجيرات وأزعج دبَّة مع دياسمها، لكنه انطلق قبل أن تتمكن الدبَّة من الرد. ثم ركض فجأة فوق أجساد عرجلة كبيرة من الذئاب النائمة، ومُجددًا، تجاوزهم بسرعته الجنونية تاركًا عواءهم الغاضب وراءه بمسافة بعيدة. ومع ذلك، أوشك النهار أن ينتهي، ففكر توفلاور

أنه ربما من الأفضل له ألا يبقى في العراء. ربما هناك... حاول أن يتذكر ما نوع الإقامة التي تقدمها الغابات تقليديًّا... ربما هناك بيت مصنوع من خبز الزنجبيل أو شيء من هذا القبيل؟

كان الحجر غير مُريح حقًّا. نظر توفلاور إلى الأسفل، ولاحظ لأول مرة النقشَ الغريبَ.

بدا الأمر كأنه عنكبوت. أو ربما حبَّار؟ إذ طمستِ الطحالب والنباتات التفاصيل الدقيقة إلى حد ما. لكنها لم تطمسِ الرموز الرونية المنحوتة تحتها. استطاع توفلاور قراءتها بوضوح، وكانت تقول: «أيها المُسافِر، يقع معبد بيل-شامهاروث المضياف على بُعد ألف خطوة تجاه المركز». أدرك توفلاور مدى غرابة ذلك، لأنه بالرغم من قدرته على قراءة الرسالة، كانت أحرف الكلمات نفسها غير معروفة له تمامًا. بطريقة ما، وصلتِ الرسالة إلى عقله دون الحاجة المملة إلى المرور من خلال عينيه.

نهض توفلاور وربط حصانه المطيع الآن بشجرة صغيرة. لم يكن متأكدًا أين طريق اتجاه المركز، لكنْ بدا أن هناك مسارًا قديمًا نوعًا ما يمتد بين الأشجار. يبدو أن بيل-شامهاروث هذا مستعد للذَّهَاب إلى أبعد الحدود لمساعدة المسافرين التائهين. هز توفلاور رأسه بحزم، فعلى أي حال، كان هذا أفضل من مواجهة الذئاب.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه، بعد عدة ساعات، وصل زوجان من الذئاب الذين كانوا يتبعون رائحة توفلاور إلى الغابة. سقطتْ أعينهما الخضراء على النحت الغريب ذي الأرجل الثمانية -الذي ربما كان فعلًا عنكبوتًا، أو أخطبوطًا، أو ربما شيئًا آخر أكثر غرابة- فقررا على الفور أنهما ليسا جائعيْن إلى هذا الحد.

على بعد قرابة ثلاثة أميال، تدلَّى ساحر مُخفِق بيديه من غصن عالٍ لشجرة زان.

وتلك هي النتيجة النهائية لخمس دقائق من الأحداث المتلاحقة. فأولًا، اندفعت دبَّة غاضبة من خلال الأشجار وانتزعتْ حَنجرة حصانه بضربة واحدة من مخلبها. ثم في أثناء فرار رينسويند من تلك المجزرة، ركض إلى غابة يتجول بها عدد من الذئاب الغاضبة. كان معلموه في جامعة أونسين، الذين فقدوا الأمل في قدرة رينسويند على اتقان الارتقاء في الهواء، سيتفاجؤون بسرعة وصوله وتسلقه أقربَ شجرة، دون أن يلمسها حتى.

الآن لم تعدْ هناك سوى مشكلة الثعبان.

كان كبيرًا وأخضرَ، وممتدًّا بطول الفرع بصبر الزواحف. تساءل رينسويند أكان سامًّا، ثم لام نفسه على طرح مثل هذا السؤال السخيف. طبعًا سيكون سامًّا، ثم وجَّه سؤالًا لكِيان الموت الجالس على الفرع التالي: «لماذا تبتسم؟».

أجابه الموت: «لا يمكنني منعُ نفسي. هل ستكون لطيفًا بما يكفي لتترك الفرعَ؟ لا أستطيع الانتظار طوال اليوم».

قال رينسويند بتحدٍّ: «أنا أستطيع».

تجمَّعتِ الذئاب حول قاعدة الشجرة ونظرتْ إلى الأعلى باهتمام، نحو وجبتها التالية التي تتحدث مع نفسها.

قال الموت: «لن يؤلمك الأمر». إذا كان للكلمات وزن، فجملة واحدة من الموت يمكنها تثبيت سفينة في الأرض.

ضجَّت ذراعا رينسويند بألمهما عليه، فعبسَ نحو كِيان الموت الشفاف قليلًا، والجالس في انتظاره كعُقَّاب.

قال رينسويند: «لن يؤلم؟ لن يؤلم أن تمزقني الذئاب؟».

لاحظ فرعًا آخر يعبر فرعه الذي يضيق بشكل خطِر على بعد بضع أقدام. إذا تمكن فقط من الوصول إليه...

تأرجح إلى الأمام، ويده ممدودة. لم ينكسر الفرع رغم أنه بدأ فعلًا في الانحناء. فقط أصدر صوتًا رطبًا قليلًا والتوى.

وجد رينسويند نفسه الآن مُتشبثًا بنهاية لسان من اللحاء والألياف، يطول تدريجيًا فيما يتقشر بعيدًا عن الشجرة. نظر إلى الأسفل، وبنوع من الرضا القاتل، أدرك أنه سيهبط مباشرة على الذئب الأكبر.

الآن كان يتحرك ببطء فيما يتقشر اللحاء أكثر فأكثر. في حين يراقبه الثعبان بتفكير.

لكن ظل الطول المتزايد للِّحاء ثابتًا. فبدأ رينسويند يهنئ نفسه حتى رأى، عندما نظر إلى الأعلى، ما لم يلاحظه حتى تلك اللحظة. أكبر عش دبابير قد رآه في حياته، مُعلَّقًا مباشرة في مساره، فأغمض عينيه بإحكام.

سأل نفسه: «لماذا الترول؟ كل شيء آخر هو مجرد حظي المعتاد، لكنْ لماذا الغول؟ ماذا يحدث بحق الجحيم؟».

طاك.

قد يكون ذلك صوتَ انكسار غصن ما، إلا أن الصوت ظهر داخل رأس رينسويند. طاك، طاك. ونسيم لم يُحرِّك حتى ورقة واحدة.

تمزق عش الدبابير من الفرع في أثناء سقوط لحاء الشجرة. مرَّ العش بجوار رأس الساحر، وشاهده يتضاءل وهو يهوي نحو دائرة أنوف الذئاب المرفوعة.

انغلقتِ الدائرة فجأة. بعدها توسعت فجأة.

تردَّد بين الأشجار صدى صرخة الألم الموحَّدة بعدما حاولت العرجلة الهرب من سحابة النحل الغاضبة، فابتسم رينسويند بحماقة.

فجأة، لمس مرفقُ رينسويند شيئًا. كان جذع الشجرة. إذ حمله اللحاء حتى نهاية الفرع، لكنْ لم تكن هناك فروع أخرى. ولا تبرز منه أي أماكن يثبت بها يده على ذلك اللحاء الناعم بجانبه.

لكنْ برزت منه بعض الأيادي. اثنتان منها كانتا الآن تخرجان من خلال اللحاء المغطى بالطحالب بجانبه؛ أيدٍ نحيلة، خضراء كأوراق الشجر الشابة. ثم تبعتها ذراع جميلة، ومن ثَمَّ مالت جنية الشجرة بجسدها بقوة إلى الأمام وأمسكت بالساحر الذاهل بثبات، وبتلك القوة النباتية القادرة على إرسالِ جذورها لاستكشاف الصخور، جذبته إلى داخل الشجرة. تباعد اللحاء الصلب كغيمة ضبابية، ثم انغلق بعده كالمحارة.

شاهد الموت ما يحدث بلا مبالاة. واكتفى بالنظر إلى سحابة الدبابير التي كانت ترقص بفرح بالقرب من جمجمته. ثم فرقع بأصابعه، فسقطت الحشرات في الهواء. لكنْ، على نحو ما، لم يشعر بالإحساس المعتاد نفسه.

دفع إيو المكفوف كاملَ رصيده من القطع خلال المنضدة، وحدَّق إلى الجميع ساخطًا بعينيه اللتين كانتا حاضرتين في الغرفة، ثم خرج بخطوات ثابتة. فصفق بعض أنصاف الآلهة بخفة. على الأقل، استقبل أوفلر خسارته لترول شديد الروعة بأناقة دقيقة، وإن اتسمتْ بقليل من صفات الزواحف.

نقل الخَصْم الأخير للسيدة موقعه على الكرسي حتى صار مواجهًا لها خلال المنضدة، فقالت بلطف: «سيِّدي».

فأجابها: «سيِّدتي». لتلتقي عيناهما.

كان إلهًا صموتًا. قيل إنه وصل إلى عالم القرص بعد حادثة فظيعة وغامضة في احتمالية أخرى. وطبعًا، يحظى الآلهة بامتياز التحكم في شكلهم الظاهري الخارجي، حتى أمام الآلهة الأخرى؛ فكانت هيئة «القَدَر» في عالم القرص الحالية تجسيدًا لرجل طيب في منتصف عمره، إذ تنساب خيوط شعره الرمادية بأناقة حول ملامح لرجل يمكن لفتاة عذراء أن تُقدِّم له بثقة كأسًا من الجعة الصغيرة، لو ظهر عند بابها الخلفي. كان وجهًا يَسعَد شابٌ طيبُ القلب أن يساعد صاحبه على تجاوز جسر صغير، باستثناء عينيه طبعًا.

لا يمكن لأي إله أن يخفي سلوك عينيه وطبيعتهما. كانت طبيعة عينيْ قَدَر عالم القرص هذا كما يلي: بنظرة سريعة كانتا بسيطتين، لكنْ إذا نظرتَ نظرةً أقرب فستكشف –في وقت متأخر جدًّا!– أنهما ليستا سوى ثقبين مفتوحين على عَتَمة بعيدة جدًّا، وعميقة لدرجة أن من يراها سيشعر أنها تجذبه بلا رجعة نحو بِركتين توأمتين من الليل اللانهائي، ونجومهما الدوارة الرهيبة...

سعلتِ «السيدة» بلطف، ووضعتْ إحدى وعشرين قطعةً بيضاء على المنضدة. ثم أخرجتْ من ثوبها قطعة أخرى، فضية وشفافة وبضعف حجم القطع الأخرى. فدائمًا ما تجد الروح الحقيقية للبطل مُعدَّلَ صرف أفضل، ويُقدِّرها الآلهة كثيرًا.

رفع «القَدَر» حاجبه، وقال: «دون خداع يا سيِّدتي».

فسألته: «لكن من يُمكِنه أن يخادع القدر؟».

هزَّ كتفيه، وقال: «لا أحد. ومع ذلك، يحاول الجميع».

– ومع ذلك، مُجددًا، أعتقد أنني شعرتُ بأنك تقدم لي بعض المساعدة ضد الآخرين؟

- طبعًا. كي تصبح الجولة النهائية أكثر جمالًا يا سيدتي. والآن...

مدَّ يده إلى صندوق اللعب خاصته وأخرج قطعة، ووضعها على اللوح بارتياح. أطلق الآلهة الذين يشاهدونه تنهيدة جماعية. حتى «السيدة» تفاجأت للحظة.

كانت بالتأكيد قطعةً قبيحةَ الشكل. فالنحت كان مُهتزًّا، كأنَّ يديِ النَّحات كانتا ترتجفان خوفًا من الشيء الذي يتشكل تحت أصابعه المترددة. بدتْ كلها ممصات ومجسَّات. كما لاحظتِ السيدة وجود فك سفليٍّ، وعين واحدة كبيرة، فقالت: «ظننتُ أن مثل هذا قد انقرض في بداية الزمان».

ضحك القَدَر باستمتاع: «ربما تردَّد صديقنا الموت في الاقتراب من هذا».

- لم ينبغِ له قطُّ أن يُولَد.

قال القدر بحكمة: «ومع ذلك وُلِدَ». ثم جمع النرد في صندوقه الغريب، ثم رفع نظره نحوها مُكمِلًا: «ما لم تكوني راغبةً في الانسحاب...؟».

فهزَّت رأسها، وقالت: «العب».

- أيمكنكِ مضاهاة رهاني؟

- العب.

يدرك رينسويند ما يوجد داخل الأشجار: خشب، وراتنج، وربما سناجب. لكنْ ليس قصرًا.

مع ذلك، فإن الوسائد الموجودة تحته كانت بالتأكيد أنعم من الخشب، والنبيذ في الكوب الخشبي بجانبه كان ألذَّ من الراتنج، ولا وجود لأي

مُقارنة بين السنجاب والفتاة الجالسة أمامه التي تحتضن ركبتيها وتراقبه بتفكير، إلا بملاحظة بعض الإشارات المؤكدة لوجود وبر.

كانت الغرفة عاليةً وواسعةً ومضاءةً بضوء أصفر لطيف لا يأتي من مصدر معين يُمكِن لرينسويند تحديده. استطاع أن يرى غُرفًا أخرى من خلال أبواب قوسية معقودة، وما يشبه سلمًا مُلتويًا كبيرًا جدًّا. وقد بدا كذلك كشجرة عادية تمامًا من الخارج.

كانت الفتاة خضراء اللون... لحم جسَدها نفسه أخضر اللون. كان رينسويند واثقًا تمام الثقة بذلك، لأن كل ما كانت ترتديه هو قلادة حول رقبتها. بدا شعرها الطويل طحلبيًّا بشكل خافت. ولم تحتوِ عيناها على بؤرٍ، بل ومضتْ باللون الأخضر المُشعِّ. تمنَّى رينسويند لو أنه أولى اهتمامًا أكبر لمحاضرات الأنثروبولوجيا في الجامعة.

ظلتِ الفتاة صامتةً. فبعيدًا عن توجيهها إياه نحو الأريكة وتقديم النبيذ له، لم تفعلْ شيئًا سوى الجلوس ومراقبته، وتُدلِّك خدشًا عميقًا على ذراعها بين الحين والآخر.

تذكَّر رينسويند على الفور أن الدريادة أو جنية الشجر مُرتبطة بشجرتها لدرجة أنها تنجرح إذا جُرِحَتِ الشجرة، فقال بسرعة: «آسف لذلك. كان مجرد حادث. أعني، كانت هناك هذه الذئاب، و...».

قالت الدريادة بسلاسة: «اضطُرِرتَ إلى تسلُّق شجرتي، وأنقذتكَ. يا لكَ من سعيد الحظ. وربما صديقكَ محظوظ أيضًا؟».

- صديقي؟

أجابته جنية الشجر: الرجل الصغير ذو الصندوق السحري.

قال رينسويند بشكل غامض: «أوه، بالتأكيد، هذا الرجل. نعم. آمل أن يكون بخير».

- إنه بحاجة إلى مساعدتك.

- عادةً ما يحتاج إليها. هل وصل إلى شجرة أيضًا؟

- وصل إلى معبد بيل-شامهاروث.

اختنق رينسويند بشرابه. حاولتْ أذناه الاختباء داخل رأسه من فرط الرعب بسبب الاسم الذي سمعتْه للتو. آكِل الأرواح! تدافعتِ الذكريات إلى عقله قبل أن يتمكن من إيقافها. في إحدى المرات، بينما كان طالبًا في السحر العملي بالجامعة الخفيَّة، ومن أجل رهان، تسلل إلى الغرفة الصغيرة بجانب المكتبة الرئيسية، الغرفة ذات الجدران المُغطَّاة بالنجوم الخماسية الوقائية المصنوعة من الرصاص، الغرفة التي لا يُسمح لأحد بالبقاء فيها أكثرَ من أربع دقائق واثنين وثلاثين ثانية، وهو رقم تحدَّد بعد مئتي عام من التجارب الحذرة...

فتح رينسويند الكتاب بحذر، والذي كان مُقيَّدًا بالمنصة المصنوعة من الأوكتيرون في وسط الأرضية الملآنة بالحروف الرونية، ليس خوفًا من سرقته، بل خوفًا من هروبه، لأنه كان كتابَ الأوكتافو المملوء بالسحر لدرجة أنه امتلك نوعًا من الوعي غير الواضح. وفعلًا، قفزتْ تعويذة من الصفحات المتشققة واستقرَّت في زوايا عقله المظلمة. وبصرف النظر عن معرفة أنها كانت واحدةً من التعاويذ الثمانية العظيمة، لم يعرف أحد أي تعويذة من الثمانية كانت، إلى أن نطق بها رينسويند. حتى رينسويند نفسه لم يعرفْ. لكنه كان يشعر بها أحيانًا، تختبئ بداخله، في انتظار وقتها المناسب...

على الغِلاف الخارجي للأوكتافو رسم لبيل-شامهاروث. لم يكن شريرًا، لأن حتى الشر له وجود معين، بيل-شامهاروث كان الوجه الآخر للعملة التي يجتمع فيها الخير والشر على وجه واحد.

مُقارنة بين السنجاب والفتاة الجالسة أمامه التي تحتضن ركبتيها وتراقبه بتفكير، إلا بملاحظة بعض الإشارات المؤكدة لوجود وبر.

كانت الغرفة عاليةً وواسعةً ومضاءةً بضوء أصفر لطيف لا يأتي من مصدر معين يُمكِن لرينسويند تحديده. استطاع أن يرى غُرفًا أخرى من خلال أبواب قوسية معقودة، وما يشبه سلمًا مُلتويًا كبيرًا جدًّا. وقد بدا كذلك كشجرة عادية تمامًا من الخارج.

كانت الفتاة خضراء اللون... لحم جسَدها نفسه أخضر اللون. كان رينسويند واثقًا تمام الثقة بذلك، لأن كل ما كانت ترتديه هو قلادة حول رقبتها. بدا شعرها الطويل طحلبيًّا بشكل خافت. ولم تحتوِ عيناها على بؤرٍ، بل ومضتْ باللون الأخضر المُشعِّ. تمنَّى رينسويند لو أنه أولى اهتمامًا أكبر لمحاضرات الأنثروبولوجيا في الجامعة.

ظلتِ الفتاة صامتةً. فبعيدًا عن توجيهها إياه نحو الأريكة وتقديم النبيذ له، لم تفعلْ شيئًا سوى الجلوس ومراقبته، وتُدلِّك خدشًا عميقًا على ذراعها بين الحين والآخر.

تذكَّر رينسويند على الفور أن الدريادة أو جنية الشجر مُرتبطة بشجرتها لدرجة أنها تنجرح إذا جُرِحَتِ الشجرة، فقال بسرعة: «آسف لذلك. كان مجرد حادث. أعني، كانت هناك هذه الذئاب، و...».

قالت الدريادة بسلاسة: «اضطُرِرتَ إلى تسلُّق شجرتي، وأنقذتكَ. يا لكَ من سعيد الحظ. وربما صديقكَ محظوظ أيضًا؟».

- صديقي؟

أجابته جنية الشجر: الرجل الصغير ذو الصندوق السحري.

قال رينسويند بشكل غامض: «أوه، بالتأكيد، هذا الرجل. نعم. آمل أن يكون بخير».

- إنه بحاجة إلى مساعدتك.

- عادةً ما يحتاج إليها. هل وصل إلى شجرة أيضًا؟

- وصل إلى معبد بيل-شامهاروث.

اختنق رينسويند بشرابه. حاولتْ أذناه الاختباء داخل رأسه من فرط الرعب بسبب الاسم الذي سمعتْه للتو. آكِل الأرواح! تدافعتِ الذكريات إلى عقله قبل أن يتمكن من إيقافها. في إحدى المرات، بينما كان طالبًا في السحر العملي بالجامعة الخفيَّة، ومن أجل رهان، تسلل إلى الغرفة الصغيرة بجانب المكتبة الرئيسية، الغرفة ذات الجدران المُغطَّاة بالنجوم الخماسية الوقائية المصنوعة من الرصاص، الغرفة التي لا يُسمح لأحد بالبقاء فيها أكثرَ من أربع دقائق واثنين وثلاثين ثانية، وهو رقم تحدَّد بعد مئتي عام من التجارب الحذرة...

فتح رينسويند الكتاب بحذر، والذي كان مُقيَّدًا بالمنصة المصنوعة من الأوكتيرون في وسط الأرضية الملآنة بالحروف الرونية، ليس خوفًا من سرقته، بل خوفًا من هروبه، لأنه كان كتابَ الأوكتافو المملوء بالسحر لدرجة أنه امتلك نوعًا من الوعي غير الواضح. وفعلًا، قفزتْ تعويذة من الصفحات المتشققة واستقرَّت في زوايا عقله المظلمة. وبصرف النظر عن معرفة أنها كانت واحدةً من التعاويذ الثمانية العظيمة، لم يعرف أحد أي تعويذة من الثمانية كانت، إلى أن نطق بها رينسويند. حتى رينسويند نفسه لم يعرفْ. لكنه كان يشعر بها أحيانًا، تختبئ بداخله، في انتظار وقتها المناسب...

على الغِلاف الخارجي للأوكتافو رسم لبيل-شامهاروث. لم يكن شريرًا، لأن حتى الشر له وجود معين، بيل-شامهاروث كان الوجه الآخر للعملة التي يجتمع فيها الخير والشر على وجه واحد.

اقتبس رينسويند فيما تجمد عقله خوفًا: «آكل الأرواح. رقمه يقع السبعة والتسعة؛ إنه ضعف الأربعة. أوه لا. أين المعبد؟».

قالت الدريادة: «في اتجاه المركز، نحو مركز الغابة. إنه قديم ج

- لكنْ من سيكون غبيًّا بما يكفي لعبادة بيل-... لعبادته؟ أء الشياطين طبعًا، لكنه آكل الأرواح...».

- هُناك... مزايا معينة. كان للكائنات التي اعتادت أن تعيش في المِنْطَقة معتقدات غريبة.

- ماذا أصابهم إذن؟

- لقد قلت إنهم «اعتادوا» أن يعيشوا في هذه المِنْطَقة.

ثم قامت الدريادة ومدت يدها قائلة: «تعالَ. أنا درويلاي. تعالَ وشاهدْ مصير صديقك. سيكون ذلك مُمتِعًا».

قال رينسويند: «لستُ متأكدًا من أن...».

نظرت الدريادة إليه بعينيها الخضراوين، وسألته: «أتظن أن خِيارًا؟».

التفَّ درج عريض كطريق سريع رئيسي صعودًا خلال الش وتشعبتْ منه غرف واسعة تؤدي إلى كل طابق. كان الضوء الأصفر لا مصدر له في كل مكان. وهناك أيضًا صوت مثل -ركَّز رينس مُحاولًا تحديده- مثل الرعد البعيد، أو شلال بعيد.

قالت الدريادة باقتضاب: «إنها الشجرة».

قال رينسويند: «ماذا تفعل الشجرة؟».

- تعيش.

- لقد تساءلتُ عن هذا الأمر. أعني، هل نحن حقًّا داخل شجرة حقًّا؟ هل تقلَّص حجمي؟ لقد بدتْ من الخارج ضيقة بما يكفي لأن أحيط جذعها بذراعي».

- هي كذلك.

- ممم، لكنني هنا بداخلها؟

- أنت كذلك.

قال رينسويند: «هممم». فضحكتْ درويلاي وقالت: «يمكنني قراءة أفكارك أيها الساحر الزائف! ألستُ دريادة؟ ألا تعرف أن ما تحطَّ من قيمته وتسمِّيه مجرد شجرة ليس إلا التناظر رباعي الأبعاد لكون كامل متعدد الأبعاد والذي... لا، أرى أنك لا تعرف ذلك. كان يجب أن أدرك أنك لستَ ساحرًا حقيقيًّا عندما رأيتُ أنك لا تملك عصا».

كذب رينسويند تلقائيًّا: «لقد فقدتها في حريق».

- ولا قبعة مطرزة بالرموز السحرية.

- طارت بعيدًا.

- ولا حيوان يساعدك.

- لقد مات. انظرِي، شكرًا لإنقاذي، لكنْ إذا لم تمانعي، فأعتقد أنه ينبغي لي أن أغادر. أيمكنكِ أن تريني طريق الخروج.

شيء في تعبيرات وجهها جعله يلتفت. كان هناك ثلاثة من الدرياد الذكور خلفه. كانوا عراة مثل المرأة، وغير مسلحين. مع ذلك، لم تكن الحقيقة الأخيرة ذات أهمية. فلم يبدوا كأنهم بحاجة إلى أسلحة لمقاتلة رينسويند. بدوْا كأنهم قادرون على شق طريقهم خلال الصخور الصلبة وضرب جماعة من الترولات. نظر إليه العمالقة الثلاثة الوسيمين بوجوه

اقتبس رينسويند فيما تجمد عقله خوفًا: «آكل الأرواح. رقمه يقع بين السبعة والتسعة؛ إنه ضعف الأربعة. أوه لا. أين المعبد؟».

قالت الدريادة: «في اتجاه المركز، نحو مركز الغابة. إنه قديم جدًّا».

- لكنْ من سيكون غبيًّا بما يكفي لعبادة بيل-... لعبادته؟ أعني، الشياطين طبعًا، لكنه آكل الأرواح...».

- هُناك... مزايا معينة. كان للكائنات التي اعتادت أن تعيش في هذه المِنْطَقة معتقدات غريبة.

- ماذا أصابهم إذن؟

- لقد قلت إنهم «اعتادوا» أن يعيشوا في هذه المِنْطَقة.

ثم قامت الدريادة ومدت يدها قائلة: «تعالَ. أنا درويلاي. تعالَ معي وشاهدْ مصير صديقك. سيكون ذلك مُمتِعًا».

قال رينسويند: «لستُ متأكدًا من أن...».

نظرت الدريادة إليه بعينيها الخضراوين، وسألته: «أتظن أن لديك خِيارًا؟».

التفَّ درج عريض كطريق سريع رئيسي صعودًا خلال الشجرة، وتشعبتْ منه غرف واسعة تؤدي إلى كل طابق. كان الضوء الأصفر الذي لا مصدر له في كل مكان. وهناك أيضًا صوت مثل -ركَّز رينسويند مُحاوِلًا تحديده- مثل الرعد البعيد، أو شلال بعيد.

قالت الدريادة باقتضاب: «إنها الشجرة».

قال رينسويند: «ماذا تفعل الشجرة؟».

- تعيش.

- لقد تساءلتُ عن هذا الأمر. أعني، هل نحن حقًّا داخل شجرة حقًّا؟ هل تقلَّص حجمي؟ لقد بدتْ من الخارج ضيقة بما يكفي لأن أحيط جذعها بذراعي».

- هي كذلك.

- ممم، لكنني هنا بداخلها؟

- أنت كذلك.

قال رينسويند: «هممم». فضحكتْ درويلاي وقالت: «يمكنني قراءة أفكارك أيها الساحر الزائف! ألستُ دريادة؟ ألا تعرف أن ما تحطَّ من قيمته وتسمِّيه مجرد شجرة ليس إلا التناظر رباعي الأبعاد لكون كامل متعدد الأبعاد والذي... لا، أرى أنك لا تعرف ذلك. كان يجب أن أدرك أنك لستَ ساحرًا حقيقيًّا عندما رأيتُ أنك لا تملك عصا».

كذب رينسويند تلقائيًّا: «لقد فقدتها في حريق».

- ولا قبعة مطرزة بالرموز السحرية.

- طارت بعيدًا.

- ولا حيوان يساعدك.

- لقد مات. انظرِي، شكرًا لإنقاذي، لكنْ إذا لم تمانعي، فأعتقد أنه ينبغي لي أن أغادر. أيمكنكِ أن تريني طريق الخروج.

شيء في تعبيرات وجهها جعله يلتفت. كان هناك ثلاثة من الدرياد الذكور خلفه. كانوا عراة مثل المرأة، وغير مسلحين. مع ذلك، لم تكن الحقيقة الأخيرة ذات أهمية. فلم يبدوا كأنهم بحاجة إلى أسلحة لمقاتلة رينسويند. بدوْا كأنهم قادرون على شق طريقهم خلال الصخور الصلبة وضرب جماعة من الترولات. نظر إليه العمالقة الثلاثة الوسيمين بوجوه

خشبية مخيفة. كانت جلودهم بلون قشور الجوز، وتحتها انتفختْ عضلاتهم ككرات البطيخ.

تلفتَ رينسويند حوله مرة أخرى وابتسم بضعف لدرويلاي. بدأتِ الحياة تتخذ شكلًا مألوفًا مرة أخرى.

قال رينسويند: «لمْ تنقذوني، أليس كذلك؟ أنا أسير، صحيح؟».

- طبعًا.

- ولن تتركوني أذهب؟

كان هذا واضحًا.

هزت درويلاي رأسها وقالت: «لقد آذيتَ الشجرة. لكنكَ سعيد الحظ. صديقكَ سيقابل بيل-شامهاروث. أما أنت فستموت فقط».

جاءت من خلفه يدا شخص، فقبضتْ على كتفيه بطريقة مشابهة لتشابك جذور الشجرة القديمة حول حصاة.

أكملت الدريادة: «مع قدر معين من الطقوس، طبعًا. بعد أن ينتهي مُرسِل الثمانية من صديقك».

كل ما استطاع رينسويند قوله كان: «أتعلمين، لم أتخيلْ قطُّ وجود درياد ذكور. حتى لو في شجرة بلوط».

ابتسم أحد العمالقة له، فيما تنهدت درويلاي بازدراء وقالت: «غبي! من أين تظن أن البلوط يأتي؟».

كانت هناك مساحة شاسعة تشبه قاعة، يحجب الضباب الذهبي سقفها عن الأنظار، فيمتدُّ خلاله السلم اللا نهائي.

تجمع عدة مئات من الدرياد في الطرف الآخر من القاعة، ثم انقسموا باحترام عندما اقتربتْ درويلاي، ونظروا إلى رينسويند خلفها فيما يُدفع بقوة.

كان معظمهم من الإناث، رغم أن بينهم بعضَ الذكور العمالقة. وقفوا مثل تماثيل الآلهة بين الإناث الصغيرات الذكيات. فكَّر رينسويند أنهم كالحشرات، والشجرة كخلية نحل.

لكنْ لماذا كانت هناك كائنات الدرياد من الأساس؟ حسب ما أمكنه أن يتذكر، انقرض شعب الشجرة منذ قرون. إذ تجاوزهم البشر في التطور، مثل معظم شعوب الشفق الأخرى. لم ينجُ من قدوم الإنسان إلى عالم القرص سوى الجان والترولات فقط. نجا الجان لأنهم كانوا أذكياءً للغاية، وشعب الترولات لأنهم كانوا على الأقل مثل البشر بارعين في كونهم شريرين وخبثاء وجشعين. كان من المفترض أن الدرياد انقرضوا، جنبًا إلى جنب مع الأقزام السحرية والبيكسيات.

كان صوت الهدير في الخلفية أعلى هنا. وأحيانًا، يندفع توهج ذهبي نابض يندفع خلال الجدران الشفافة إلى أن يتلاشى في الضباب بالأعلى، ليهتز بسبب قوة ما في الهواء.

قالت درويلاي: «أيها الساحر العاجز، فلتشهد بعض السحر. ليس سحرك الضعيف الجبان، بل سحر الجذور والأفرع، السحر القديم. السحر البري. انظر».

شكَّلت خمسون أو نحو ذلك من الإناث مجموعةً متراصَّةً، ثم تشابكتْ أيديهن وتراجعن حتى كوَّنَّ محيطَ دائرة كبيرة. بدأت بقية الدريادات بالإنشاد بصوت منخفض. ثم بإيماءة من درويلاي، بدأت الدائرة تدور عكس اتجاه عقارب الساعة.

بينما بدأتِ الوتيرة بالتسارع، وارتفعتِ الأصوات بجُمل الأناشيد المُعقَّدة، وجد رينسويند نفسه يشاهد ذلك بدهشة. لقد سمع بالسحر القديم في الجامعة، رغم أنه كان محظورًا على السحرة. كان يعلم أنه عندما تدور الدائرة بسرعة كافية ضد المجال السحري الثابت لعالم

القرص نفسه في دورانه البطيء، فإن الاحتكاك النجمي الناتج سيبني فرق جهد كبيرًا سيفرغ شحنته من خلال تفريغ هائل لقوة سحر العناصر.

صارتِ الدائرة كالومضة الآن من فرط السرعة، فيما رنَّت جدران الشجرة بصدى الإنشاد...

شعر رينسويند في فروة رأسه بالوخز الشائك المألوف الذي يشير إلى تراكم شِحنة ثقيلة من السحر الخام في المكان، لذلك لم يُدهَشْ تمامًا مما حدث بعد بضع ثوانٍ، إذ هبط عمود من الضوء الأوكتاريني الواضح من السقف الخفي، وتركَّز في وسط الدائرة مُصدِرًا فرقعةً.

تشكلتْ هناك صورة لتلة تعصف بها العواصف، مُحاطة بالأشجار مع معبد على قمتها. يجلب شكله أحاسيس غير مريحة للعين. أدرك رينسويند أنه إذا كان ذلك المعبد لبيل-شامهاروث، فسيكون له ثمانية جوانب. (الرقم ثمانية هو رقم بيل-شامهاروث أيضًا، ولهذا السبب لا يذكر الساحر العاقل ذلك الرقم، إن استطاع تجنُّبُه. أو كما كان يُحذِّر المتدربون بطرافة: «وإلا ستموت في ظرف (ثمانية) واحدة». كان بيل-شامهاروث مُنجذبًا بشكل خاص إلى السحرة الهواة الذين، باعتبارهم كالمتسكعين على شواطئ الأشياء غير الطبيعية، كانوا فعلًا شبه واقعين في شباكه. كان رقم غرفة رينسويند في مبنى الإقامة خاصته هو سبعة مُكرَّر. ولم يكن ذلك أمرًا مفاجئًا له).

تدفق المطر على جدران المعبد السوداء. كانت العلامة الوحيدة على وجود حياة هي الحصان المربوط بالخارج، ولم يكن حصان توفلاور. وذلك لأنه كان كبيرًا جدًّا. كان حصانًا أبيض بحوافر بحجم أطباق اللحم وسرج جلدي متلألئ بزخارف ذهبية مبهجة. كان يستمتع حاليًّا بالتناول من حقيبة الطعام.

هناك شيء مألوف بشأنه. حاول رينسويند تذكر أين رآه من قبل.

على أي حال، بدا كما لو كان قادرًا على الركض بسرعة جيدة. سرعة يمكنه الحفاظ عليها مدةً طويلة حالما يتباطأ. كل ما كان على رينسويند فعله هو التخلص من حراسه، وشقُّ طريقه نحو الخروج من الشجرة، ثم العثور على المعبد وسرقة الحصان من تحت أنف أيًّا كان ما يستخدمه بيل-شامهاروث كأنف.

قالت درويلاي في أثناء نظرها بحدة إلى رينسويند: «يبدو أن مُرسِلَ الثمانية لديه اثنان على العشاء. إلى مَن ينتمي ذلك الحصان أيها الساحر الزائف؟».

- لا أعلم.

- لا تعلم؟ حسنًا، لا يهمُّ. سنرى قريبًا بما يكفي.

لوَّحت بيدها، فتحركتْ بؤرة الصورة إلى الداخل، لتندفع خلال قوس كبير تُماني الأضلاع، وتسرع خلال الممر الداخلي.

كان هناك شخص يسير بحذر، مُحاذيًا الجدار بظهره. ورأى رينسويند بريق الذهب والبرونز.

لم يكن هناك أي شك في ذلك الشخص. لقد رآه مرات عدَّة. ذلك الصدر العريض، الرقبة التي تشبه جذع الشجرة، الرأس الصغير بشكل مُدهِش تحت شعره الأسود الكثيف يبدو كثمرة طماطم فوق تابوت... إنه يعلم اسم ذلك الشخص المتسلل، إنه هرون البربري.

كان هرون واحدًا من أكثر أبطال البحر الدائري تحملًا: مقاتلَ التنانين، لصَّ المعابد، مقاتلًا مرتزقًا، السبب الأساسي لكل شجار بالشوارع. كان بإمكانه حتى -وعلى عكس العديد من الأبطال الذين

يعرفهم رينسويند- أن ينطق بكلمات أكثر من مقطع واحد، إذا أُتيح له الوقت الكافي، وربما بعض المساعدة.

تناهى إلى أسماع رينسويند صوت على بُعد. بدا كعدَّة جماجم تتدحرج على درجات قبو بعيد. نظر جانبًا ليرى أكان حراسه قد سمعوا ذلك الصوت.

كان اهتمامهم المحدود مُنصبًّا على هرون، الذي كان بلا شك مشابهًا لنمطهم نفسه. فيما استقرت أيديهم بخفة على كتفيِ الساحر.

انحنى رينسويند، وارتدَّ إلى الخلف مثل بهلوان، ثم بدأ بالركض. وسمع من خلفه صوت صراخ درويلاي، فضاعف من سرعته.

أمسك شيء ما بقلنسوة ردائه، فتمزقتْ. كان هناك ذكر درياد في انتظاره عند الدرج، فاتحًا ذراعيه باتساع ومبتسمًا بنظرة خشبية إلى الساحر الراكض إليه. انحنى رينسويند مُجددًا، دون أن يكسر خطوته، فانخفض إلى أن صار ذقنه على مستوى ركبتيه، فيما مرَّت قبضة كالجذع خلال الهواء بجوار أذنه.

وجد أمامه مجموعة كاملة من رجال الشجرة في انتظاره. فدار حول نفسه، تفادى ضربة أخرى من حارس مرتبك، وأسرع عائدًا نحو الدائرة، متجاوزًا في طريقه الدريادات اللواتي كنَّ يلاحقنه، وتركهنَّ مُشتتات كمجموعة من قطع اللعب الخشبية.

لكنْ لا يزال هناك المزيد في الأمام، يشقُّون طريقهم خلال حشود الإناث ويضربون قبضاتهم براحة أيديهم بتركيز شديد.

قالت درويلاي وهي تتقدم إلى الأمام: «قفْ مكانك أيها الساحر المزيف»، فيما دار خلفها الراقصون المسحورون، وبدأت نقطة التركيز على الدائرة تنجرف على طول ممر مُضاء باللون البنفسجي.

انفجر رينسويند غاضبًا، وصرخ: «توقفي عن ذلك!». ثم داس بقدمه مُتذمرًا وقال: «لنوضح هذا الأمر، حسنًا؟ أنا ساحر حقيقي!».

قالت الدريادة: «حقًّا؟ إذن دعنا نرى كيف تلقي تعويذة».

قال رينسويند: «آه...». الحقيقة هي أنه، منذ أن احتلتِ التعويذة القديمة الغامضة ذهنه، لم يتمكن من تذكر حتى أبسط التعويذات، مثل قتل الصراصير أو حك ظهره دون استخدام يديه. حاول كبار سحرة الجامعة الخفيَّة تفسير ذلك بافتراض أن الحفظ اللاإرادي للتعويذة قد عطَّل جميع خلايا حفظ التعويذات لديه. في لحظاته المظلمة، توصَّل رينسويند إلى تفسيره الخاص عن سبب عدم بقاء حتى التعويذات البسيطة في ذهنه لأكثر من بضع ثوانٍ. لقد توصل إلى أنهم كانوا خائفين.

كرر رينسويند: «آه...».

قالت درويلاي: «تعويذة صغيرة ستفي بالغرض»، وهي تراقبه فيما يتلوى من الغضب والإحراج. فأشارت بيدها، ليقترب اثنان من رجال الدرياد.

اختارتِ التعويذةُ تلك اللحظةَ لتقفز إلى سرج وعي رينسويند الذي تخلى عنه مؤقتًا، فشعر بها جالسة هناك، تحدِّق إليه بتحدٍّ.

قال بإرهاق: «أعرف تعويذة فعلًا».

قال درويلاي: «حقًّا؟ قلها إذن».

لم يكنْ رينسويند متأكدًا أكان يجرؤ على ذلك، مع أنَّ التعويذة كانت تحاول السيطرة على لسانه، فقاومها، وقال بشكل غير واضح: «قلتِ إنكِ تستطيعين قراءة عقلي. اقرأيه».

تقدمتْ إلى الأمام ناظرةً إلى عينيه بسخرية، ثم تجمدتِ ابتسامتها، ورفعتْ يديها لحماية نفسها فيما انحنت إلى الخلف. وخرج من حنجرتها صوت من الرعب الخالص.

نظر رينسويند حوله، ليجد بقية الدرياد يتراجعون كذلك. ماذا فعل؟ يبدو أنه فعل شيئًا مروِّعًا.

لكنْ وَفْقَ خبرته، كان الأمر مجرد مسألة وقت قبل أن يستعيد التوازن الطبيعي للكون نفسه، ويبدأ في إصابته بالأشياء المروِّعة المعتادة له. تراجع رينسويند إلى الخلف، ومرَّ بين الدرياد الذين استمرُّوا في الدوران، مكوِّنين الدائرة السحرية، وراقب ما ستفعله درويلاي لاحقًا.

صرخت درويلاي: «أمسكوا به. خذوه بعيدًا عن الشجرة واقتلوه».

استدار رينسويند وفرَّ هاربًا. من خلال مركز الدائرة، فحدث وميض ساطع، ثم حلَّ الظلام فجأة. كان هناك ظل بنفسجي على شكل رينسويند، سرعان ما تلاشى إلى نقطة واختفي.

لم يتبقَّ منه شيء على الإطلاق.

تسلَّل هرون البربري بصمت خلال الممرات المُضاءة بضوء بنفسجي داكن جدًّا كاد يصبح أسودَ. كانت حيرته السابقة قد زالت، فهذا معبد سحري بكل وضوح، وذلك يفسر كل شيء.

فسَّر ذلك له السبب في أنه، في وقت سابق بالظهيرة، قد رأى صندوقًا بجانب الطريق في أثناء مسيرته خلال هذه الغابة الملعونة. كان غطاؤه مفتوحًا بشكل مُغرٍ، ليعرض الكثير من الذهب. لكن عندما قفز من على حصانه ليتقدم نحوه، نبتت للصندوق أرجل وبدأ يهرول داخل الغابة، متوقفًا مرة أخرى على بعد بضع مئات من الأمتار.

الآن، بعد ساعات طويلة من المطاردة المثيرة، فقد أَثَر الصندوق خلال هذه الأنفاق المُضاءة بلهب الجحيم. على العموم، لم يخفْ هرون من النقوش المزعجة والهياكل العظمية المتفرقة التي مر بها. ليس فقط لأنه لم يكن ذكيًّا بشكل استثنائي وفي الوقت نفسه يفتقر إلى الخيال، لكنْ أيضًا لأن النقوش الغريبة والأنفاق الخطِرة كانت جزءًا من عمله اليومي. إذ قضى وقتًا طويلًا في مواقف مشابهة، بحثًا عن الذهب أو الشياطين أو العذارى الحزانى، فيحرر الذهب من مالكيه، ويحرر الشياطين من أرواحهم، ويبعد عن العذارى سببًا واحدًا على الأقل من أسباب حزنهم.

انظرْ إلى هرون، وهو يقفز بخفة القط خلال فوهة نفق مُريب. فتلمعْ بشرته بلون نُحاسي رغم هذا الضوء البنفسجي، ويرتدي كمًّا كبيرًا من الذهب على جسده، في شكل أساور وخَلخال، لكنْ خلاف ذلك، يقف عاريًا إلا من مئزر من جلد الفهد. حصل على ذلك المئزر في الغابات البخارية لهوندالاند، بعد قتل صاحبه بأسنانه.

حمل في يده اليمنى السيف الأسود السحري المُسمى كرينج، الذي صُنِعَ من صاعقة وله روح، لكنه لا يحتمل البقاء في غمد. سرقه هرون منذ ثلاثة أيام فقط من القصر الحصين لرئيس الكهنة في بيتوني، وقد ندم فعلًا على ذلك. إذ بدأ السيف في إزعاجه.

همس كرينج بصوت يشبه احتكاكَ نصل سيف بحجر: «أنا واثق أنه ذهب خلال ذلك الممر الأخير على اليمين».

- اصمت!

- كل ما قلتُه هو...

- اخرس!

أما توفلاور...

أدرك أنه تائه. إما أن المبنى كان أكبر بكثير مما يبدو، وإما أنه الآن في طابق واسع تحت الأرض دون أن يهبط أي درجات، أو –كما بدأ بالظنِّ– أن الأبعاد الداخلية للمكان تخالف قاعدة أساسية في الهندسة المعمارية بكونها أكبر من الخارج. ولماذا كل هذه الأضواء الغريبة؟ كانت هناك بلورات ثُمانية الأضلاع مُثبَّتة على مسافات منتظمة في الجدران والسقف، وينبعث منها ضوء مزعج لا ينير بقدر ما يحدد ملامح الظلام.

فكَّر توفلاور أنه أيًّا من نحت تلك النقوش على الحائط، لا بُدَّ أنه أفرط في الشراب كثيرًا. عدةَ سنوات.

من ناحية أخرى، كان مبنًى رائعًا بالتأكيد. ومن بنوْه لديهم هوس بالرقم ثمانية. فالأرضية فسيفساء مستمرة من البلاط ثُماني الأضلاع، فيما مالت جدران وأسقف الممرات لتعطي الممرات ثمانية جوانب إذا احتُسِبَت الجدران والأسقف، وفي الأماكن التي انهار منها جزء من البناء، لاحظ توفلاور أن حتى الحجارة نفسها كانت ثُمانية الأضلاع.

قال عفريت الصورة من صندوقه حول عنق توفلاور: «لا يعجبني ذلك».

فسأله توفلاور: «لماذا؟».

- إنه غريب.

- لكنك شيطان. الشياطين لا يمكنها أن تصف الأشياء بالغرابة. أعني، ما الغريب بالنسبة إلى الشيطان؟

قال الشيطان بحذر: «أوه، تعرف». ثم تلفَّت حوله بعصبية وانتقل من مخلب إلى آخر: «أشياء. أمور».

نظر توفلاور إليه بصرامة وقال: «أي أشياء؟».

سعل الشيطان بعصبية (الشياطين لا تتنفس؛ ومع ذلك، كل كائن ذكي، سواء كان يتنفس أم لا، يسعل بعصبية في بعض الأحيان خلال حياته. وكانت هذه هي اللحظة بالنسبة إلى الشيطان).

أجابه الشيطان ببؤس: «أوه، أشياء. أشياء شريرة. أشياء لا نتحدث عنها، هذه هي النقطة التي أحاول توضيحها بشكل عام يا سيدي».

هز توفلاور رأسه بتعب وقال: «أتمنى لو كان رينسويند هنا. كان سيعرف ماذا يفعل».

قال الشيطان ساخرًا: «رينسويند؟ لا أستطيع أن أرى ساحرًا قادمًا إلى هنا. لا يمكنهم أن تجمعهم أي عَلاقة بالرقم ثمانية». ثم ضرب الشيطان فمه بيده شاعرًا بالذنب.

نظر توفلاور إلى السقف، وسأله: «ما هذا؟ أسمعتَ شيئًا؟».

قال الشيطان بإصرار: «أنا؟ أسمع؟ لا! لم أسمع شيئًا!»، ثم عاد بسرعة إلى صندوقه وأغلق الباب. طرق توفلاور باب الصندوق، فانفتح الباب قليلًا.

قال توفلاور موضحًا: «بدا كأنه حجر يتحرك». فانغلق الباب بقوة، ليهزَّ توفلاور كتفيه ويقول لنفسه: «ربما المكان على وشك الانهيار».

وقف وصاح: «هل هناك أحد بالمكان؟».

فرددتِ الأنفاق المظلمة: «كان، كان، كان».

حاول مُجددًا وصاح: «مرحبًا؟».

- بًا، بًا، بًا.

- أعلم بوجود شخص هنا، لقد سمعتكَ للتو تلعب النرد!

- نرد، نرد، نرد.

- انظر، لقد كنتَ فقط...

توقف توفلاور، والسبب في ذلك هو النقطة الساطعة من الضوء التي ظهرتْ على بعد بضع أقدام من عينيه. نمتْ بسرعة، وصارت بعد بضع ثوانٍ جسمًا صغيرًا لامعًا لرجل. في هذه المرحلة بدأت تصدر صوتًا، أو بالأحرى، بدأ توفلاور يسمع الصوت الذي كانتْ تصدره طوال الوقت. بدا كأنه جزء من صرخة، محبوسة في لحظة زمنية طويلة.

أصبح الرجل اللامع الآن بحجم دمية، جسم مُعذَّب يتقلب ببطء فيما ظل عالقًا في الهواء. تساءل توفلاور لماذا فكر في عبارة «جزء من صرخة»... وبدأ يتمنى لو لم يفعل.

بدأ الجسم يبدو مثل رينسويند. كان فم الساحر مفتوحًا، ووجهه مُضاءً بشكل رائع بضوء... ماذا؟ فكَّر توفلاور في عقله، إنه ضوء شموس غريبة، شموس لا يراها البشر عادة. فارتجف.

الآن صار الساحر المتحول بحجم نصف رجل. في تلك اللحظة تسارع النمو، وأتت لحظة مزدحمة مفاجئة، إذ صحبها اندفاع للهواء، وانفجار من الأصوات. سقط رينسويند من الهواء صارخًا. ارتطمَ بالأرض بقوة فاختنق، ثم تدحرج ورأسه بين ذراعيه وجسده متكور بإحكام.

عندما انزاح الغبار، مدَّ توفلاور يده بحذر وربَّت كتف الساحر. فازداد تكور الكرة البشرية بشكل أكثر إحكامًا.

قال توفلاور بمرح: «إنه أنا».

ففتح الساحر جزءًا من جسده، وقال: «ماذا؟».

- إنه أنا.

في حركة واحدة، فتح رينسويند جسده وقفز أمام الرجل الصغير، ويداه ممسكتان بكتفيه بيأس. كانت عيناه متسعتين ومليئتين بالجنون، ليهمس: «لا تقلها! لا تقلها وقد نتمكن من الخروج!».

- الخروج؟ كيف دخلت؟ ألا تعرف...

- لا تقلها!

تراجع توفلاور بعيدًا عن هذا المجنون الذي استمر بالصياح: «لا تقلها!».

- لا أقول ماذا؟

- الرقم!

تعجَّب توفلاور: «رقم؟ مهلًا يا رينسويند...».

- أجل، الرقم! بين السبعة والتسعة. أربعة زائد أربعة!

- ماذا، ثما...

كتم رينسويند فم الرجل بيديه صائحًا: «سنهلك إن قلتها. لا تفكر فيها فحسب، حسنًا. ثق بي!».

صرخ توفلاور: «لا أفهم!». فاسترخى رينسويند قليلًا، وهذا يعني أنه ظل مشدودًا كالوتر، ثم قال: «هيا. لنحاول الخروج. وسأحاول أن أشرح لك».

بعد العصر الأول للسحر، أصبحتْ مشكلة التخلص من كتب التعاويذ مشكلة خطِرة في عالم القرص. تظل التعويذة تعويذةً حتى لو كانت مسجونةً مؤقتًا بالحبر على الورق. لديها قوة. ولا مشكلة في ذلك، ما دام صاحب الكتاب لا يزال حيًّا، لكنْ عند موته يصبح كتاب التعويذات مصدرًا للطاقة غير المُتحَكم فيها، التي لا يمكن نزع فتيلها بسهولة.

باختصار، يتسرب السحر من كتب التعاويذ. لذلك جُرِّبت حلولٌ مختلفة. حمَّلت البلدان القريبة من الحافة كتب السحرة الموتى بأوزان رصاصية ورموها من الحافة. بالقرب من المركز، كانت البدائل المتاحة أقل فعَّالية. كان من ضمن الحلول وضع الكتب المُخالِفة في عُلب من الأوكتيرون ذي الشِّحنة السلبية وإغراقها في أعماق البحر السحيقة (استُبعِدَت في وقت سابق عمليات دفنها في الكهوف العميقة على اليابسة، بعد أن اشتكت بعضُ المناطق الأشجارَ المتجولةَ والقططَ ذات الرؤوس الخمسة) لكنْ سرعان ما بدأ السحر بالتسرب، وفي النهاية اشتكى الصيادون أسرابَ الأسماك الخفية، أو الرخويات ذات القدرات العقلية.

كان الحل المؤقت هو بناء غرف كبيرة مصنوعة من الأوكتيرون المتحول في مختلف مراكز المعرفة السحرية، وهو مادة منيعة ضد معظم أشكال السحر. هناك يمكن تخزين كتب التعاويذ الأكثر خطورة، إلى أن تخف قوتها.

وهكذا أصبح كتاب الأوكتافو هناك في الجامعة الخفية، أعظم كتب التعاويذ على الإطلاق، والذي كان مملوكًا سابقًا لخالق الكون. وهو الكتاب نفسه الذي فتحه رينسويند في مرة تحقيقًا لرهان ما. لم يستغرق سوى ثانية واحدة ليتأمل إحدى الصفحات قبل تفعيل تعاويذ الإنذار المختلفة، لكنها كانت مدة كافية لأن تقفز تعويذة واحدة من الصفحة وتستقر في ذاكرته مثل ضفدع في حجر.

قال توفلاور: «ثم ماذا؟».

- أوه، سحبوني إلى الخارج. وضربوني طبعًا.

- ولا أحد يعرف ماذا تفعل التعويذة؟

هزَّ رينسويند رأسه نافيًا، ثم قال: «لقد اختفتْ من الصفحة، لا أحد سيعرفها إلى أن أقولها. أو حتى أموت طبعًا. عندها ستلفظ نفسها بشكل ما. ربما تُوقِف الكون، أو تُنهي الزمن، أو أي شيء آخر».

ربَّت توفلاور كتفه، وقال: «لا فائدة من التفكير السلبي، لنبحث عن طريقة أخرى للخروج».

هز رينسويند رأسه. لقد انتهى كل الرعب الآن. ربما قد اخترق حاجز الرعب، وكان في حالة من الهدوء الميت بالجانب الآخر. على أي حال، لقد توقف عن الثرثرة.

قال رينسويند: «نحن هالكون. لقد تجولنا طوال الليل. هذا المكان مثل شبكة العنكبوت. لا يهم أي طريق نسلك، سننتهي في المركز».

قال توفلاور: «كان من اللطيف أن تأتي للبحث عني على أي حال، كيف تمكنتَ من ذلك بالضبط؟ كان ذلك مثيرًا للإعجاب».

ردَّ الساحر بارتباك: «أوه، حسنًا، فكرتُ فقط أنني لا أستطيع ترك توفلاور الشيخ هناك، و...».

قال توفلاور: «إذن، ما علينا فعله الآن هو العثور على هذا الشخص المدعو بيل-شامهاروث، ونشرح له ما حدث، وربما سيسمح لنا بالخروج».

حرَّك رينسويند إصبعه حول أذنه كإشاره لجنونه، قائلًا: «لا بُدَّ أني سمعت صدى صوت عجيب. ظننتُ أنني سمعتكَ تستخدم كلمات مثل العثور والشرح!».

- أجل.

نظر إليه رينسويند نظرة غاضبة في الضوء البنفسجي الجهنمي، وقال: «العثور على بيل-شامهاروث؟».

- نعم. يجب ألا نتورط في الأمور.

قال رينسويند: «نعثر على مُمزِّق الأرواح ولا نتورط في أموره؟ فلنومئ له فحسب، على ما أظن، ونسأله عن طريق الخروج؟ نشرح الأمور لمرسل الثمااا... إيييييه». قطع رينسويند نهاية الكلمة في الوقت المناسب وأكمل: «إنك مجنون! مهلًا! عُد!».

اندفع في الممر بعد توفلاور، ثم توقف بعد لحظات وهو يئنُّ.

كان الضوء البنفسجي مُكثَّفًا هنا، وهذا ما أعطى كل شيء ألوانًا جديدةً مزعجة. لم يكنْ هذا ممرًّا، بل غرفةً واسعةً بجدران بعدد لم يجرؤ رينسويند على التفكير فيه، ويتشعب منها «سبعة مكرر» ممرات.

رأى رينسويند، على مسافة قصيرة، مذبحًا منخفضًا له نفس عدد الأضلاع مثل أربعة مضروبة في اثنين. لم يحتلِّ المذبح مركز الغرفة، ومع ذلك، احتوى المركز على لوح حجري ضخم له أوجه عددها ضعف عدد أضلاع المربع. بدا اللوح هائلًا، وفي ذلك الضوء الغريب، بدا أنه مائل قليلًا، فيما برزت إحدى حوافه عن الألواح المحيطة به.

كان توفلاور واقفًا عليه، ليصيح: «يا رينسويند! انظر إلى ما أتى هنا!».

جاء صندوق الأمتعة متهاديًا من أحد الممرات الأخرى المتشعبة من الغرفة.

قال رينسويند: «هذا رائع. جيد. يمكنه أن يقودنا للخروج من هنا. الآن».

بدأ توفلاور فعلًا في البحث داخل الصندوق، وقال: «نعم، بعد أن التقط بعض الصور. اسمح لي فقط أن أضع التركيبات...».

- قُلت الآن...

توقف رينسويند، إذ كان هرون البربري واقفًا في مدخل الممر مباشرة أمامه، يحمل بيد واحدة في حجم فخذ الخنزير سيفًا أسودَ كبيرًا.

قال هرون بتردد: «أنت؟».

قال رينسويند: «هههه. أجل. أنت هرون، أليس كذلك؟ لم نلتقِ منذ زمن. ماذا أتى بك إلى هنا؟».

أشار هرون إلى صندوق الأمتعة قائلًا: «هذا».

بدا أن هذا الحديث قد استنزف هرون. فأضاف، بلهجة تجمع بين التصريح والمطالبة والتهديد والإنذار النهائي: «لي».

قال رينسويند: «إنه مِلك لتوفلاور هنا. إليك نصيحة. لا تلمسه».

أدرك أن هذا كان بالضبط الشيء الخطأ ليقوله، إذ دفع هرون توفلاور جانبًا فعلًا، وامتدتْ يده نحو صندوق الأمتعة...

...الذي نمت أرجله، وتراجع رافعًا غطاءه في تهديد. وفي ذلك الضوء الخافت، ظنَّ رينسويند أن بإمكانه رؤية صفوف من الأسنان الضخمة، بيضاء كخشب الزان المبيَّض.

قال رينسويند بسرعة: «هرون. يوجد شيء يجب أن أخبرك به».

ألقى هرون نظرة مدهوشة إليه، وقال: «ماذا؟».

- إنه شيء يخص الأرقام. انظر، أنت تعرف إذا جمعتَ سبعة وواحد، أو ثلاثة وخمسة، أو أخذتَ اثنين من عشرة، ستحصل على رقم. في أثناء وجودك هنا، لا تقله، وقد نمتلك جميعًا فرصة للخروج من هنا أحياءً. أو ربما أمواتًا فقط.

سأل توفلاور: «من هذا؟». وحمل قفصًا بين يديه، انتشله من أعماق صندوق الأمتعة. بدا أنه مملوء بالسحالي الوردية الغاضبة.

قال هرون بفخر: «أنا هرون»، ثم نظر إلى رينسويند قائلًا: «ماذا؟».

قال رينسويند: «فقط لا تقله، حسنا؟».

نظر رينسويند إلى السيف في يد هرون. كان أسود، الأسود الذي لا يُعد لونًا بقدر كونه مقبرة للألوان، وعلى شفرة السيف نقش روني مزخرف جيدًا. وكان الأمر الأكثر لفتًا للانتباه هو لمعان الأوكتارين الخافت المُحيط به. لا بُدَّ أن السيف لاحظ رينسويند أيضًا، لأنه تحدث فجأةً بصوت يشبه صوت خدش مخلب على الزجاج قائلًا: «غريب، لماذا لا يستطيع أن يقول الثمانية؟».

ردَّد الصدى: «ثمانية، نية، نية». وصدر صوت صرير شديد الخفوت من الأعماق تحت الأرض.

ومع أنَّه أصبح أكثر هدوءًا، رفض الصدى أن يزول. بل ارتدَّ من جدار إلى جدار، مُتقاطِعًا مرة تلو الأخرى، فيما ومض الضوء البنفسجي متزامنًا مع الصدى.

صرخ رينسويند: «لقد فعلتها! أخبرتكَ أنه يجب ألا تقول الثمانية!».

توقف على الفور، مذهولًا من نفسه. لكنَّ الكلمة قد خرجت فعلًا، وانضمتْ إلى زملائها في الهمس العام.

تأهب رينسويند للركض، لكنْ صار الهواء فجأة أكثر سمكًا من العسل. بدأت شِحنة سحرية أكبر مما رأى طوال حياته بالتكوُّن. وعندما تحرَّك، ببطء مؤلم، تركتْ أطرافه خطًّا من الشرارات الذهبية التي طبعت شكلها في الهواء.

ومن خلفه، جاء دويٌّ هائل عندما ارتفع اللوح ثُماني الزوايا في الهواء، مُعلَّقًا لحظةً على حافة واحدة، ثم سقط على الأرض.

خرج شيء رفيع أسود اللون من الحُفرة ولفَّ نفسه حول كعبه. فصرخ فيما يقع بثقل على الأرضيات المتهاوية. وبدأ الممص في سحبه خلال الأرض.

ثم ظهر توفلاور أمامه، ليمدَّ يديه نحوه. أمسك بذراعيِ الرجل الصغير بيأس وظلا ينظران إلى وجهيهما. وعلى الرغم من ذلك، استمرَّ رينسويند بالانزلاق.

شهق رينسويند قائلًا: «ما الذي يمسكك؟».

قال توفلاور: «لا شيء! ماذا يحدث؟».

- شيء يسحبني إلى هذه الحفرة، ماذا تعتقد؟

- أوه رينسويند، أنا آسف...

- أنت آسف...

سمعا صوتًا كصوت المنشار، ثم زال الضغط فجأة عن ساقيْ رينسويند. فأدار رأسه ورأى هرون منحنيًا نحو الحفرة، وسيفه يتحرك بسرعة مُهاجِمًا الزوائد الممصية المندفعة نحوه.

ساعد توفلاور الساحر على الوقوف وجلسا بجانب حجر المذبح، يراقبان هرون المجنون فيما يقاتل الأذرع المتحركة.

قال رينسويند: «لن ينجح في ذلك، يُمكِن للمُرسِل أن يعيد تجسيد تلك الممصات. ماذا تفعل؟».

كان توفلاور يُثبِّت بشغف قفص السحالي على صندوق الصور، بعد وضعه على حامل ثلاثي القوائم.

تمتم توفلاور: «يجب أن أحصل على صورة لهذا على الفور، إنه رائع! أتستطيع سماعي أيها العفريت؟».

فتح عفريت الصورة فتحته الصغيرة، نظر لحظةً نحو المشهد حول الحفرة، واختفى في الصندوق. قفز رينسويند عندما لامس شيئًا ساقه، وداس بعقبه ممصًّا متحرك.

قال رينسويند: «هيا، حان الوقت للانطلاق». أمسك بذراع توفلاور، لكنْ قاومه السائح قائلًا: «أنهرب ونترك هرون مع هذا الشيء؟».

نظر رينسويند بارتباك وقال: «ولِم لا؟ هذا هو عمله».

- ولكنه سيقتله!

قال رينسويند: «يمكن أن يكون الأمر أسوأ».

- ماذا؟

أشار رينسويند بمنطقية: «يمكن أن نكون نحن في موضعه. هيا!».

قال توفلاور: «مهلًا! لقد أخذ صندوق أمتعتي!».

قبل أن يتمكن رينسويند من كبحه، جرى توفلاور حول حافة الحفرة إلى الصندوق، الذي سحبته الممصات على الأرض، فيما ينقرها غطاؤه بلا جدوى، فبدأ الرجل الصغير بركل الممصات بغضب.

اندفعت ذراعٌ ممصيةٌ أخرى بين الفوضى حول هرون، والتفت حول خصره مُمسِكةً به. صار هرون نفسه فعلًا شكلًا مُبهمًا بين الأذرع الملتفة بإحكام. حتى إنه بينما يحدق إليه رينسويند بدهشة، طار سيف البطل من قبضته وارتمى نحو الحائط.

صاح توفلاور: «تعويذتك!».

لم يتحرك رينسويند. إذ نظر إلى الشيء الصاعد من الحفرة. كان عينًا ضخمة، تحدق مباشرة إليه. فنشج خائفًا عندما التفَّت ذراع حول خصره.

ظهرت كلمات التعويذة في حلقه دون أن يطلبها. فتح فمه كما لو كان في حُلمٍ، لينبسَّ بمقطعها الصوتي الأول من تلك اللغة البربرية.

خرج ممص آخر كالسوط والتف حول حلق رينسويند خانقًا إياه، ثم سحبته الأذرع على الأرض فيما يتلوى ويتنفس بصعوبة.

أمسكتْ ذراع تائهة بصندوق الصور الخاص بتوفلاور وهو ينزلق بسرعة على قوائمه. فأمسك به توفلاور باندفاع، مثلما أمسك أسلافه بالأحجار عندما واجهوا نمرًا متجولًا. لو أنه فقط حصل على مساحة كافية لتوجيهه نحو العين...

ملأتِ العين الكونَ بأسره أمامه. شعر رينسويند بإرادته تنساب كالماء من المصفاة. وتحركت أمامه السحالي البطيئة في قفصها على صندوق الصور. وبشكل غير منطقي لرجل على وشك أن يُقطع رأسه، لاحظ رينسويند كل خدش وبقعة على منصة الجلاد، ورأى أن للعين ذيولًا كبيرة جدًّا باللون الأبيض المائل إلى الزرقة، ليدرك أنها تنبض بشكل مثير للذعر.

وفي أثناء اقترابه من العين، رفع رينسويند الخائف الصندوق على سبيل الحماية، وفي الوقت نفسه سمع عفريت الصور يقول: «إنها تقترب من النضج الآن، لا يمكنني الانتظار أكثر. فليبتسم الجميع، من فضلكم».

ثم حدث...

...وميض من ضوء شديد البياض، شديد السطوع...

...لم يبدُ كضوء على الإطلاق.

صرخ بيل-شامهاروث، بصوت بدأ في التردد بأقصى الموجات فوق الصوتية وانتهى في أحشاء رينسويند. تصلبتِ الممصات كالعصي على الفور، لتلقي بما تحمله من أشياء مختلفة بأنحاء الغرفة، قبل أن تتجمع

أمام العين المعذَّبة لحمايتها. هبط الكائن بأكمله في الحفرة، وفي اللحظة التالية انقضَّت عشرات الممصات على اللوح الكبير، وأعادته بعنف إلى موضعه السابق، تاركةً عددًا من الأطراف العالقة حول الحافة.

هبط هرون متدحرجًا، ليرتدَّ نحو حائط ثم يهُبُّ واقفًا. ثم عثر على سيفه، ليبدأ في تقطيع الأذرع العالقة بمنهجية. استلقى رينسويند على الأرض، محاولًا التركيز وألا يصاب بالجنون. لكنه سمع صوتًا خشبيًّا مجوفًا جعله يدير رأسه نحو مصدره.

هبط الصندوق على غطائه المنحني. ليهتزَّ الآن بغضب ويركل بأرجله الصغيرة في الهواء.

نظر رينسويند حوله بحذر بحثًا عن توفلاور، فوجده مُلقى على كومة مجعَّدة بجانب الجدار، لكنه كان على الأقل يئنُّ.

زحف الساحر على الأرض بألم، وهمس: «ما كان ذلك بحق الجحيم؟».

قال توفلاور مُتذمِّرًا: «لماذا كانت بهذا السطوع؟ يا آلهتي، رأسي...».

قال رينسويند: «بهذا السطوع؟». ثم نظر نحو القفص المُثبَّت أعلى صندوق الصور، فوجد السحالي بداخله، التي أصبحت الآن أرفع بشكل ملحوظ، تراقبه باهتمام.

تأوه توفلاور قائلًا: «السلمندرات. ستظهر الصورة بتعريض زائد عن الحد. أعلم ذلك جيدًا...».

سأله رينسويند بذهول: «أهؤلاء سلمندرات؟».

- طبعًا. مُلحقات مُعتادة مع آلة التصوير.

تقدَّم رينسويند متمايلًا إلى الصندوق والتقطه. لقد رأى سلمندرات من قبل، طبعًا، لكنها كانت عينات صغيرة. كانت تطفو كذلك في جرة

المُخلَّل في متحف الكوريوبيولوچي في أقبية الجامعة الخفيَّة، إذ انقرضتِ السلمندرات الحية حول البحر الدائريِّ.

حاول تذكر القليل الذي عرفه عنها. كانت مخلوقات سحرية، ليس لديها أفواه أيضًا، لأنها اعتمدتْ بالكامل على الجودة المُغذِّية لطول موجة الأوكتارين في ضوء الشمس بعالم القرص، التي تمتصها من خلال جلودها. كانت تمتص بقية ضوء الشمس أيضًا طبعًا، وتخزنه في كيس خاص إلى أن يخرج بالطريقة الطبيعية. كانت الصحراء المأهولة بسلمندرات عالم القرص بمنزلة منارة حقيقية في الليل.

وضع رينسويند السلمندرات أرضًا، وأومأ برأسه بصرامة. تغذَّت المخلوقات بشكل كبير على كل ضوء الأوكتارين في هذا المكان السحري، ثم أخذت الطبيعة مجراها.

تراجع صندوق الصور على حامله ثلاثي الأرجل، فوجَّه رينسويند ركلة إليه، وأخفق في إصابته، ليبدأ رينسويند في كراهية خشب الكمثرى الحكيم.

شيء صغير لدغ خده. فمسحه بانزعاج، ثم نظر حوله نحو صوت طحن مفاجئ، وصوت مثل سكين حادة تقطع الحرير يقول: «هذا غير لائق بالمرة».

قال هرون: «اصمت». إذ استخدم سيفه كرينج لرفع غطاء المذبح، ثم نظر إلى رينسويند وابتسم. أَمِلَ رينسويند أن تعبيرات وجهه المشدودة تلك كانت فعلًا ابتسامة.

علَّق البربري: «سحر قوي»، ضاغطًا بشدة بيده الضخمة كفخذ الخنزير على السيف الذي ضجَّ بالشكوى، ثم أكمل: «الآن نتقاسم الكنز، أليس كذلك؟».

تأوَّه رينسويند عندما ضرب شيء صُلب صغير أذنه. كانت هناك هبة ريح بالكاد محسوسة.

فقال: «كيف علمت أن هناك كنزًا في الداخل؟».

دفع هرون بشدة، فتمكَّن من إدخال أصابعه تحت الحجر وقال: «تجد تفاحًا تحت شجرة التفاح. فتجد الكنز تحت المذابح. أمر منطقي».

ثم كزَّ أسنانه، فارتفع الحجر وسقط بقوة على الأرض.

في هذه المرة، أصاب شيء ما يد رينسويند بقوة. مدَّ يده نحو الهواء محاولًا الإمساك به، ونظر إلى الشيء الذي أمسك به. كان قطعة من الحجر عدد جوانبها خمسة زائد ثلاثة، فنظر إلى السقف. هل يجب أن يترهل هكذا؟

بدأ هرون بهمهمة لحن صغير، فيما بدأ يسحب الجلد المتفتت من المذبح الساقط.

كان الهواء مُحملًا بفرقعة الشحنات، فتوهَّج، وهمْهم. وأمسكت رياح غامضة بعباءة الساحر، فرفرفت بها في دوامات من الشرارات الزرقاء والخضراء. صاحتِ الأرواح المجنونة ونصف المادية حول رأس رينسويند، وصرختْ وتمتمتْ في أثناء انجرافها بعيدًا.

حاول رينسويند أن يرفع يده، فأحاطت به على الفور هالة أوكتارين متوهجة، فيما زمجرت الرياح السحرية الصاعدة. اندفعتِ العاصفة خلال الغرفة دون أن تُحرِك ذرة من الغبار، ومع ذلك عبثتْ بجفون رينسويند وكشفتْ باطنها. كانت تصرخ خلال الأنفاق، فيتردد عويلها الجنوني بشكل محموم من حجر إلى حجر.

تعثر توفلاور واقترب منحنيًا بجسده في مواجهة العاصفة النجمية، وصاح: «ما هذا بحق الجحيم؟».

التفت رينسويند نحوه نصف التفاتة، فأمسكتْ به الرياح العاصفة على الفور، وكادت تطيح به. هاجمته دُوَّامات الأرواح الشريرة، التي تدور في الهواء المتدفق، لتمسك بأقدامه.

امتدتْ ذراع هرون وأمسكتْه. بعد لحظة، انسحب رينسويند وتوفلاور إلى المذبح المدمر، حيث استلقيا في أمان يلهثان على الأرض. تألق بجانبهما السيف المتكلم كرينج، بعد أن ازداد مجاله السحري بمئة ضعف بفعل العاصفة.

صرخ رينسويند: «تمسك!».

صاح توفلاور: «الرياح! من أين أتت؟ وإلى أين تهُبُّ؟». ثم نظر إلى وجه رينسويند المتجمد رعبًا، فضاعف من قوة تمسُّكه بالحجارة.

تمتم رينسويند: «نحن هالكون»، فيما تصدَّع السقف واهتزّ فوقهما، ليُكمِل: «من أين تأتي الظلال؟ هذا هو المكان الذي تهب منه الرياح!».

ما كان يحدث فعلًا، كما عَلِمَ الساحر، هو أنه بينما كانت روح بيل-شامهاروث الخاسرة تغرق خلال الطبقات السحرية الأعمق، كانت روحه الغاضبة تُسحَب من الحجارة نفسها إلى المِنْطَقة التي، وَفْقَ أكثر كهنة القرص الموثوقين، كانت تحت الأرض وفي مكان آخر في الوقت نفسه. نتيجة لذلك، كان معبده مهجورًا ومُعرَّضًا لعوامل الزمن، فلم يكن يجرؤ على الاقتراب من المكان لآلاف السنين المُحمَّلة بالعار.

والآن، انضغطتِ الحجارة غير المدعومة تحت ثقل الوزن المكبوت الذي تحرر فجأة بعد كل تلك الثواني.

نظر هرون إلى الشقوق المُتزايدة وتنهَّد، ثم وضع إصبعين في فمه وأطلق صفيرًا.

ويا لغرابة الأمر، إذ تردد الصوت الحقيقي بصخب عالٍ فوق الصوت الزائف للدُّوَّامة النجمية المتسعة التي تشكَّلت في وسط اللوح المثمن الكبير. ثم تبعه صدى أجوف بدا، كما تخيل رينسويند، كأنه صوت ارتداد عظام غريبة. ثم أتاهم صوت ليس غريبًا على الإطلاق. كان صوت حوافر جوفاء.

دخل حصان هرون الحربي بسرعة خلال بوابة متهالكة، ورفع نفسه نحو سيده، ليتطاير شعره في العاصفة. هبَّ البربري واقفًا وألقى بحقائب كنوزه في كيس معلق من السرج، ثم ارتقى ليجلس على ظهر الحصان. مدَّ هرون يده وأمسك توفلاور من مؤخرة عنقه، وجذبه خلال السرج. وعندما استدار الحصان، قفز رينسويند بتهور وهبط خلف هرون الذي لم يعترض على ذلك.

اندفع الحصان بثقة على طول الأنفاق، قافزًا فوق الانهيارات المفاجئة للحطام ومُتنحِّيًا بمهارة عن الأحجار الضخمة التي كانت تتساقط من السقف المتشقق. بينما كان رينسويند يتشبث بقوة، نظر خلفهم، فأدرك أنه لم يكن من العجيب أن يتحرك الحصان بسرعة كبيرة. فخلفهم مباشرة، كان هناك صندوق كبير مشؤوم ينطلق خلال الضوء البنفسجي الوامض، وصندوق صور يتحرك بخطورة على أرجله الثلاث. كانت قدرة خشب الكمثرى الحكيم على متابعة سيده في أي مكان كبيرة جدًّا، لدرجة استخدامه بشكل معتاد في صُنع الأدوات الجنائزية للأباطرة الموتى.

وصلوا إلى خارج المعبد قبل لحظة واحدة من تحطُّم القوس ثماني الأضلاع وانهياره على الأرض.

أشرقتِ الشمس، وارتفع خلفهم عمود من الغبار فيما تهاوى المعبد على نفسه، لكنهم لم ينظروا إلى الوراء.

كان ذلك أمرًا مؤسفًا، ربما استطاع توفلاور أن يحصل على صور غير عادية، حتى وَفْقَ معايير عالم القرص.

ندتْ حركة بين الأنقاض التي انبعث منها الدخان، إذ بدا أن بِساطًا أخضر ينمو منها، ثم تصاعدت شجرة بلوط، وتفرَّعت مثل انفجار صاروخ أخضر، لتصبح وسط غابة عريقة من قبل أن تتوقف أطراف فروعها العتيقة عن الارتعاش. انبثقتْ شجرة زان مثل فطر، ثم نضجتْ وتعفنتْ، وسقطتْ في سحابة من غبار الحطب وسط ثمارها المتصارعة. صار المعبد فعلًا كومة نصف مدفونة من الحجارة المغطاة بالطحالب.

لكنْ بعد أن جاء الزمن بنية القتل، قرَّر الآن أن يكمل المهمة. اندفعتِ الواجهة الواقعة بين سندان السحر المتحلل ومطرقة الفوضى الصاعدة إلى أسفل التل ولحقت بالحصان المسرع، والذي لم يلاحظ راكبوه أيَّ شيء، لكونهم مخلوقات من صُنع الزمن. لكنها اندفعت إلى الغابة المسحورة بسوط القرون.

قال صوت بجانب رُكبة رينسويند فيما كان الحصان يُهرول خلال الغبار الناتج عن الخشب المتحلل والأوراق المتساقطة: «مُثير للإعجاب، أليس كذلك؟».

كان للصوت رنين معدني مخيف. نظر رينسويند إلى السيف كرينج. كان به بضعة أحجار من الياقوت مُثبَّتة في المقبض، فشعر كأنَّها كانت تراقبه.

من حافة الأرض المرتفعة التي تطلُّ على الغابة، شاهدوا المعركة بين الأشجار والزمن، والتي كان لها نهاية واحدة فقط. كانت نوعًا من اللهو بالنسبة إلى العمل الرئيسي وقت توقفهم، والذي كان استهلاكَ جزءٍ كبيرٍ من دُبٍّ اقترب بحذر من مدى رماح هرون.

راقب رينسويند هرون من فوق قطعة اللحم الدهنية التي كانت بين يديه. أدرك أن هرون الساعي نحو البطولة، كان مختلفًا تمامًا عن هرون الذي اعتاد شرب الخمر والاحتفال بين الحين والآخر في عنخ-موربروك. كان حذرًا مثل القط، رشيقًا مثل النمر، وعلى دراية تامة بما حوله.

قال رينسويند لنفسه: «وقد نجوتُ من بيل-شامهاروث. رائع».

ساعد توفلاور هرون في تصنيف محتويات الكنز المسروق من المعبد. كان معظمه من الفضة المرصَّعة بالأحجار البنفسجية الغريبة. مع مجسمات لعناكب، وأخطبوطات، وحيوان الأوكتارسير متسلق الأشجار الذي يعيش في أراضي مركز القرص القاحلة.

حاول رينسويند تجاهل الصوت المزعج بجانبه، لكنْ بلا فائدة. إذ استمرَّ كرينج بالثرثرة من داخل مستقره المؤقت في كومة من العشب قائلًا: «...ثم أصبحتُ مملوكًا لباشا مدينة ريدورات، وأديتُ دورًا بارزًا في معركة نيف الكُبرى، حيث تلقيتُ الخدش الطفيف الذي قد تلاحظه عند ثُلثي المسافة إلى نصلي. كان أحد الكفار يرتدي طوقًا من الأوكتيرون، وهذا لا يليق، وكنتُ طبعًا أكثر حدة في تلك الأيام، واعتاد سيدي أن يستخدمني لقطع المناديل الحريرية في الهواء... هل أزعجك؟».

قال رينسويند: «هاه؟ أوه، لا، لا، على الإطلاق. كل هذا مثير جدًّا للاهتمام»، فيما عيناه لا تزالان على هرون. ما مدى جدارة هرون بالثقة؟ في ظل وجودهم هنا، في البرية، وهناك ترولات حولهم...

قال كرينج: «كنتُ أعلم أنك شخص مثقف. نادرًا ما ألتقي أشخاصًا مثيرين للاهتمام، أوقاتًا طويلة على أي حال. ما أحبه حقًّا هو مكان لطيف فوق رف المدفأة لأُعلَّق عليه، في مكان هادئ. في وقت سابق، قضيتُ بضع مئات من السنين في قاع بحيرة».

رد رينسويند في عدم تركيز: «لا بُدَّ أن ذلك كان مُمتِعًا».

قال كرينج: «ليس حقًّا».

- لا، لا أظن ذلك.

- ما أودُّه حقًّا هو أن أكون نصل محراث. لا أعرف ما هو، لكنه يبدو أن لوجوده هدفًا ما.

اندفع توفلاور إلى الساحر، ليقول بحماس: «لديَّ فكرة رائعة».

أجابه رينسويند بإرهاق: «نعم. لماذا لا نجعل هرون يرافقنا إلى تشيرم؟».

نظر توفلاور بدهشة وقال: «كيف عرفتَ؟».

أجاب رينسويند: «فكرتُ في أنك ستفكر في ذلك فحسب».

توقف هرون عن وضع الفضيات في حقائب سرجه وابتسم لهم بتشجيع، ثم تحولت عيناه مرة أخرى إلى صندوق الأمتعة.

قال توفلاور: «إذا كان معنا، فمن سيهاجمنا؟».

حكَّ رينسويند ذقنه واقترح: «هرون؟».

قال توفلاور: «لكننا أنقذنا حياته في المعبد!».

رد رينسويند: «حسنًا، إذا كنت تعني بالهجوم القتل، فلا أظن أنه سيفعل ذلك. إنه ليس من هذا النوع. أظن أنه سيسرقنا فقط ويربطنا ويتركنا للذئاب».

قال توفلاور: «أوه، لا تقل ذلك».

قال رينسويند بحدة: «انظر، هذه هي الحياة الواقعية. أعني، ها أنت، تحمل صندوقًا مليئًا بالذهب، ألا تعتقد أن أيَّ شخص عاقل سيستغل فرصة سرقته؟».

وأضاف في ذهنه: «لو لم يرَ ما يفعله صندوق الأمتعة بالأصابع المتطفلة».

ثم أتاه الجواب بغتة، إذ نظر هرون إلى صندوق الصور. كان عفريت الصور يغسل ملابسه في حوض صغير، فيما تغفو السلمندرات في قفصها.

قال رينسويند: «لديَّ فكرة. أعني، ما الذي يريده الأبطال حقًّا؟».

قال توفلاور: «الذهب؟».

رد رينسويند: «لا. أعني، ما الذي يريدونه حقًّا».

قطَّب توفلاور جبهته وقال: «لا أفهمك جيدًا».

أمسك رينسويند بصندوق الصور وقال: «هرون، أيمكنكَ المجيء إلى هنا؟».

مرَّت الأيام بسلام. ورغم أن مجموعة صغيرة من ترولات الجسر حاولتْ نصب كمين لهم في إحدى المرات، وكادتْ مجموعة من اللصوص تفاجئهم ذات ليلة (لكنهم أخطأوا بمحاولة فتح صندوق الأمتعة قبل ذبح النائمين). طلب هرون ضعفَ الأجر في كلتا المناسبتين، وحصل عليه.

قال رينسويند: «إذا أصابنا أي مكروه، فلن يكون هناك من يُشغِّل الصندوق السحري. لا مزيد من الصور لهرون، هل تفهمني؟».

أومأ هرون برأسه، وعيناه مثبتتان على الصورة الأخيرة. أظهرتِ الصورة هرون متخذًا وضعية بطولية، وقد وضع قدمه على كومة من الترولات القتلى.

قال هرون: «أنا وأنت وصديقنا الصغير توفلاور، سنكون على ما يرام، حسنًا؟ وفي الغد أيضًا، أيمكننا الحصول على صورة جانبية أفضل، حسنًا؟».

ثم لفَّ الصورة بعناية بجلد الترول ووضعها في حقيبته على السرج مع الصور الأخرى.

قال توفلاور بإعجاب فيما تقدَّم هرون لاستكشاف الطريق: «يبدو أن الأمر قد نجح».

رد رينسويند: «بالتأكيد، أكثر ما يحبه الأبطال هو أنفسهم».

قال توفلاور: «لقد ازدادتْ مهارتك في استخدام صندوق الصور، أتعلم ذلك؟».

أجاب رينسويند: «نعم».

قال توفلاور: «لذا قد ترغب في الحصول على هذه». وأعطى رينسويند صورة.

سأل رينسويند: «ما هذه؟».

قال توفلاور: «أوه، مجرد الصورة التي التقطتها أنت في المعبد».

نظر رينسويند برعب. كانت هناك صورة غائمة لإبهامضخمة مجعدة ومملوءة بالتشققات وبقع الوصفات السحرية، مُحاطة ببعض اللمحات لممصات أخرى.

فقال بإرهاق: «هذه هي قصة حياتي».

قال القدر: «لقد ربحتِ»، ودفع كومة الأرواح خلال منضدة اللعب، فاسترخى حشد الآلهة، ثم أضاف: «ستكون هناك ألعاب أخرى».

ابتسمتِ السيدة نحو عينيْه اللتين كانتا كثَقْبين في الكون.

لم يظهر حتى الأفق سوى أنقاض الغابات وسحابة من الغبار انجرفتْ مع النسيم. جلس شخص أسود رثَّ الثياب على معلم حجري

متآكل ومغطًّى بالطحالب. بدا أنه شخص مظلوم غير محبوب ويخافه الناس، ولكنه الصديق الوحيد للفقراء وأفضل طبيب لأصحاب الجروح القاتلة.

شاهد الموت، رغم أنه بلا عينين طبعًا، رينسويند يختفي، ليبدو عليه ما يمكن أن يُعتبر عُبوسًا لو امتلك وجهه أي قدرة على الحركة. رغم أن الموت كان مشغولًا جدًّا طوال الوقت، قرَّر الآن أن يمتلك هواية. هناك شيء بخصوص الساحر يزعجه بشكل لا يوصف. فهو مثلًا، لا يلتزم مواعيدَه.

قال الموت بصوت يشبه غلق أغطية التوابيت المصنوعة من الرصاص: «سأمسك بك، يا صديقي، تذكَّر كلامي».

# طُعم التنِّين

كان يُدعَى «الويرمبيرج»، وارتفع إلى نصف ميل تقريبًا فوق الوادي الأخضر؛ كجبل ضخم رمادي اللون، ومقلوب رأسًا على عقب.

لم يزِدْ عرضه على عشرين مترًا فقط عند قاعدته. ثم ارتفع نحو السُّحُب المتلاصقة، ثم انحنى بميل أنيق للخارج كفوهة البوق المقلوب إلى أن قطعته هَضَبة بعرض يصل إلى ربع ميل. كانت هُناك بالأعلى غابة صغيرة، انسابت خضرتها فوق الحافة. وكانت هناك مبانٍ. بل هناك نهر صغير، يتدفق فوق الحافة في شلال تتلاعب به الرياح لدرجة وصوله إلى الأرض على شكل مطر.

وهناك أيضًا عدد من فوهات الكهوف، على بعد بضعة أمتار تحت الهَضَبة. كان لتلك الكهوف هيئة تشبه نحتًا بدائيًّا معتادًا، لذلك بدا «الويرمبيرج» في هذا الصباح الخريفي المُنعِش بارزًا بين السحب كما لو كان برج حمام عملاق. وهذا يعني أن «الحمامات» القاطنة به، تمتد أحجام أجنحتها إلى ما يربو على الأربعين مترًا بقليل.

قال رينسويند: «كُنت متأكدًا. نحن في مجال سحري قوي».

نظر توفلاور وهرون حول الحفرة الصغيرة حيث استراحوا وقت الظهيرة. ثم نظرا إلى بعضهما.

كانت الخيول تقطف العشب الغني بجوار الجدول بهدوء. وتراقصت الفراشات الصفراء بين الشُّجيرات. وانتشرت رائحة الزعتر وطنين النحل، فيما يُشوى الخنزير البري على سيخ الشيِّ برفق.

هزَّ هرون كتفيه وعاد إلى سكب الزيت على عضلات ذراعيه، فلمعت بقوة، وقال: «يبدو لي أنه على ما يرام».

قال رينسويند: «جرِّب رمي عملة».

- ماذا؟

- هيا. ارمِ عملة.

قال هرون: «حسنًا، إذا كان ذلك سيُمتِعُك». ثم استلَّ من جيبه مجموعة من النقود المنهوبة من عوالم عدَّة. واختار بعناية عملة رصاصية فئة ربع إيوتم من مِنْطَقة زلوتي، ووازنها على إبهامه الأرجوانية، ثم قال: «فلتختر أنت. نقش أم..». ثم فحص الجهة الخلفية بنظرة تركيز شديد، وأكمل: «شيء يشبه سمكة ذات أرجل».

قال رينسويند: «عندما تكون في الهواء»، فابتسم هرون ورمى العملة بإبهامه، لترتفع وتدور في الهواء.

قال رينسويند، دون أن ينظر إليها: «حافتها».

السحر لا يفنى أبدًا، بل يتلاشى تدريجيًّا.

لا يتضح ذلك في أي مكان على سطح المساحة الزرقاء الواسعة لعالم القرص أكثر من تلك المناطق التي كانت مسرحًا للمعارك الكُبرى في حروب السحرة التي وقعت بعد بداية الخلق بوقت قصير جدًّا. في تلك الأيام كان السحر في حالته الخام مُتاحًا على نطاق واسع، واستخدمه الأوَّلون بشغف في حربهم ضد الآلهة.

ضاعتِ الأصول الدقيقة لحروب السحرة تمامًا في غياهب الزمن، لكنِ اتفق فلاسفة القرص على أن البشر الأوائل فقدوا صبرهم بشكل مفهوم، بعد ولادتهم بمدة قصيرة. فأتت بعد ذلك حروب قتالية كبيرة ونارية، إذ تحركتِ الشمس خلال السماء، وغلَت البحار، واجتاحتِ الأرضَ عواصفُ غريبةٌ، وظهرت حمامات بيضاء صغيرة بشكل غامض في ملابس الناس، وتهدِّد استقرار القرص (المحمول في الفضاء على ظهور أربعة فيلة عملاقة تمتطي صدفة سلحفاة)، وهو ما أدى إلى اتخاذ إجراءات حازمة من قِبل الآلهة القديمة العليا، الذين يُسأل أمامهم حتى الآلهة أنفسهم. طُرِدَتِ الآلهة إلى أماكن مرتفعة، وأعيدَ خلق الناس بحجم أصغر بكثير، وامتُصَّ جزءٌ كبيرٌ من السحر الخام القديم من الأرض.

لم يحلِّ هذا المشكلةَ الخاصةَ بتلك الأماكن على القرص التي تعرضت خلال الحروب لهجوم مباشر بالتعاويذ. تلاشى السحر تدريجيًّا ببطء، على مر الألفية، مُحرِّرًا خلال تحلله عشرات الآلاف من الجزيئات الفرعية تحت النجمية التي سببت تحريفًا شديدًا في الواقع من حولها...

نظر رينسويند، وتوفلاور، وهرون إلى العملة، ليقول هرون: «لقد وقفتْ على حافتها. حسنًا، أنت ساحر. وإن يكن!».

- أنا لا أقوم بـــ... هذا النوع من السحر.

- تقصد أنك لا تستطيع.

تجاهل رينسويند هذا، لأنه كان صحيحًا، فقال مُقترِحًا: «جرِّب مرة أخرى».

أخرج هرون حَفنة من العملات، فهبطتْ أول عملتين بالطريقة المعتادة، وكذلك الرابعة، فيما هبطت الثالثة على حافتها وتوازنت هكذا. تحولت الخامسة إلى دودة صغيرة صفراء وزحفت بعيدًا. وعندما وصلتِ

السادسة إلى ذروة ارتفاعها، اختفتْ بصوت فرقعة حادة، وبعد لحظة أتى صوت رعد صغير.

صاح هرون: «مهلًا، تلك كانت عملة فضية!». وقام من مكانه ناظرًا إلى الأعلى قائلًا: «أرجعها!».

قال رينسويند بإرهاق: «لا أعرف أين ذهبتْ. ربما ما زالت تنطلق إلى أعلى. على أي حال، لم تعد العملات التي جربتها هذا الصباح إلى الأسفل».

كان هرون لا يزال يُحدِّق إلى السماء، وقال توفلاور: «ماذا؟».

تنهد رينسويند. كان يخشى هذا، فقال: «لقد ضللنا طريقنا إلى مِنْطَقة ذات مؤشر سحري عالٍ. لا تسألني كيف. في وقت من الأوقات، لا بُدَّ أن حقلًا سحريًّا قويًّا قد تولَّد هنا، ونحن نشعر بتوابعه الجانبية».

أجابته شجيرة تمُرُّ بجانبهم: «بالضبط».

فجأة، انحنى هرون برأسه، وتساءل: «أتعني أن هذا أحد تلك الأماكن؟ فلنغادره على الفور!».

وافقه رينسويند: «حسنًا، قد نفلح في ذلك إذا تتبعنا خطانا السابق. يمكننا التوقف كل ميل تقريبًا ونجرب رمي العملة». ثم وقف بسرعة وبدأ يضع الأشياء في حقائبه الجلدية.

قال توفلاور: «ماذا؟».

توقف رينسويند وهمس: «انظر. لا تجادل فحسب. هيَّا».

قال توفلاور: «يبدو أن كل شيء على ما يرام، لكنَّ المكان خالٍ من الكائنات تقريبًا، هذا كل ما في الأمر...».

قال رينسويند: «أجل. هذا غريب، أليس كذلك؟ هيَّا!».

سمعوا صوتًا عاليًا فوق رؤوسهم، كصوت شريط من الجلد يضرب صخرة مُبللة. مرَّ شيء زجاجي غير واضح فوق رأس رينسويند، فأحدث سحابة من الرماد من النار، فانفكَّت جثة الخنزير من سيخ الشيِّ وانطلقت إلى السماء.

تحاشتِ الجثة الاصطدام بتجمُّع من الأشجار، لتصحح مسارها وتطير في دائرة ضيقة، ثم توجَّهَت تجاه المركز تاركةً خلفها دربًا من قطرات دهن الخنزير الساخن.

سأل الشيخ: «ماذا يفعلون الآن؟».

نظرت الفتاة الشابة إلى مرآة التنبؤ، وقالت: «يتجهون سريعًا نحو الحافة. بالمناسبة، ما زال لديهم ذلك الصندوق ذو الأرجل».

ضحك الشيخ، فجاءت ضحكته بصوت غريب مزعج في تلك المقبرة المظلمة المغبرة، وقال: «خشب الكمثرى الحكيم. رائع. نعم، أعتقد أننا سنحصل عليه. تابعيهم من فضلك يا عزيزتي، قبل أن يتجاوزوا قدرتك، حسنًا؟».

- اصمت! وإلا...

قال الشيخ: «وإلا ماذا يا ليسا؟». (في هذا الضوء الخافت، كان هناك شيء غريب في طريقة جلوسه على الكرسي الحجري). «لقد قتلتِني في مرة سابقة فعلًا، أتذكرين؟».

فتنهدت ليسا ووقفت، وأزاحت شعرها إلى الوراء بسخرية. كان شعرها أحمر يتخلله لون ذهبي. وقفت ليسا ويرمبيدر بشموخ، فبدا منظرها رائعًا بكل المقاييس. كانت شبه عارية كذلك، باستثناء بعض القطع البسيطة من أخف الدروع الشبكية وأحذية ركوب خيل مصنوعة

من جلد التنين اللامع. في أحد الحذاءين كان هناك سوط ركوب، والعجيب أنه كان طويلًا مثل رمح ومزودًا بطرف صغير من الفولاذ.

قالت ببرود: «ستكون قوتي كافية تمامًا».

ظهرت الصورة الغامضة بالمرآة كأنها تومئ برأسها، أو على الأقل تتمايل، فقال الشيخ: «كما تستمرين في التأكيد لي». فتذمَّرت لييسا وخرجت من القاعة.

لم يكلفْ والدها نفسه عناء مشاهدتها وهي تغادر. كان أحد الأسباب طبعًا هو أنه منذ أن مات لمدة ثلاثة أشهر، لم تعد عيناه في أفضل حالاتها. السبب الآخر هو أنه كساحر –حتى إن كان ساحرًا ميتًا من الدرجة الخامسة عشرة– كانت أعصابه البصرية قد تأقلمت منذ مدة طويلة على رؤية مستويات وأبعاد بعيدة عن الواقع المُعتاد، ومن ثَمَّ كانت غير فعَّالة إلى حد ما في ملاحظة الأمور الدنيوية العادية. (بينما كان حيًّا، كانت عيناه تبدوان للآخرين كأن لهما ثمانية أوجه ومرعبة كأعين الحشرات). إضافة إلى ذلك، لمَّا كان الآن معلقًا في الفضاء الضيق بين عالم الأحياء وعالم ظلال الموت المظلم، فبإمكانه مراقبة جميع مسارات الأحداث نفسها. لهذا السبب، باستثناء أمل طفيف أن تتسبب ابنته البائسة في قتل نفسها هذه المرة، لم يُكرِّس قواه الكبيرة لمعرفة المزيد عن المسافرين الثلاثة الراكضين بيأس خارج مملكته.

على بعد عدة مئات من الأمتار، كانت لييسا في مزاج غريب في أثناء نزولها الدرج البالي المؤدي إلى قلب ويرمبيرج المجوَّف، يتبعها نصف دزينة من الفرسان. أستكون هذه هي الفرصة؟ ربما هنا يكمن الحلُّ، الطريق إلى عرش ويرمبيرج. كان حقها الشرعي، طبعًا؛ لكن حتمتِ التقاليد أن حُكم ويرمبيرج للرجال فقط. وهذا ما أزعج لييسا، وعندما

كانت تغضب، كانت قوتها تتدفق بقوة أكبر، فتصبح التنانين أكبر وأبشع بشكل خاص.

لو كان لديها رجل، لكانت الأمور مختلفة. شخص يُفضَّل أن يكون شابًّا قويَّ البنية لكنْ قليل الذكاء. شخص يفعل ما يُطلَب منه.

ربما الأنسب هو الأكبر من بين الثلاثة الفارين الآن من أراضي التنانين. وإذا تبيَّن أنه لن يكون كذلك، فالتنانين جائعة دائمًا وتحتاج إلى الطعام بانتظام. يمكنها ملاحظة ذلك بعد أن صاروا قبيحين.

أكثر قبحًا من المعتاد على أي حال.

مرَّ السلم خلال قوس حجري وانتهى إلى حافة ضيقة بالقُرب من سقف الكهف العظيم حيث عششتِ التنانين.

تقاطعتْ أشعة الشمس القادمة من المداخل العدَّة حول الجدران خلال الظُّلمة المغبرَّة مثل قضبان كهرمانية صفراء حُفِظَتْ داخلها مليون حشرة ذهبية. وفي الأسفل، لم تكشف أشعة الشمس إلا عن ضباب رقيق. أما في الأعلى...

بدأتْ حلقات المشي من موضع قريب جدًّا من رأس لييسا حتى أمكنها أن تصل إليها وتلمس واحدةً منها. كانت تمتد إلى آلاف الحلقات خلال أفدنة سقف الكهف المقلوب. استلزم الأمر عشرين بنَّاءً لمدة عشرين عامًا لتثبيت الأوتاد لكل تلك الحلقات، وقد ازداد عملهم مشقة كلما تقدَّموا. ومع ذلك، لم تكن تلك الحلقات شيئًا مُقارنةً بالحلقات الثماني والثمانين الكُبرى التي تجمعتْ بالقرب من قمة القبة. وقد ضاعت خمسون حلقة أخرى في العصور القديمة، إذ وُضِعَتْ في مكانها بواسطة فِرق من العبيد المتعرقين (وكان هناك الكثير من العبيد في بدايات عصر السُّلطة)، وسقطت الحلقات الكبيرة إلى الأعماق، ساحبة معها العاملين تَعِسي الحظ.

لكن رُكِّبَتْ الحلقات الثماني والثمانون، حلقات هائلة كأقواس ألوان الطيف، وصدئة كالدماء. ومن تلك الحلقات...

*شعرت التنانين بوجود لييسا. تدفَّق الهواء بأرجاء الكهف فيما ينفتح ثمانية وثمانون زوجًا من الأجنحة مثل لغز معقد. فتطلُّ عليها رؤوس عظيمة بأعين خضراء متعددة الأوجه.*

*كانت الوحوش لا تزال شبه شفافة. بينما يأخذ الرجال من حولها الأحذية الخطافية من الرف، ركَّزت لييسا ذهنها على مهمة التصوُّر الكامل؛ فتصبح التنانين مرئية بالكامل فوقها في الهواء العفن، وتعكس حراشفهم البرونزية أشعة الشمس بشكل خافت. ينبض عقلها، لكنِ الآن بعد أن تدفقت القوة بالكامل، يمكنها، مع اهتزاز طفيف في التركيز، أن تُفكِّر في أمور أخرى.*

*ها هي ترتدي الأحذية الخطافية الآن، وتدور بحركة بهلوانية رشيقة لتجعل الخطافات تصدر صوتًا خافتًا عند ارتطامها ببعض حلقات المشي في السقف.*

*لكنِ الآن أصبح السقف هو الأرض. لقد تغيَّر العالم. تقف الآن على حافة تجويف أو فوهة عميقة، مُغطَّاة بالحلقات الصغيرة التي يمشي عليها فرسان التنانين فعلًا بخُطى متمايلة. في وسط الفوهة، تنتظر ركوباتهم الضخمة بين القطيع. وبعيدًا في الأعلى توجد الصخور البعيدة لسقف الكهف، التي تغيَّر لونها بعد عدة قرون من مخلفات التنانين.*

*بتحرك سلس يشبه الانزلاق، وهو جزء من طبيعتها، انطلقت لييسا نحو تنينها الخاص، لاوليث، الذي أدار رأسه العظيم نحوها، وفكه مدهون بشحم لحم الخنزير، فقال في ذهنها: «لقد كان لذيذًا جدًّا».*

*فأجابته بغضب: «ظننتُ أنني قلت إنه لا رحلات دون مرافقتي؟».*

- *كُنت جائعًا يا ليسا.*

- *اكبح جوعك. قريبًا سيكون هناك خيول لتأكلها.*

- *يعلق زمامها في أسناننا. أهناك أيُّ مُحاربين؟ نحن نحب المحاربين.*

*نزلت ليسا على سلم ركوب التنانين، وهبطت وقد أحاطتْ ساقاها عنق لاوليث الجلدي، وقالت:*

*«المحارب لي. هناك شخصان آخران يُمكِنكَ أخذهما». ثم أضافت لتحفيزه: «يبدو أن أحدهما ساحر من نوع ما».*

*همس التنين مُتذمِّرًا: «أوه، تعرف كيف تجري الأمور مع السحرة. بعد نصف ساعة ستحتاج إلى واحد آخر»، ثم نشر جناحيه وهبط أرضًا.*

صرخ رينسويند: «إنهم يقتربون!». ثم انحنى أكثر فوق عنق حصانه وتنهَّد. كان توفلاور يحاول مواكبة السرعة وهو يلتفت خلفه في الوقت نفسه لينظر إلى الوحوش الطائرة.

صرخ توفلاور مع الضوضاء الرهيبة لضربات الأجنحة: «أنت لا تفهم! كنت أرغب طوال حياتي في رؤية التنانين!».

صرخ رينسويند: «من داخل أمعائها؟ اصمت واركب!». ثم ضرب حصانه باللجام مُحدِّقًا إلى الغابة أمامه، كأنه في محاولة لتقريبها إليه بقوة إرادته. تحت تلك الأشجار، سيكونون في أمان. تحت تلك الأشجار، لا تستطيع التنانين الطيران...

سمع صوت خفقان الأجنحة قبل أن تنتشر الظلال حوله. فتكوَّم فطريًّا على السرج وشعر بطعنة الألم الحارقة عندما خطَّ شيء حاد خطًّا خلال كتفيه.

ومن خلفه صرخ هرون، لكنْ بصوت كان أشبه بزئير غاضب أكثر من كونه صرخة ألم. كان البربري قد قفز إلى الأرض العشبية وسحب السيف الأسود، كرينج. ولوَّح به فيما كان أحد التنانين يميل ليهجم هجمة منخفضة أخرى.

زأر هرون: «لا يُمكِن لأي سحلية لعينة أن تفعل ذلك بي!».

انحنى رينسويند وأمسك بلجام حصان توفلاور، وهمس: «هيًّا!».

قال توفلاور المفتون برؤية التنانين: «لكنْ، التنانين...».

قال الساحر: «اللعنة على...». ثم صمت. إذ انحرف تنين آخر عن بقية النقاط الدائرية في السماء، وتوجَّه نحوهم. ترك رينسويند حصان توفلاور، وأطلق سبابًا مريرًا، ثم حثَّ حصانه نحو الأشجار، وحده. لم ينظر إلى الوراء نحو الضجة المفاجئة خلفه، وعندما مرت الظلال فوقه، تلعثم بوهن وحاول أن يختبئ في شعر عُرف الحصان.

حينها، بدلًا من الألم اللاهب المُخَدِّر الذي توقَّعُه، أتت سلسلة من الضربات المؤلمة وكان الحيوان المذعور يمر تحت زوايا الأشجار. حاول الساحر الإمساك بالحصان، لكنْ أسقطه من على السرج فرع آخر مُنخفض، أقوى من الآخرين. آخر ما سمعه قبل أن تدنو منه الأضواء الزرقاء المتوهجة لِفقدان الوعي كان صرخة إحباط رنانة لكائن زاحف، وصوت ضربات المخالب في أعالي الأشجار.

عندما استيقظ، وجد تنينًا يراقبه؛ أو على الأقل كان يُحدِّق تجاهه عامة. تنهَّد رينسويند وحاول شقَّ طريقه خلال الطحالب باستخدام عظمتيْ لوح كتفيه، ثم شهق بصعوبة عندما ضربه الألم، فنظر إلى التنين من خلال ضباب العذاب والخوف.

كان المخلوق مُتعلِّقًا بفرع شجرة بلوط كبيرة ميتة، على بعد مئات الأقدام. التفَّت أجنحته الذهبية المائلة للبرونزية بإحكام حول جسده، لكنْ طاف رأسه الطويل حصاني الشكل لاستكشاف الغابة، وأسفله عُنق قابل للتمدد بشكل ملحوظ.

كان التنين شبه شفاف أيضًا. مع أنَّ الشمس تلألأت على حراشفه، فإن رينسويند استطاع رؤية الحدود الخارجية للفروع خلفه بوضوح.

جلس رجل ما على أحد تلك الفروع، في ظل الزاحف المُعلَّق. بدا عاريًا باستثناء ارتدائه زوجين من الأحذية الطويلة، وحقيبةً جلدية صغيرة على وسطه، وخوذةً حربيةً طويلةً مزخرفةً. كان يلوِّح بسيف قصير من ناحية إلى أخرى بلا هدف، ويُحدِّق خلال قمم الأشجار كشخص ينفذ مهمة مملة غير باهرة.

بدأت خنفساء في التحرك بصعوبة على ساق رينسويند. تساءل الساحر عن كمية الضرر الذي يمكن أن يلحقه تنين شبه صلب. ماذا لو تركه على شفا الموت؟ فقرر عدم البقاء لمعرفة الإجابة.

تحرَّك رينسويند على عقبيه وأطراف أصابعه وعضلات كتفه، ليتلوَّى جانبيًّا إلى أن غطتِ الأوراق شجرة البلوط وسُكَّانها. ثم وقف وهرول بين الأشجار.

لم يضعْ في اعتباره وجهةً معينةً، ولا مؤنًا، ولا حصانًا. لكن يمكنه الركض ما دام لديه ساقان. ضربتْه نباتات السرخس والعليق، لكنه لم يشعرْ بها على الإطلاق.

عندما ابتعد عن التنين بما يقرب من ميل، توقَّف وانهار مُستندًا إلى شجرة، فوجدها تحادثه وتقول: «بسست».

سمح رينسويند لنظره بالانتقال إلى أعلى، مخافة ما قد يراه. حاول أن يركز نظره على أجزاء اللحاء والأوراق البريئة، لكنْ أجبره فضوله على تجاهلها. وفي النهاية، ثبَّت نظره على سيف أسود مغروز مباشرة في الفرع فوق رأسه.

قال السيف بصوت يشبه صوت إصبع تدور حول حافة كأس نبيذ فارغة كبيرة: «لا تقف هكذا فحسب، انتزعني».

قال رينسويند، وما زال صدره يرتفع وينخفض: «ماذا؟».

كرر كرينج: «انتزعني. إما أن تفعل ذلك، وإما سأقضي المليون سنة القادمة في مقياس فحم. هل أخبرتكَ من قبل عن تلك المرة التي طُرِحْتُ فيها إلى بحيرة في أعلى...».

قال رينسويند، ولا يزال متشبثًا بالشجرة بيأس: «ماذا حدث للآخرين؟».

أجابه السيف: «آه، أخذتهم التنانين. والخيول. وذلك الصندوق. وأنا أيضًا، باستثناء أن هرون أوقعني. يا لحظك السعيد».

قال رينسويند: «حسنًا...». فتجاهله كرينج، وقال: «أتوقع أنك ستسارع بإنقاذهم».

- نعم، حسنًا...

- لذا انتزعتني، يمكننا المُضيُّ قُدمًا.

حدَّق رينسويند إلى السيف. لم يُرِدْ أن ينقذه، فتلك الفكرة بعيدة داخل أعماق عقله، لدرجة أنه إذا صحَّت بعض الافتراضات المتقدمة حول طبيعة التعدد البعدي للعالم وشكله، وأنه كروي الشكل، فإنها في الواقع في مقدمة عقله؛ لكنَّ السيف السحري ما زال عُنصرًا قيمًا...

وستطول رحلة عودته وحيدًا إلى الوطن، أينما كان ذلك...

فصعد الشجرة بسرعة وانزلق على الفرع. كان كرينج مغروزًا بشكل عميق جدًّا في الخشب. أمسك رينسويند بمقبض السيف وشدَّ حتى ومضت الأنوار أمام عينيه من فرط الإرهاق.

قال السيف مُشجِّعًا: «حاول مرة أخرى».

تنهَّد رينسويند وكزَّ أسنانه، فقال كرينج: «كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ. كان من الممكن أن يكون هذا سندانًا».

همس الساحر، خائفًا على مستقبل عانته: «تبًّا».

قال السيف: «لقد كان لي وجود مُتعدد الأبعاد».

- حقًّا؟

- أتعلم، كان لي العديد من الأسماء.

أجابه رينسويند: «رائع». ثم تأرجح إلى الوراء عندما تحرر السيف، إذ بدا خفيفًا بشكل غريب. عاد بعدها رينسويند إلى الأرض مرة أخرى، ثم قرر أن يخبره بالحقيقة، فقال: «لا أعتقد حقًّا أن الإنقاذ فكرة جيدة. أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المدينة، لنشكل فريق بحث مثلًا».

قال كرينج : «توجهتِ التنانين نحو المركز. ومع ذلك، أقترح أن نبدأ بالتنين الموجود على الأشجار هناك».

- آسف، لكن...

- لا يمكنك تركهم لمصيرهم!

ظهرتِ الدهشة على وجه رينسويند، وقال: «لا يُمكنني؟».

- لا، لا يُمكنك ذلك. انظر، سأكون صريحًا. لقد عملتُ مع مواد أفضل منك، لكنْ إما أن تفعل ذلك وإما... هل قضيتَ مليون سنة في مقياس فحم من قبل؟

- انظر، أنا...

- إذا لم تتوقفْ عن الجدال، فسأقطع رأسك.

رأى رينسويند ذراعه ترتفع حتى وصل السيف المتلألئ بشدة إلى مسافة سنتيمترين فقط من حلقه. حاول أن يُجبِر أصابعه على التخلي عن السيف، لكنها لم تستجب، فصاح: «لا أعرف كيف أكون بطلًا!».

- أنا مستعد لأن أُعلِّمَك.

زمجر التنين «سيفا البرونزي»، فمال كيسِدرا فارس التنين إلى الأمام، وحدَّق نحو الأفق، ثم قال: «أراه»، ليتأرجح بسهولة من فرع إلى فرع ويهبط بخفة على العشب ساحبًا سيفه.

نظر إلى الرجل القادم بعناية، الذي كان من الواضح أنه لم يكن متحمسًا لمغادرة مأواه الآمن وسط الأشجار. كان مسلحًا، لكنْ لاحظ الفارس ببعض الاهتمام الطريقة الغريبة التي يُمسِك بها الرجل السيف أمامه على طول ذراعه، كما لو كان خجولًا من أن يظهر بصحبته.

رفع كيسِدرا سيفه وابتسم ابتسامة عريضة، فيما أتى الساحر نحوه، ثم قفز.

في وقت لاحق، لم يتذكر سوى شيئين عن القتال. تذكَّر الطريقة الغريبة التي انحنى بها سيف الساحر إلى أعلى واصطدم بسيفه بصدمة أدت إلى وقوعه من قبضته. الشيء الآخر -وكان هذا، حسب تأكيده، هو الذي أدى إلى هزيمته- أن الساحر غطَّى عينيه بيد واحدة.

قفز كيسِدرا إلى الخلف لتفادي طعنة أخرى، فسقط بطوله على العشب. نخر التنين بسيفا، وتحرر جناحاه العظيمان، لينطلق بعيدًا عن شجرته.

بعدها بلحظة، كان الساحر واقفًا فوقه، يصرخ: «أخبره أنه إذا حرقني سأترك السيف يهاجمك! سأفعل! سأتركه! لذا أخبره!».

حام نصل السيف الأسود فوق حلق كيبِسدرا. الغريب أن الساحر كان يقاوم سيفه بوضوح، وبدا أنه كان يُغنِّي لنفسه.

صاح كيبِسدرا: «بسيفا!».

زمجر التنين في تحدٍّ، لكنه تراجع عن الانقضاض الذي كان سيزيل به رأس رينسويند، وارتفع بجناحيه بتثاقل إلى الشجرة مرة أخرى.

صاح رينسويند: «تحدَّث!».

حدَّق كيبِسدرا إليه خلال طول السيف، وسأله: «ماذا تريدني أن أقول؟».

- ماذا؟

- قُلت ماذا تريدني أن أقول؟

- أين أصدقائي؟ أعني البربري والرجل الصغير!

- أتوقع أنهما قد أُخِذا إلى الويرمبيرج.

شدَّ رينسويند قبضته بيأس على حركة السيف، مُحاولًا إلهاء ذهنه عن همهمات كرينج المتعطش إلى الدماء، ثم قال: «ما الويرمبيرج؟».

- الويرمبيرج. لا يوجد سواه. إنه موطن التنانين.

- وأفترض أنك كنت تنتظر لأخذي إليه، أليس كذلك؟

صرخ كيبِسدرا لا إراديًّا عندما أحس بطرف السيف ينغرس فسالت قطرة دم من حنجرته.

همس رينسويند بغضب: «لا تريد للناس أن يعرفوا أن لديك تنانين هنا، أليس كذلك؟». نسي الفارس نفسه بما فيه الكفاية ليومئ برأسه، فكاد يشُقُّ حلقه بنفسه.

نظر رينسويند حوله بيأس، وأدرك أنه كان سيُضطر إلى مواجهة هذا الأمر حقًّا، فقال بأدب قدر استطاعته: «حسنًا، من الأفضل أن تأخذني إلى هذا الويرمبيرج الخاص بك، أليس كذلك؟».

تمتم كيسِدرا غاضبًا: «كان من المفترض أن آخُذَك ميتًا».

نظر رينسويند إليه وابتسم ببطء. كانت ابتسامة واسعة وجنونية وخالية تمامًا من الفكاهة. كابتسامة التماسيح التي يرافقها عادةً الطيور الصغيرة المتجولة على ضفاف النهر، لتلتقط قطعًا من الطعام بين الأسنان.

قال رينسويند: «لا مشكلة في ذَهَابي حيًّا. إذا تعلَّق الأمر بوجود شخص ميت، فتذكَّر من بيديه السيف».

صاح الفارس المُنهار: «إذا قتلتني، لن يمنع بسيفا شيء من قتلك!».

وافقه الساحر قائلًا: «حسنًا، ما سأفعله هو أني سأقطع قطعًا منك». وحاول استغلال تأثير الابتسامة مرة أخرى.

قال كيسِدرا ساخرًا: «حسنًا، أتظن أني أفتقد الخيال؟».

تحرك كيسِدرا من تحت السيف وأشار إلى التنين الذي انطلق مجددًا، وحلَّق نحوهما. فازدرد رينسويند لعابه وقال: «أتعني أن علينا أن نذهب على ذلك التنين؟». فنظر كيسدرا إليه بسخرية، وما زال نصل كرينج موجَّهًا إلى رقبته.

قال كيسِدرا: «كيف يمكن الوصول إلى الويرمبيرج سوى هكذا؟».

أجابه رينسويند: «لا أعرف، بأي طريقة أخرى».

- أعني، لا يوجد طريقة أخرى. إما الطيران وإما لا شيء.

نظر رينسويند مرة أخرى إلى التنين أمامه. استطاع أن يرى العشب المدهوس الذي يستلقي عليه التنين بوضوح، لكنْ عندما لمس إحدى

قشور التنين التي لمعت بلون ذهبي في الهواء الرقيق، بدتْ صلبة بما فيه الكفاية. شعر أنه إما أن التنين موجود بالكامل وإما ليس موجودًا على الإطلاق. لا يوجد ما هو أسوأ من التنين النصف موجود.

قال رينسويند: «لم أكن أعرف أنه يُمكن الرؤية من خلال التنانين».

هز كيسِدرا كتفيه وقال: «ألم تعرف ذلك؟». ثم جلس على ظهر التنين بشكل مربك، لأن رينسويند كان مُتشبثًا بحزامه. حالما تمكَّن الساحر من الصعود بشكل غير مريح، نقل قبضته القوية إلى قطعة مُريحة من السرج، ووجَّه السيف بخفة نحو وجه كيسِدرا.

قال فارس التنين دون أن يلتفت حوله: «هل طِرتَ من قبل؟».

رَد رينسويند: «لا، ليس بهذه الطريقة».

- أترغب في شيء لتأكله؟

نظر رينسويند إلى مؤخرة رأس الرجل، ثم نظر إلى كيس من الحلوى الحمراء والصفراء التي قدَّمها له، فسأله: «أهو ضروري؟».

قال كيسِدرا: «إنه تقليد لدينا، استمتع».

نهض التنين، وتجوَّل بثقل على المرج الأخضر، ثم حلَّق في الهواء.

انتابت رينسويند كوابيس بين الحين والآخر عن الوقوف على مكان غير ملموس لكنْ ذي ارتفاع هائل، ورؤية السماء الواسعة، والسحب الكثيفة تتحرك بعيدًا تحته (وعادة ما يستيقظ من هذا الكابوس مع تعرُّق كعبيه؛ لكان أصيب بقلق أكبر لو علم أن الكابوس لم يكن سوى الدوار العادي في عالم القرص كما اعتقد. كان ذلك ذكرى عكسية من حدث مُرعِب في مستقبله إلى درجة أنه أنتج موجات من الخوف بامتداد حياته).

لم يكن هذا هو الحدث، ولكنه كان تمرينًا جيدًا له.

صعد بسيفا بعيدًا في الهواء بوتيرة متقطعة كفيلة بتكسير فقرات الظهر. وفي نهاية قفزته الأخيرة، انفتحت أجنحته العريضة بصوت قوي وانتشرت بدويٍّ يهزُّ الأشجار.

ثم اختفتِ الأرض، لتستمر في الابتعاد بحركة متقطعة هادئة. صعد بسيفا فجأة بأناقة، لتتألق أشعة الشمس الصفراء على أجنحته التي كانت كالشرائط الذهبية. ارتكب رينسويند خطأً النظر إلى أسفل، فوجد نفسه ينظر من خلال التنين إلى قمم الأشجار البعيدة للغاية أسفله، لتنكمش معدته من هول هذا المنظر.

لم يتحسنِ الأمر بعد إغلاق عينيه، لأنه أعطى خياله الحرية الكاملة. لكنه توصل إلى حلٍّ، بالتحديق بثبات نحو الأفق، حيث يجتازون الأراضي العشبية والغابات، فيُمعِن في النظر إليها بلا اهتمام تقريبًا.

ألهبتِ الرياح جسده، فالتفت كيسِدرا جزئيًّا وصاح في أذنه: «انظُر إلى جبل ويرمبيرج!».

أدار رينسويند رأسه ببطء، مُعتنيًا بإبقاء كرينج مُستقرًّا بخفة على ظهر التنين. رأت عيناه الدامعتان الجبل المقلوب بشكل مستحيل يطلُّ على الوادي العميق المُغطَّى بالغابات، كبوق في حوض من الطحالب. حتى من هذه المسافة، أمكنه رؤية توهج الأوكتارين الخافت في الهواء، وهو ما يشير بالتأكيد إلى وجود هالة سحرية راسخة، بمقدار عدة ميلليبرايمات؟ على الأقل!

ليشهق قائلًا: «أوه، لا».

حتى النظر إلى الأرض كان أفضل من ذلك. فأبعد نظره بسرعة، وأدرك أنه الآن لم يعدْ قادرًا على رؤية الأرض من خلال التنين. بينما كانوا يحلِّقون في دورة واسعة حول ويرمبيرج، بدأ التنين باتخاذ شكلٍ أكثر

صلابةً، كأنَّ جسم الكائن امتلأ بضباب ذهبي. بحلول وقت وصولهم إلى ويرمبيرج، تأرجح التنين بجنون في السماء، وصار حقيقيًّا كصخرة.

اعتقد رينسويند أنه استطاع رؤية خط خافت في الهواء، كأنَّ شيئًا من الجبل قد وصل إلى الوحش ولمسه. انتابه إحساس غريب بأن التنين أصبح أكثر حقيقة.

تحوَّل ويرمبيرج أمامه من لُعبة بعيدة إلى عدة مليارات من الأطنان من الصخور المُعلَّقة بين السماء والأرض. أمكنه رؤية حقول صغيرة وغابات وبحيرة هناك، ومن البحيرة خرج نهر متدفق لينهمر فوق الحافة...

ارتكب رينسويند خطأ متابعة مسار الماء الفوار، فأعاد نفسه بالوقت المناسب إلى الخلف قبل وقوعه.

اقتربتْ منهم الهَضَبة المتوهجة للجبل المقلوب، فلم يبطئِ التنين من سرعته.

وعندما طغى مشهد الجبل على رينسويند كأكبر مضرب ذباب في الكون، رأى أمامه فتحة كهف، فاتجه التنين بسيفا نحوها بعدما ضمَّ عضلات كتفيه.

صرخ الساحر فيما انتشر الظلام من حوله ليغمره. رأى لقطات خاطفة للصخور من حوله دون وضوح لفرط السرعة. ثم خرج التنين إلى الأماكن الفسيحة مُجددًا.

كانوا بداخل كهف، لكنْ أكبر بكثير مما يجب أن يكون كهفًا. طار التنين خلال فراغه الشاسع، فكأنه مجرد ذبابة مطلية بالذهب في قاعة ولائم.

كانت هناك تنانين أخرى -ذهبية، فضية، سوداء، بيضاء- تطير خلال الهواء المغمور بأشعة الشمس في مهمات خاصة بها، أو مُمددة على نتوءات صخرية. وفي الأعلى في السقف المُقبب للكهف، تعلَّقت العشرات من التنانين الأخرى من حلقات كبيرة، فيما التفَّت أجنحتهم حول أجسادهم كأجنحة الخفافيش. كان هناك رجال بالأعلى أيضًا. ازدرد رينسويند لعابه بصعوبة عندما رآهم، لأنهم يسيرون على ذلك السقف العريض مثل الذباب.

ثم رأى الآلاف من الحلقات الصغيرة التي زخرفت السقف، وعددًا من الرجال المقلوبين راقبوا طيران التنين بسيفا باهتمام. ابتلع رينسويند ريقه مرة أخرى، وعلى الرغم من جهده، لم يستطع التفكير في ما سيفلعه تاليًا، فتساءل بصوت هامس: «حسنًا؟ هل لديك أي اقتراحات؟».

قال كرينج ساخرًا: «من الواضح أن تهاجم».

قال رينسويند: «لماذا لم أفكر في ذلك؟ ربما لأن جميعهم لديهم قاذفات أسهم؟».

- أنت شخص انهزامي.

- انهزامي! هذا لأنني سأُهزَم فعلًا!

قال السيف: «أنت أسوأ عدو لنفسك يا رينسويند».

نظر رينسويند إلى الرجال الضاحكين، ثم قال بإجهاد: «أتراهنني؟».

قبل أن يرد كرينج، ارتفع بسيفا في الهواء وهبط على إحدى الحلقات الكبيرة، فاهتزَّت بشكل مُثير للقلق.

سأله كيبِسدرا بهدوء: «أترغب في الموت الآن، أم تستسلم أولًا؟».

اندفع الرجال نحو الحلقة من جميع الاتجاهات، يمشون مُتأرجحين فيما تتشابك أحذيتهم الخطافية في حلقات السقف.

ارتكز المزيد من الأحذية على رف معلق في منصة صغيرة بُنيت على جانب حلقة المشي. قفز الفارس عن ظهر المخلوق ليهبط على المنصة، قبل أن يتمكن رينسويند من إيقافه، ليقف مبتسمًا لاستياء الساحر.

سُمِعَ صوتٌ صغيرٌ ناتجٌ عن شدٍّ مجموعة من أوتار الأقواس. نظر رينسويند إلى أعلى نحو عدد من الوجوه الجامدة المعكوسة. لم يصل ذوق شعب التنانين في الملابس إلى أي شيء أكثر ابتكارًا من سرج جلدي، مُرصَّع بزخارف برونزية. وارتدوا السكاكين وأغماد السيوف بشكل معكوس. أمَّا مَن لم يرتدوا خوذات، فتركوا شعرهم مسترسلًا، ليتحرك كالطحالب في نسيم التهوية بالقرب من السقف. وظهرتْ عدة نساء بينهم، لتُسبب وقفتهم المعكوسة في حدوث أشياء غريبة لتشريحهنَّ الجسدي، وهذا ما جعل رينسويند يُحدِّق إليهنَّ.

قال كيسِدرا مرة أخرى: «استسلم».

فتح رينسويند فمه ليفعل ذلك، فهمهم كرينج مُحذِّرًا إياه، واندفعت موجات مفجعة من الألم خلال ذراعه، فصاح رينسويند: «أبدًا». فتوقف الألم.

صاح صوت عالٍ من خلفه: «طبعًا لن يستسلم! إنه بطل، أليس كذلك؟».

التفت رينسويند ونظر إلى زوج من فتحات الأنف المشعرة، تنتمي إلى وجه شابٍّ متينٍ، مُعلَّقٍ بلا همَّة من السقف بحذائه.

قال الرجل: «ما اسمك يا بطل؟ حتى نعرف مَن كنت».

اندفع الألم خلال ذراع رينسويند، فقال شاهقًا: «أنا... أنا رينسويند من مدينة عنخ».

أجابه الرجل المُعلَّق: «وأنا ليورت دراجونلورد». لافظًا اسمه بنقرة حادة من أعماق حلقه، فاعتبرها رينسويند نوعًا من علامات الترقيم، ثم أكمل الرجل: «لقد جئتَ لتتحداني في قتال مميت».

ردَّ رينسويند: «حسنًا، لا، لم أفعل ذلك».

- أنت مخطئ. كيسِدرا، ساعد بطلنا في ارتداء زوجين من الأحذية الخطافية. أنا واثق أنه مُتشوق إلى البدء.

- لا، انظر، لقد جئتُ هنا فقط لأجد أصدقائي. أنا متأكد من عدم وجود...

قاده الفارس على الفور إلى المنصة، ودفعه إلى الجلوس على مقعد، وبدأ في ربط الأحذية الخطافية على قدميه.

قال ليورت: «أسرِع يا كيسِدرا. يجب ألا نُبعِد بطلنا عن مصيره».

- انظر، أتوقع أن صديقي بما فيه الكفاية هنا، فإذن من الممكن فقط أن... آآآ... تضعني في مكان ما...

أجابه ليورت ببساطة: «سترى صديقيكَ قريبًا بما فيه الكفاية، أعني إذا كنت متدينًا. لا أحد يدخل الويرمبيرج ويغادره مرة أخرى. إلا بالمجاز، طبعًا. أرِه كيفية الوصول إلى الحلقات يا كيسِدرا».

همس رينسويند: «انظر إلى ما أوقعتني فيه!».

اهتز كرينج في يده وهمهم: «تذكَّر أني سيف سحري».

- وكيف أنسى ذلك؟

قال فارس التنين: «اصعدِ السلم وأمسكْ بحلقة، ثم ارفعْ قدميك حتى تشتبك الخطافات بالحلقة». ثم ساعد الساحر المعترض على الصعود إلى أن تعلَّق بالمقلوب، بعدما دسَّ رداءه في سرواله، وكرينج يتدلى من يده. في هذه الزاوية، بدا شعب التنانين محتملين بشكل مقبول، ولكنَّ

التنانين المعلقة من مواقعها، طافتْ حولهم كتماثيل كراغل ضخمة، تتوهج أعينها في اهتمام.

قال ليورت: «انتباه، من فضلك!». ثم سلَّمه فارس التنين شيئًا طويلًا ملفوفًا بحرير أحمر، ليقول بعدها: «سنقاتل حتى الموت. حتى موتك».

قال رينسويند، بلا أمل كبير: «وأفترض أنني سأكسب حريتي إذا فُزتُ؟».

مال ليورت برأسه ليشير إلى الفرسان المجتمعين، وقال: «لا تكُن ساذجًا».

أخذ رينسويند نفسًا عميقًا، وقال بصوت لا يرتجف تقريبًا: «إذن، عليَّ أن أحذِّرَك. هذا سيف سحري».

ترك ليورت الحرير الأحمر يسقط بعيدًا في الظلام، ليظهر سيف أسود كالفحم، وعلى سطحه ارتسمتْ رموز مُشعَّة، فقال مُندفِعًا: «ما هذه المصادفة».

تجمَّد رينسويند من الخوف، لكن تحرَّكت ذراعه باندفاع كرينج إلى الأمام، فتلاقى السيفان بانفجار من ضوء الأوكتارين.

أرجح ليورت جسده إلى الوراء، وضاقت عيناه فيما تخطَّى كرينج درعه، ومع أنَّ سيف ليورت ارتفع لصد معظم قوة الضربة، كانت النتيجة خطًّا أحمرَ رفيعًا خلال جسد سيده.

أطلق ليورت نفسه نحو الساحر بنبرة غاضبة، مع دقات الأحذية في أثناء حركته من حلقة إلى أخرى. تلاقى السيفان مرة أخرى لينتجا شِحنة عنيفة من السحر، وفي الوقت نفسه، دفع ليورت بيده الأخرى رأس رينسويند بقوة، فخرجتْ إحدى قدميه من حلقتها واهتزَّت بيأس.

كان رينسويند يعتبر نفسه بالتأكيد أسوأ ساحر في عالم القرص، إذ إنه عرف تعويذة واحدة فقط؛ لكنْ على الرغم من ذلك كان لا يزال ساحرًا، ومن ثَمَّ وَفْقَ قوانين السحر اللازمة، عندما يحين وقت وفاته، سيظهر الموت بنفسه ليحصد روحه (بدلًا من إرسال أحد من خدمه العديدين، كما هي الحال عادة).

وهكذا، عندما رفع ليورت سيفه بتعابير غير مبالية، وطوَّح به في شكل قوس كسلان، تباطأ الوقت على الفور.

أضاء العالم فجأة أمام عينيْ رينسويند بضوء أوكتارين مُتقطِّع، مع لون بنفسجي إذ ارتطمت الفوتونات بالهالة السحرية المفاجئة. داخل هذا الضوء، كان ليورت تمثالًا مُلوَّنًا ببشاعة، وسيفه يتحرك ببطء خلال هذا الوميض.

بجانب ليورت كان هناك شخص آخر، يظهر فقط لأولئك الذين يستطيعون رؤية الأبعاد الأربعة الإضافية للسحر. كان طويلًا داكنًا نحيفًا، وفي ليلة مفاجئة من النجوم الجليدية، أرجح بيديه الاثنتين منجلًا ذا حدة أسطورية...

انحنى رينسويند، فمرَّ نصل المنجل بجوار رأسه وأصدر صفيرًا باردًا خلال الهواء، ثم انغرس في صخور سقف الكهف دون إبطاء. أطلق الموت سُبَّة بصوته البارد كالمقبرة، فيما اختفى المشهد. ثم أعاد ما يُطلَق عليه الواقع في عالم القرص نفسَه مع اندفاع لأصوات مفاجئة. شهق ليورت بسبب التحول المفاجئ في السرعة التي تجنَّب بها الساحر ضربته القاتلة، ففكَّ رينسويند نفسه مثل الثعبان بيأس المرتعبين حقًّا، وأطلق جسده خلال الفراغ بينهما، ثم أغلق كلتا يديه حول ذراع سيف ليورت، وجذبه.

في تلك اللحظة، صارت الحلقة الوحيدة المتبقية لرينسويند مُحمَّلة بما يفوق قدرتها، فانحلَّت من الصخرة بصوت معدني صغير مزعج.

اندفع إلى الأسفل، مُتأرجحًا بجنون، وانتهى به المطاف مُعلقًا في موقف مُميت مُحطِّم للعظام، بعدما أمسكت يداه بذراع ليورت بإحكام جعل الرجل يصرخ.

نظر ليورت إلى قدميه، ليجد قطعًا صغيرة من الصخور تتساقط من السقف حول حلقات المشي، فصاح: «اتركني، عليك اللعنة! وإلَّا سيموت كلَانا!»

لم يقلْ رينسويند شيئًا، إذ انصبَّ تركيزه على الاحتفاظ بقبضته وإبقاء عقله مغلقًا للصور الملحة لمصيره على الصخور بالأسفل.

صاح ليورت: «اقتلوه!».

فرأى رينسويند بزاوية عينه عدة أسهم موجَّهة نحوه. اختار ليورت تلك اللحظة لينزل بيده الحرة، وبقبضة ملأى بالخواتم ليطعن بها أصابع الساحر، فتركه رينسويند.

أمسك توفلاور بالقضبان وسحب نفسه إلى أعلى، فيما قال هرون بالأسفل عند قدميْ توفلاور: «أترى أي شيء؟».

- أرى سُحُبًا فقط.

أنزله هرون مرة أخرى، وجلس على حافة أحد الأسِرَّة الخشبية التي كانت الأثاث الوحيد في الزنزانة، وقال: «يا له من جحيم».

قال توفلاور: «لا تيأس».

- لست يائسًا.

- أعتقد أن كل هذا مجرد سوء فهم. أعتقد أنهم سيطلقوننا قريبًا. يبدون متحضرين جدًّا.

نظر هرون إليه بحاجبيه الكثيفين، وكاد يقول شيئًا ما، ثم بدا كأنه تراجع عنه. فتنهَّد بدلًا من ذلك.

استمرَّ توفلاور: «وعندما نعود يمكننا أن نقول إننا رأينا تنانين! ما رأيك، ها؟».

قال هرون بحسم: «لا وجود للتنانين. قتل كوديس من كيميريا آخر تنين قبل مئتي عام. لا أعرف ما نراه، لكنها ليست تنانين».

- لكنهم حملونا في الهواء! لا بُدَّ أن هناك مئات منها في تلك القاعة...

قال هرون بانفعال: «أعتقد أنها مجرد سحر».

قال توفلاور في تحدٍّ: «حسنًا، بدتْ لي مثل التنانين. لقد أردتُ دائمًا أن أرى التنانين، منذ أن كنت طفلًا صغيرًا. تنانين تطير في السماء، تنفث اللهب...».

قال هرون، متمددًا في السرير: «لقد اعتادوا الوجود في المستنقعات وما شابه ذلك، وكل ما كانوا ينفثونه مجرد رائحة نتنة. لم يكونوا كبارًا جدًّا، كما كانوا يجمعون الحطب».

قال توفلاور: «سمعت أنهم كانوا يجمعون الكنوز».

أضاف هرون بنبرة تفاؤل: «والحطب أيضًا. مهلًا، هل لاحظتَ كل تلك الغرف التي جلبونا من خلالها؟ كانت مذهلة. بها الكثير من الأشياء الجيدة، بالإضافة إلى بعض تلك السجاجيد، لا بُدَّ أنها تساوي ثروة».

فكَّر بجدية وحكَّ رأسه، ليُصدِر صوتًا مشابهًا لصوت قنفذ يتحرك بين الأشواك.

سأل توفلاور: «ماذا سيحدث تاليًا؟».

حرك هرون إصبعًا في أذنه وفحصها بتجاهل، ثم قال: «أوه، أعتقد أنه خلال دقيقة سينفتح الباب بقوة، وسأُسحَب إلى ما يشبه حَلْبة المعبد حيث سأقاتل ربما بضعةَ عناكب عملاقة وعبدًا بثمانية أقدام من غابات كلاتش، وبعدها سأنقذ أميرة ما من على المذبح، وأقتل بعض الحراس أو ما شابه، ومن ثم ستُظهِر لي هذه الفتاة الممر السري للخروج من هذا المكان، وسنحرر زوجين من الخيول ونهرب والكنز بحوذتنا». ثم مال هرون برأسه إلى الوراء على يديه ونظر إلى السقف، مُصدرًا صفيرًا بلا لحن.

قال توفلاور: «كل هذا؟».

- في الغالب.

جلس توفلاور على سريره وحاول التفكير، فكان ذلك صعبًا، لأن عقله كان مزدحمًا بالتنانين.

التنانين!

منذ أن كان عمره عامين، كان مفتونًا بصور الوحوش النارية في كتاب قصص الأوكتارين الخيالية. قالت له أخته إنه لا وجود لتلك الوحوش حقًّا، وتذكر خيبة أمله المريرة. فقرر أنه إذا لم يحتوِ العالم على تلك المخلوقات الجميلة، فإن ذلك العالم لا يساوي نصف ما يجب أن يكون عليه. ثم في وقت لاحق، أصبح متدربًا لدى المُحاسب الكبير ناينرييدز، الذي حمل عقله المتشائم كل ما هو معاكس للتنانين، فلم يعدْ هناك وقت للحلم.

لكنْ هناك شيء خاطئ في هذه التنانين. إنها صغيرة ونحيلة جدًّا بالمقارنة مع تلك التي كان يتخيلها في عقله. يجب أن تكون التنانين كبيرة وخضراء ذات مخالب وسلوك ثائر، تنفث النار... كبيرة وخضراء ذات مخالب حادة طويلة...

تحرَّك شيء ما عند حافة مجال رؤيته، في أبعد زاوية مظلمة من الزنزانة. عندما حوَّل رأسه اختفى، مع أنَّه اعتقد أنه سمع صوتًا شديد الخفوت ربما نتج عن احتكاك مخالب بالحجر، فقال:

«هرون؟». فأتاه الرد بشخير من السرير الآخر.

توجه توفلاور نحو الزاوية، يضغط الأحجار بحذر في حال كان هناك لوح سري. وفي تلك اللحظة، انفتح الباب بقوة، مصدرًا دويًّا عاليًا عندما ارتطم بالجدار، واندفع من خلاله نصف دزينة من الحراس، فانتشروا وركعوا على ركبة واحدة. كانت أسلحتهم موجهة نحو هرون بالتحديد، وعندما فكر توفلاور في ذلك لاحقًا، شعر بإهانة شديدة.

استمرَّ هرون في شخيره، ودخلتِ امرأة إلى الغرفة. لا تستطيع الكثير من النساء أن يسيروا بثقة، لكنها نجحت في ذلك. ألقتْ نظرة سريعة على توفلاور، كما ينظر المرء إلى قطعة من الأثاث، ثم حدقت إلى الرجل على السرير.

كانت ترتدي حزامًا جلديًّا مثل ما يرتديه فرسان التنانين، لكن في حالتها كان أقصر بكثير. كانت ملابسها هذه، بالإضافة إلى الشعر الأحمر الكستنائي الرائع الذي وصل إلى وسطها، هي تخليها الوحيد لما يمكن اعتباره أمرًا لائقًا حتى على عالم القرص. وكذلك ارتسم على وجهها تعبيرٌ مُفكرٌ.

أصدر هرون صوتًا متموجًا، ثم تحوَّل ونام على جنبه.

وبحركة حذرة، كما لو كانت تتعامل مع بعض الأدوات ذات الرقة الهائلة، سحبتِ المرأة خنجرًا أسودَ نحيفًا من حزامها وطعنت به نحو الأسفل.

قبل أن يصل الخنجر إلى نصف حركته المقوسة، تحركت يد هرون اليمنى بسرعة جعلتها تبدو كأنها سافرت بين نقطتين في الفضاء دون

أن تحتل الهواء الواقع بينهما في أي وقت. وانغلقت قبضته حول معصم المرأة بصوت ارتطام مباشر. فيما تلمَّست يده الأخرى طريقها على الفور نحو سيف غير موجود...

ثم استيقظ هرون وقال: «هاه؟». بينما ينظُر إلى المرأة بنظرة عابسة مرتبكة، ليرى بعدها رماة الأسهم.

قالت المرأة، بصوت هادئ وحاد كالألماس: «أفلتْ يدي»، ففكَّ هرون قبضته ببطء.

انسحبتِ المرأة إلى الوراء، تدلِّك معصمها وتنظر إلى هرون بالطريقة نفسها التي تراقب بها قطة جُحْر فأر.

ثم قالت أخيرًا: «إذن، لقد اجتزتَ الاختبار الأول. ما اسمك أيها البربري؟».

زمجر هرون قائلًا: «من هذا الذي تدعينه بربريًّا؟».

- هذا ما أريد معرفته.

أحصى هرون عددَ رماة القوس ببطء، وأجرى حسابًا سريعًا، ثم أرخى كتفيه وقال: «أنا هرون من كيميريا. وأنتِ؟».

- ليبسا سيدة التنانين.

- أنتِ سيدة هذا المكان؟

- سيبقى الأمر كما هو. تبدو كالمرتزقة يا هرون من كيميريا. يمكنني استخدامكَ... إذا مررتَ بالاختبارات، طبعًا. هناك ثلاثة منها. لقد اجتزتَ الأول.

قال هرون: «ما الاختبارات الـ...». ثم توقف هرون، فيما تحركت شفتاه في صمت، ليتجرأ بعدها مُكملًا: «الباقية؟».

- خطِرة.

- والأجر؟

- ثمين.

قال توفلاور: «عذرًا على الإزعاج».

أكمل هرون متجاهلًا إياه: «وإذا أخفقتُ في هذه الاختبارات؟». كان الفراغ بين هرون وليسا ينفجر بانفجارات صغيرة من الكاريزما، إذ تبادلا نظرات متنافسة.

- إذا أخفقتَ في الاختبار الأول لكنت الآن ميتًا. يمكن اعتبار هذا عقوبة نموذجية.

قال توفلاور: «ممم، انظري». فرمقتْه ليسا بنظرة عابرة، وبدتْ كأنها تلاحظ وجوده لأول مرة، ثم قالت بهدوء: «خذوه بعيدًا». لتلتفت بعدها نحو هرون. وضع اثنان من الحراس أقواسهما على كتفيهما، وأمسكا بتوفلاور من مرفقيه ورفعاه عن الأرض، ثم سارا به بسرعة خلال الباب.

قال توفلاور وهما يُسرعان به في الممر بالخارج: «مهلًا»، (فوقفا أمام باب آخر) «أين صندوق أمتعتي؟». (ثم فتحا الباب) ليقع على كومة مما كان قشًّا في وقت ما. انغلق الباب بعنف، وترددت أصداؤه مصحوبة بصوت الأقفال المُقفَلة بإحكام.

وفي الزنزانة الأخرى، لم يأبهْ هرون بأي مما حدث إطلاقًا، بل قال: «حسنًا، ما الاختبار الثاني؟».

قالت ليسا: «يجب أن تقتل أخويَّ».

فكَّر هرون قليلًا، ثم قال: «هل أقتلهما في الوقت نفسه أم واحدًا تلو الآخر؟».

أكدت له: «بشكل متتابع أو متزامن، كما تشاء».

- ماذا؟

قالت بحزم: «اقتلهما فحسب».

- هل هما مقاتلان جيدان؟

- مشهوران.

- إذن، والمقابل لكل هذا هو...؟

- ستتزوجني وتصبح سيد جبل ويرمبيرج.

ساد صمت طويل، وتجعد حاجبا هرون بتفكير غير معتاد، ثم قال أخيرًا: «سأحصل عليكِ وعلى هذا الجبل؟».

نظرت إليه مباشرة في عينيه، وارتعشتْ شفتاها قائلة: «نعم. أوكد لك أنها صفقة مجزية».

خفض هرون نظره إلى خواتم يدها. كانت الأحجار كبيرة، لأنها كانت ألماسًا أزرق نادرًا للغاية من أحواض ميثوس الطينية. عندما تمكن من إبعاد عينيه عنها، رأى ليسا تحدق إليه بغضب، وتقول بصوت أجشّ: «أتجري الحسابات في عقلك؟ يا هرون البربري، يا مَن كنت تمشي بجرأة نحو فم الموت نفسه؟».

هز هرون كتفيه وقال: «بالتأكيد، السبب الوحيد لدخول فم الموت هو سرقة أسنانه الذهبية». وفتح ذراعه بشكل واسع، وكان لوح السرير الخشبي في نهايته. ارتطم اللوح برماة الأسهم فيما يتبعه هرون بفرح، فضرب رجلًا بقوة واستولى على سلاح الآخر. وانتهى كل شيء بعد لحظة.

لم تتحرك ليسا، وقالت: «حسنًا؟».

قال هرون من بين الفوضى: «حسنًا ماذا؟».

- أتنوي قتلي؟

- ماذا؟ أوه لا. لا، هذا فقط، كما تعلمين، عادة. للبقاء نشيطًا. إذن أين هذان الأخوَان؟

ثم ابتسم.

جلس توفلاور على كومة القش، وحدق إلى الظلام. تساءل كم مضى عليه من وقت في أثناء وجوده هنا. ساعات على الأقل، ربما أيام. فكَّر في أنه ربما مضت سنوات، وأنه قد نسي ذلك ببساطة.

لا، لن يجدي هذا النوع من التفكير. حاول أن يُفكِّر في شيء آخر... العُشب، الأشجار، الهواء النقي، التنانين. التنانين...

سمع توفلاور صوتًا خافتًا لخربشة في الظلام، فشعر بالعرق يتصبب على جبهته.

هناك شيء ما في الزنزانة معه. شيء يُصدِر أصواتًا صغيرة، لكنها أعطت انطباعًا بالضخامة في الظلام الدامس. ثم شعر بحركة في الهواء.

عندما رفع ذراعه، شعر بملمس دهني وسيل خفيف من الشرر الذي يدل على وجود حقل سحري بالمكان. تمنى توفلاور بشدة لو كان هناك ضوء.

مرَّتْ دفقة من اللهب بجوار رأسه، فضربتِ الجدار البعيد. فيما توهجتِ الصخور بحرارة النيران، نظر إلى التنين الذي احتل الآن أكثر من نصف الزنزانة، وسمع صوتًا في رأسه يقول:

«سمعًا وطاعة يا سيدي».

مع توهج الأحجار المتشققة والمتطايرة، نظر توفلاور إلى انعكاسه في عينين خضراوين هائلتين. خلفهما كان تنين متعدد الألوان، بقرون وأشواك، ومرونة في جسده، مثل الذي في ذاكرته... تنين حقيقي. كانت

أجنحته المطوية لا تزال عريضة بما يكفي لتخدش الجدران على كلا جانبيْ الغُرفة، فاجتمعتْ معًا بين مخالبه.

قال توفلاور بصوت مرتجف وبخليط من الرعب والسعادة: «طاعة؟».

- طبعًا، يا سيدي.

تلاشى التوهج، فأشار توفلاور بإصبع مرتعشة نحو المكان الذي يتذكر وجود الباب فيه وقال: «افتحه!».

رفع التنين رأسه الضخم لتخرج مجددًا كرة اللهب، لكنْ هذه المرة، تقلصتْ عضلات رقبة التنين، وتغيَّر لونها من البرتقالي إلى الأصفر إلى الأبيض، وأخيرًا إلى أزرق باهت للغاية. حينها، صار لسان اللهب كذلك رفيعًا جدًّا، وعندما لامس الجدار، تناثرت الصخور المنصهرة بعيدًا. إلى أن وصلت إلى الباب، فانفجر المعدن في رذاذ من القطرات الساخنة.

مالت الظلال السوداء وتقوست على الجدران، بقبق المعدن في لحظة مؤلمة للنظر، ثم سقط الباب مقسومًا إلى شطريْن في الممر خلفه. واختفى اللهب فجأة بنفس قدر مفاجئة ظهوره.

خطا توفلاور بحذر فوق الباب، ونظر إلى أرجاء الممر، فوجده فارغًا.

تبعه التنين بصعوبة نسبيًّا من خلال إطار الباب الثقيل، فتغلب عليه بحركة من كتفيه شقَّت خشب الباب وألقته جانبًا. نظر المخلوق إلى توفلاور في انتظار، وجلده يتموج ويرتعش وهو يحاول فرد جناحيه في حدود الممر.

قال توفلاور: «كيف دخلت إلى هناك؟».

قال التنين: «لقد استدعيتَني يا سيدي».

- لا أتذكر أنني فعلت ذلك.

تردد صوت التنين في عقله بلطف: «في عقلك. لقد استدعيتَني في عقلك».

- أتقصد أنني فقط فكرت فيك، فظهرت؟

- نعم.

- أكان ذلك سحرًا؟

- نعم.

- لكنني أفكر في التنانين طوال حياتي!

- في هذا المكان، ترتبك الحدود بين الذهن والواقع قليلًا. كل ما أعرفه هو أنه في لحظة ما لم أكن موجودًا، ثم فكرتَ فيَّ، فأصبحتُ موجودًا. لذا، طبعًا، أنا مِلك لك لتأمرني.

- يا إلهي!

في تلك اللحظة، التفَّ نصف دزينة من الحراس عند زاوية الممر. فتوقفوا وأفواههم مفتوحة من الدهشة، ثم تدارك أحدهم نفسه بما يكفي ليرفع قاذفة الأسهم خاصته ويطلقها.

ارتفع صدر التنين، فانفجر السهم إلى شظايا ملتهبة في الهواء. اندفع الحراس هاربين بعيدًا عن الأنظار. وبعد جزء من الثانية، انهمر اللهب على الأحجار بموضع وقوفهم.

نظر توفلاور إلى الأعلى بإعجاب، ثم قال: «هل تستطيع الطيران أيضًا؟».

- طبعًا.

نظر توفلاور إلى أرجاء الممر، وقرَّر عدم متابعة الحراس. لمَّا أدرك أنه تائه تمامًا فعلًا، فإن التحرك نحو أي اتجاه ربما كان تطورًا إلى

الأفضل. تحرَّك بحذر بجانب التنين وأسرع بعيدًا، فيما تبعه الوحش الضخم بصعوبة.

سارا خلال سلسلة من الممرات المتقاطعة مثل المتاهة. وفي إحدى النقاط، اعتقد توفلاور أنه سمع صيحات بعيدة، سرعان ما تلاشتْ. وظهرتْ أحيانًا أقواس أبواب متداعية في الظلام. تسرب الضوء بخفوت من بعض الفتحات، فارتدَّ أحيانًا عن المرايا الكبيرة المثبتة في زوايا الممر. وفي أحيان أخرى، ظهر ضوء أكثر إشراقًا من فتحات أسقف بعيدة.

فكَّر توفلاور -في أثناء تجوله نزولًا لمجموعة واسعة من السلالم، ليتناثر الغبار المتطاير فضي اللون- أنه من الغريب أن الأنفاق هنا كانت أوسع بكثير، وبناءها أفضل أيضًا. وهناك تماثيل في النتوءات الموجودة في الجدران، ورأى بعض البُسُط المتهالكة المعلَّقة هنا وهناك، ولكنها مثيرة للاهتمام رغم حالتها. إذ ظهرت عليها التنانين بشكل رئيسي... مئات التنانين، سواء كانت طائرة أم مُعلقة من حلقاتها، تنانين مع رجال على ظهورها يصطادون الغزلان، وأحيانًا يصطادون رجالًا آخرين. لمس توفلاور إحدى البُسُط المزخرفة بحذر، فانهار نسيجها على الفور في الهواء الحار الجاف، تاركًا فقط شبكة متدلية تضفَّرت عليها بعض الخيوط بسلك ذهبي رفيع.

قال توفلاور: «تُرى لماذا تركوا كل هذا؟».

قال صوت مهذب في عقله: «لا أعرف».

فاستدار ونظر إلى الأعلى نحو الوجه المملوء بالقشور، والذي يشبه وجه الحصان فوقه، ليقول: «ما اسمك أيها التنين؟».

- لا أعرف.

- أعتقد أنني سأسميك ناينرييدز.

- هذا هو اسمي إذن.

تقدما خلال الغبار الذي يغمر المكان نحو سلسلة من القاعات الضخمة ذات الأعمدة الداكنة المنحوتة من الصخور الصلبة ببراعة أيضًا، إذ امتلأت الجدران من الأرض إلى السقف بالتماثيل، والكراغل، والنقوش البارزة، والأعمدة المضلعة التي ألقت بظلال متحركة بغرابة عندما أضاء التنين المكان تلبيةً لطلب توفلاور. عبرا المعارض الطويلة والمدرجات المحفورة الواسعة، المغمورة بغبار عميق وناعم وغير مأهولة بالكامل. لم يأتِ أحد إلى هذه الكهوف الميتة منذ قرون.

ثم رأى الطريق يمتد إلى فم نفق مظلم آخر. شخص ما استخدمه بانتظام، ومنذ وقت قريب. كان مسارًا عميقًا ضيقًا خلال أستار الظلام.

سَلَك توفلاور المسار، فقاده خلال المزيد من القاعات الشاهقة والممرات المتعرجة التي كانت كبيرة بما يكفي لتناسب التنين (وقد بدا كأن التنانين قد عبرتْ هذا الطريق ذات مرة؛ إذ كانت هناك غرفة ملأى بأسرجة متعفِّنة بحجم التنين، واحتوتْ غرفة أخرى على دروع معدنية وسلاسل ضخمة بحجم يكفي الأفيال). انتهى بهما الطريق أمام زوجين من الأبواب البرونزية الخضراء، وامتدَّا إلى ارتفاع شاهق لدرجة أنهما اختفيا بالأعلى في الظلام. كان هناك مقبض صغير على شكل تنين نُحاسي أمام توفلاور، على مستوى صدره. عندما لمسه، انفتحتِ الأبواب على الفور وبصمتٍ مزعج.

انطلقتْ شرارات في شعر توفلاور على الفور، وجاءتْ هبة مفاجئة من الرياح الحارة الجافة التي لم تحركِ الغبار مثل الرياح العادية، بل بدلًا من ذلك، رفعتِ الغبار لحظاتٍ إلى أشكال شبه حية مزعجة قبل أن يستقر مرة أخرى. وسمع توفلاور صوتَ تغريدٍ غريبٍ للأشياء المحبوسة

في أبعاد الزنازين البعيدة، وراء شبكة الزمان والمكان الهشة. ظهرتْ ظلال بلا أجسام تسببها، وطنَّ الهواء كخلية نحل.

باختصار، كان هناك تفريغ هائل للسحر يدور حوله.

أضيئَت الحجرة خلف الباب بوهجٍ أخضرَ باهت. وعلى جدرانها أرفف رخامية، تكدستْ فوقها أعداد من التوابيت، كل واحد منها موضوع على رف رخامي خاص به. وفي وسط الغرفة كرسي حجري على منصة مرتفعة، جلس عليه شكل منحنٍ لم يتحرك، لكنه قال بصوت قديم هش: «ادخل أيها الشاب».

تقدَّم توفلاور بخطواته. كان الشخص الجالس في المقعد بشريًّا، بقدر ما أمكنه تمييزه في الضوء المظلم، لكنْ هناك شيء في الطريقة غير الطبيعية التي كان ملقى بها في الكرسي، جعله يشعر بالارتياح لعدم رؤيته بشكل أوضح.

جاء صوت مما يأمل توفلاور بشدة أن يكون رأسًا، بنبرة محادثة: «أنا ميت، كما تعلم. أعتقد أنك تستطيع أن تلاحظ ذلك».

قال توفلاور: «ممم، نعم». وبدأ يتراجع إلى الخلف.

وافقه الصوت: «واضح، أليس كذلك؟ أنت توفلاور، أليس كذلك؟ أم إن ذلك سيحدث لاحقًا؟».

قال توفلاور: «لاحقًا؟ لاحقًا لماذا؟».

قال الصوت: «حسنًا، أحد مساوئ الموت أنك تتحرر من قيود الزمن، ومن ثَمَّ أستطيع رؤية كل ما حدث أو سيحدث، كله في الوقت نفسه إلا أنني طبعًا أعلم الآن أن الزمن، لكل الأغراض العملية، لا وجود له».

قال توفلاور: «هذا لا يبدو عيبًا».

- أتظنه ليس كذلك؟ تخيَّل أن كل لحظة تصبح في الوقت نفسه ذكرى بعيدة ومفاجأة غير سارة، وستفهم ما أعنيه. على أي حال، أتذكر الآن ما كنت على وشك أن أخبرك به. أم إنني فعلت ذلك فعلًا؟ هذا تنين جميل بالمناسبة. أم لم أقل ذلك بعد؟».

قال توفلاور: «إنه جيد نوعًا ما. لقد ظهر فجأة».

قال الصوت: «ظهر فجأة؟ لقد استدعيتَه!».

- نعم، حسنًا، كل ما فعلته هو...

- لديك القوة!

- كل ما فعلته هو التفكير فيه.

- هذا معنى القوة! ألم أخبرْك أنني جريشا الأول؟ أم هذا ما سأخبرك به لاحقًا؟ أنا آسف، لكنني لا أملك الكثير من الخبرة ككِيان علويٍّ. على أي حال، نعم... القوة. إنها تستدعي التنانين، كما تعلم.

قال توفلاور: «أعتقد أنك أخبرتني بذلك فعلًا».

قال الرجل الميت: «هل فعلتُ؟ كنت أنوي ذلك بالتأكيد».

- لكنْ كيف؟ لقد كنتُ أفكر في التنانين طوال حياتي، لكنْ هذه أول مرة يظهر فيها التنين.

- حسنًا، الحقيقة هي أن التنانين لم توجد قطُّ كما تفهم -وأنا، قبل تسميمي منذ ثلاثة أشهر- معنى كلمة الوجود. أنا أقصد التنين الحقيقي، دراكونيس نوبليس، كما تعلم، أما تنين المستنقع، دراكونيس فولجاريس، فهو مخلوق وضيع ولا يستحق اهتمامنا. من ناحية أخرى، التنين الحقيقي مخلوق ذو نقاء روحي عالٍ فلا يمكنه أن يتجسد في هذا العالم إلا إذا تصوَّره خيالٌ متمكنٌ للغاية. وحتى في هذه الحالة، يجب أن يوجد صاحب ذلك الخيال

في مكان مشبع بالسحر بشكل كبير، وهذا ما يساعد على إضعاف الجدران بين العالم المرئي وغير المرئي. عندها تنبثق التنانين، إذا جاز التعبير، وتطبع شكلها على مصفوفة احتمالات هذا العالم. كنتُ بارعًا في ذلك عندما كنت حيًّا. كنتُ أستطيع تخيُّل ما يصل إلى، أوه، خمسمئة تنين في وقت واحد. أما الآن، لييسا، الأكثر مهارة من بين أطفالي، بالكاد تستطيع تخيُّل خمسين مخلوقًا غير مميز. هذا هو نتيجة التعليم التقدمي. إنها لا تؤمن بهم حقًّا. لهذا السبب تبدو تنانينها مُملة نوعًا ما... بينما تنينك، هو تقريبًا بجودة بعض تنانيني التي وُجِدَتْ في الماضي. منظره يريح الأعين، مع أنَّه ليس لديَّ عينان لأتكلم عنهما الآن.

قال توفلاور بسرعة: «أنت تستمر بالقول بأنك ميت...».

- حسنًا؟

- حسنًا، الموتى، أعني، هم، كما تعلم، لا يتحدثون كثيرًا. كقاعدة.

- كُنتُ ساحرًا قويًّا بشكل استثنائي. سممتني ابنتي، طبعًا. إنها الطريقة المقبولة عمومًا للخلافة في أسرتنا، لكنْ...

تنهدتْ الجثة، أو على الأقل جاء تنهُّد من الهواء الموجود على بعد بضع أقدام منه، وقال: «سُرعان ما أصبح واضحًا أن لا أحد من أطفالي الثلاثة قويٌّ بما يكفي للاستيلاء على حكم ويرمبيرج من الآخرين. ترتيب غير مُرضٍ للغاية. مملكة مثل مملكتنا يجب أن يكون لها حاكم واحد. لذلك قررتُ أن أبقى حيًّا بصفة غير رسمية، وهو ما يزعجهم جميعًا بشكل كبير. لن أعطي أطفالي متعةَ دفني إلى أن يتبقى واحدٌ فقط منهم لأداء المراسم». ثم ظهر صوت أزيز مزعج، فقرر توفلاور أن المقصود منه كان ضحكة مكتومة.

قال توفلاور: «إذن هل كان أحدهم هو مَن اختطفنا؟».

قال صوت الساحر الميت: «ليسا، ابنتي. صاحبة القوة الأكبر، كما تعلم. تنانين أبنائي لا يمكنها الطيران لأكثر من بضعة أميال قبل أن تتلاشى».

قال توفلاور: «تتلاشى؟ لاحظتُ فعلًا أننا كنا قادرين على الرؤية من خلال التنين الذي جلبنا إلى هنا، اعتقدتُ أن هذا كان غريبًا بعض الشيء».

قال جريشا: «طبعًا، تعمل القوة بالقرب من ويرمبيرج فقط. إنه قانون التربيع العكسي، كما تعلم. أو على الأقل، أعتقد أنه كذلك. عندما تطير التنانين بعيدًا تبدأ في التقلُّص. وإلا لكانت سيطرت صغيرتي ليسا على العالم بأسره الآن، إذا كنتُ أعلم أي شيء عن ذلك. لكنني أرى أنه يجب ألا أبقيكَ هنا. أعتقد أنك سترغب في إنقاذ صديقك».

فغر توفلاور فمه وقال: «هرون؟».

- ليس هو. بل الساحر النحيل. يحاول ابني ليورت تقطيعه إلى أشلاء. أعجبتني الطريقة التي أنقذتَه بها. أعني، سوف تنقذه بها.

نهض توفلاور واقفًا باعتداد، وهو أمر سهل. ثم قال: «أين هو؟». متوجهًا نحو الباب بخطى يأمل أن تبدو بطولية.

قال الصوت: «اتبع المسارَ في الغبار فحسب، تأتي ليسا لرؤيتي أحيانًا. لا تزال تأتي لرؤية والدها الشيخ، فتاتي الصغيرة. كانت الوحيدة ذات قوة الشخصية الكافية لقتلي. هذا الشبل من ذاك الأسد. حظًّا سعيدًا، بالمناسبة. أظن أنني قلتُ ذلك. أعني أنني سأقوله الآن».

ضاعتْ نبرته المتقطعة في متاهة الأزمنة، فيما ركض توفلاور خلال الأنفاق الميتة، وخلفه يركض التنين بسهولة. لكنْ سُرعان ما استند إلى عمود وقد استبدَّ به التعب الشديد. بدا كأنه قد مرَّ وقت طويل منذ أن تناول أي طعام.

قال نايندرييدز داخل عقله: «لماذا لا تطير؟» فرد التنين جناحيه وضرب بهما في ضربة تجريبية، فرفعته للحظة عن الأرض. حدَّق إليه توفلاور لحظةً، ثم اندفع إلى الأمام وتسلق بسرعة رقبةَ الوحش. سرعان ما أصبحا في الهواء، إذ حلَّق التنين بسهولة على بُعد بضع أقدام من الأرض، تاركًا وراءه سحابة من الغبار.

تعلق توفلاور به بأقصى ما يستطيع، فيما انطلق نايندرييدز خلال سلسلة من الكهوف وحلَّق حول درج حلزوني يمكنه استيعاب جيش متراجع بسهولة. عند وصولهما إلى القمة، خرجا إلى المناطق المأهولة، حيث تعكس المرايا المصقولة بسطوع في كل زاوية ممرَّ ضوءٍ باهت.

قال نايندرييدز: «أشم رائحة تنانين أخرى».

غامتِ الأجنحة من فرط سرعتها، فمال توفلاور إلى الخلف فيما انحرف التنين مندفعًا نحو ممر جانبي مثل طائر سنونو مُهوَّس بالبعوض. أرسلتهما انعطافة حادة أخرى إلى خارج فوهة نفق من جدار كهف واسع. كانت هناك صخور في الأسفل، وهطبتْ فوقها أعمدة عريضة من الضوء خلال ثقوب كبيرة قُرب السقف. السقف الذي احتوى على الكثير من الأنشطة أيضًا، ففي أثناء تحليق نايندرييدز ضاربًا الهواء بجناحيه، نظر توفلاور إلى أشكال الوحوش المتجمعة والنقاط الصغيرة التي بدت كرجال يسيرون بالمقلوب بطريقة ما.

قال التنين بنبرة راضية: «هذه هي قاعة التعشيش».

بينما كان توفلاور يشاهد المكان، انفصل أحد الأشكال عن السقف وبدأ يكبر كلما اقترب منه...

شاهد رينسويند وجه ليورت الشاحب يبتعد عنه، ليتمتم جزء صغير داخل عقله: «هذا مضحك، لماذا أرتفع؟».

ثم بدأ يتقلب في الهواء وعاد إلى أرض الواقع. ليجد نفسه ساقطًا نحو الصخور البعيدة الملطخة بفضلات التنانين.

تأرجحتْ أفكاره في عقله. اختارت كلمات التعويذة تلك اللحظة لتظهر من أعماق عقله، كما كانت تفعل دائمًا في أوقات الأزمات، لتبدو كأنها تحثُّه: «لماذا لا تقولنا، ما الذي ستخسره؟».

لوح رينسويند بيده خلال تيار الهواء المتزايد، وصاح: «أشوناي» فتشكَّلت الكلمة أمامه بلهب أزرق بارد تطاير في الريح، ثم لوَّح بيده الأخرى، وقد أسكره الرعب والسحر ليقول: «إبيريس»، فتجمد صوته في كلمة برتقالية متلألئة علقتْ بجانب رفيقتها.

أكمل صائحًا: «أورشورينج، كفانتي. بيثان. نجوراد. فيرينجومالييي». فلمعتِ الكلمات بألوان الطيف من حوله، فأزاح يديه إلى الخلف واستعدَّ لقول الكلمة الثامنة والأخيرة التي ستظهر في لون أوكتارين متلألئ لتختم التعويذة، وتناسى الصخور الموشكة أن تقترب، فقال: «...».

خرج النفس منه، فتبعثرتِ التعويذة وانطفأتْ. أحاط زوجان من الأذرع بخصره، واهتزَّ العالم كله من حوله فيما ارتفع التنين بعد هبوطه الطويل، لتحتكَّ مخالبه لوهلة بالصخرة العليا في أرض ويرمبيرج الكريهة، فضحك توفلاور بانتصار صائحًا: «أمسكته!».

وبينما كان التنين يميل برشاقة في قمة طيرانه، ضرب بجناحيه في كسل واندفع خلال فوهة الكهف نحو نسيم الصباح.

في الظهيرة ووسط مرج أخضر واسع على الهَضَبة الخصبة حيث قمة ويرمبيرج المتزنة بشكل مستحيل، شكَّل التنانين وفرسانهم دائرة واسعة. ومن خلفهم مساحة لحشد من الخدم والعبيد وآخرين ممن

يحاولون كسب لقمة العيش هنا على سقف العالم، ليراقب جميعهم الأشكال المتجمعة في وسط الساحة العشبية.

تضمَّنَت المجموعة عددًا من كبار سادة التنانين، ومن بينهم ليورت وأخوه ليارتس. كان الأول لا يزال يفرك ساقيه، مع تعابير صغيرة من الألم. وقفت لييسا وهرون جانبًا، مع بعض أتباع لييسا، ووقف حكيم عادات ويرمبيرج بين الفصيلين.

قال الحكيم في شكٍّ: «كما تعلمون، إن اللورد جريشا الأول الذي لم يكتمل موته بعد، قد نصَّ على أنه لن يكون هناك خليفة إلى أن يشعر أحد أبنائه -أو كذلك، ابنته- بالقوة الكافية لتحدي أخويه أو أخويها وهزيمتهما في قتال حتى الموت».

قال صوت رفيع حاد الطباع بجانبه: «نعم، نعم، نعرف كل ذلك. أكمل بسرعة»، فابتلع الحكيم ريقه، إذ إنه لم يتقبل قطُّ إخفاق سيده السابق في الموت بشكل صحيح. ليتساءل بداخله هل مات الصقر العجوز أم لا؟

قال الحكيم بصوت مرتعش: «ليس من المؤكد أكان مسموحًا إصدار تحدٍّ بالوكالة».

قاطعه صوت جريشا المتحرر من جسده: «مسموح، مسموح، هذا دليل على الذكاء. لا تستغرق اليوم كله في ذلك الأمر».

قال هرون مُحدقًا إلى الأخوين: «أتحَدَّاكما، كليكما معًا».

تبادل ليورت وليارتس النظرات، ثم قال ليارتس الذي كان رجلًا طويلًا نحيلًا ذا شعر أسود طويل: «ستقاتلنا نحن الاثنين معًا؟».

- أجل.

- هذه احتمالات غير متكافئة، أليس كذلك؟

- نعم. أنا أفوقكما عددًا واحدًا إلى اثنين.

عبس ليورت وقال: «أيها البربري المتعجرف».

زأر هرون: «هذا يكفي! سأ...». فوضع الحكيم يده الزرقاء المتعرقة ليوقفه قائلًا: «ممنوع القتال على ساحة القتل». ثم توقف فيما كان يفكر في معنى ما قاله، ليكمل في استسلام: «أنتما تعلمان ما أعنيه، على أي حال. وبصفتهما الطرفين المُتحديَين، يختار سيداي ليورت وليارتس الأسلحةَ».

قالا بصوت واحد: «تنانين»، فقهقهت ليبسا.

قال ليورت بحزم: «يُمكِن استخدام التنانين للهجوم، ولذلك فهي أسلحة. إذا كنتما معترضين، يمكننا القتال حول ذلك».

فقال شقيقه موجهًا نظره إلى هرون: «نعم».

شعر الحكيم بإصبع شبحية تضغط صدره، وصوت جريشا من القبر يقول: «لا تقف هكذا فاغر الفم. أسرع فحسب».

تراجع هرون، وهو يهزُّ رأسه، وقال: «أوه لا. مرة واحدة تكفي. أُفضِّل أن أموت بدلًا من القتال على واحد من تلك الأشياء».

قال الحكيم بقدر ما يستطيع من لطف: «إذن، فلتمُتْ».

سار ليورت وليارتس فعلًا خلال الساحة حيث كان الخدم ينتظرون مع تنانيهم. التفت هرون إلى ليبسا، فهزَّت كتفيها.

قال هرون متوسلًا: «ألا أحصل على سيف حتى؟ أو سكين؟».

فأجابته: «لا، لم أتوقع هذا». لتبدو فجأة أصغر حجمًا، بعد أن زال منها كل التمرد، لتقول: «أنا آسفة».

- آسفة؟

- نعم. أنا آسفة.

- أجل، ظننتكِ قُلتِ إنكِ آسفة.

- لا تُحدِّق إليَّ هكذا! يمكنني أن أتخيل لك أفضل تنين لتركبه...

- لا!

مسح الحكيم أنفه بمنديل حريري صغير، ثم رفعه لحظةً، وتركه يسقط.

دار هرون حول نفسه بسبب خفقان الأجنحة، إذ صار تنين ليورت في الهواء فعلًا وبدأ يدور نحوهم، ثم انقضَّ على الساحة مُطلقًا شعلة نار من فمه، تاركًا خطًّا أسودَ خلال العشب الذي اندفع نحو هرون.

دفع لييسا جانبًا في اللحظة الأخيرة، وشعر بالألم الوحشي للهب على ذراعه في أثناء قفزه بحثًا عن الأمان. تدحرج عند ملامسة الأرض، وقفز على قدميه مرة أخرى باحثًا بجنون عن التنين الآخر. جاء التنين من جانبه، فاضطُرَّ هرون إلى القيام بقفزة غير محسوبة جيدًا لتجنب اللهب. تحرك ذيل التنين بالأنحاء، فضربه بقوة على جبهته في أثناء مروره. دفع هرون نفسه إلى الأعلى، وهو يهز رأسه للتغلب على الدوار، فيما يصرخ ظهره المتقرح ألمًا.

جاء ليورت بهجمة ثانية، لكنْ ببطء هذه المرة ليتناسب مع رشاقة هرون الضخم غير المتوقعة. عندما اقترب من الأرض، رأى البربري واقفًا بلا حَراك، صدرَه يتنفس بقوة، وذراعيه معلقتين بجانبيه. إنه هدف سهل.

أدار ليورت رأسه عندما مال تنينه بعيدًا، متوقعًا رؤية كتلة كبيرة من الرماد.

لكنه لم يجد شيئًا هناك، فعاد ليورت بوجهه إلى الأمام مرتبكًا.

سحب هرون نفسه فوق حراشف كتف التنين بيد واحدة، وأطفأ شعره المشتعل باليد الأخرى، فصار بعدها أمام ليورت الذي مدَّ يده إلى خنجره، لكنْ ساعد الألم على مضاعفة حدة ردود أفعال هرون الحادة فعلًا. ضرب هرون معصم ليورت بظهر يده كمطرقة عنيفة، فطار الخنجر من يده في شكل قوس نحو الأرض، وأصاب الرجل بضربة أخرى على ذقنه.

كان التنين على بُعد أمتار فقط من العشب، فيما يحمل وزن رجلين. واتضح أن هذا كان من حسن حظ هرون، لأنه في اللحظة التي فقد فيها ليورت وعيه، اختفى التنين من الوجود.

أسرعتْ ليسا خلال العشب وساعدت هرون على النهوض. رمش بعينيه وهو ينظر إليها، وقال: «ماذا حدث؟ ماذا حدث؟».

قالت ليسا: «كان هذا رائعًا حقًّا! الطريقة التي قفزت بها في الهواء وكل شيء!».

- نعم، لكن ماذا حدث؟

-من الصعب تفسيره بالضبط...

نظر هرون إلى السماء. كان ليارتس، الأكثر حذرًا بكثير من أخيه، يدور عاليًا فوقهما، فقال هرون: «حسنًا، لديكِ نحو عشر ثوانٍ لتحاولي فيها».

- التنانين...

- نعم؟

- إنها محض خيال.

- أتعنين مثل كل هذه الحروق المخيِّلة على ذراعي؟

قالت: «نعم. لا!». ثم هزتْ رأسها بعنف وأردفت: «سأُضطر إلى إخبارك لاحقًا!».

همس هرون بغضب: «حسنًا، إذا كنتِ تستطيعين العثور على وسيط جيد فعلًا». ثم نظر بعينيه إلى ليارتس الذي بدأ في الهبوط بحركات دائرية واسعة.

- اسمعني فقط، أيمكنك ذلك؟ لا يمكن للتنين أن يوجد، إلا إذا كان أخي واعيًا، ليس لديه مسار للوصول إلى هنا...

هتف هرون: «اركضِي!». ثم ألقى بها بعيدًا عنه وارتمى على الأرض فيما مرَّ تنين ليارتس بسرعة، مُخلفًا ندوبًا مشتعلة أخرى على العشب.

بينما سعى المخلوق إلى الارتفاع استعدادًا لدورة أخرى، نهض هرون واقفًا وانطلق بسرعة نحو الغابة على حافة الساحة. تناثرت أشجار الغابة فلم تزد عن سياج واسع مُغطًّى بالنباتات، لكنْ على الأقل لن يتمكن أي تنين من الطيران خلالها.

لم يحاول التنين ذلك، إذ قاده ليارتس للهبوط على العشب عدة أمتار بعيدًا ونزل عنه من دون اكتراث. طوى التنين جناحيه وأدخل رأسه بين النباتات الخضراء، فيما وقف سيده يتكئ على شجرة ويُصفِّر بلا لحن.

قال ليارتس بعد مدة: «أستطيع أن أحرق المكان لأجبرك على الخروج».

ظلت الشجيرات ثابتة، فأردف ليارتس: «ربما أنت في شجيرة الأشواك تلك هناك؟».

فأصبحت شجيرة الأشواك كرة شمعية من اللهب.

- أنا متأكد أنني أرى حركة بين تلك الأشجار.

فأصبحتِ الأشجار مجرد هياكل من الرماد الأبيض.

قال ليارتس فيما يلقي نظرة جانبية إلى الشجيرات: «أنت تطيل الأمر فحسب أيها البربري، لماذا لا تستسلم الآن؟ لقد حرقتُ الكثير من الناس، ذلك أمر غير مؤلم على الإطلاق».

واصل التنين سيره بين الأشجار، حيث قضم كل شجيرة وأي أجمة من النباتات، فسحب ليارتس سيفه وانتظر.

سقط هرون من شجرة، فهبط راكضًا على الفور. زمجر التنين من خلفه واخترق الشجيرات في أثناء محاولته للدوران، لكنِ استمر هرون بالركض، مُمسِكًا بفرع شجرة ميت وقد تركزت نظراته نحو ليارتس.

من الحقائق المعروفة قليلًا أن الكائن الماشي على قدمين، يمكنه التغلب عادةً على كائن رباعي الأرجل في مسافة قصيرة، وذلك ببساطة بسبب الوقت الذي يستغرقه الكائن رباعي الأرجل في ترتيب أرجله. سمع هرون صرير المخالب خلفه وبعده فرقعة مخيفة. كان التنين قد فرد جناحيه بنصف اتساعيهما، في محاولة للطيران.

بينما اندفع هرون نحو عدوه، ارتفع سيف ليارتس بشراسة، فاشتبك بفرع شجرة هرون. ثم اصطدم هرون به، وارتمى الرجلان على الأرض في قتال عنيف.

زمجر التنين، وصرخ ليارتس عندما أصابه هرون بركبته بدقة تشريحية، لكنه نجح في الرد بضربة عنيفة كسرت أنف البربري.

ركله هرون بعيدًا وقام واقفًا، ليجد نفسه أمام الوجه البري الهائج للتنين، وقد اتسعت فتحتا أنفه، فاندفع بقدمه وضرب ليارتس الذي كان يحاول الوقوف، على جانب رأسه، فانهار الرجل.

اختفى التنين. تلاشت كرة النار التي انطلقت نحو هرون، فعندما وصلت إليه، لم تكن سوى نفخة هواء دافئة. ثم لم يكن هناك أي صوت سوى قرقعة الأشجار المحترقة.

رمى هرون ليارتس فاقد الوعي على كتفه وانطلق بخطوات سريعة عائدًا إلى ساحة القتال. فوجد ليورت مربوطًا على الأرض بمنتصف الطريق، وقد انثنت إحدى ساقيه بشكل مربك، فانحنى هرون، ورفع الرجل على كتفه الفارغة مُتنهدًا.

كانت لييسا والحكيم في انتظاره على منصة مرتفعة في نهاية المرج. استعادت لييسا هدوءها تمامًا الآن، ونظرت بثبات إلى هرون وهو يلقي الرجلين على الدرج أمامها. فيما وقف الناس حولها في احترام كأنهم في محكمة.

قالت لييسا: «اقتلهما».

قال: «أقتل وقتما أشاء خارج نطاق العمل. على أي حال، قتل الأشخاص غير الواعين ليس صحيحًا».

قال الحكيم: «لا أستطيع أن أفكر في وقت أكثر مناسبة لذلك». أما لييسا، فقد تذمرت وقالت: «إذن، سأطردهما. حالما يصبحان خارج مدى سحر ويرمبيرج، فلن يمتلكا أي قوة. سيكونان مجرد لصيْن. أسيكون ذلك مُرضيًا لك؟».

- نعم.

- كم يدهشني أنك بهذا القدر من الرحمة، يا هرون.

هز هرون كتفيه وقال: «أي رجل في وضعي نفسه، لن يمكنه تحمُّل أن يكون شيئًا آخر، عليه أن يفكر في سمعته». ثم نظر حوله وقال: «أين الاختبار التالي، إذن؟».

قالت لييسا: «أحذركَ أنه اختبار خطِر. يمكنك المغادرة الآن، إذا أردتَ. لكنْ إذا نجحت في الاختبار، فستصبح سيد ويرمبيرج، وطبعًا، زوجي الشرعي».

تلاقتْ نظراتهما، ففكر هرون في حياته حتى الآن. بدتْ له فجأة كأنها قد امتلأت بالليالي الطويلة الرطبة التي قضاها نائمًا تحت النجوم، والمعارك اليائسة مع الترولات وحراس المدينة، والعديد من اللصوص والكهنة الأشرار، وضد نصف آلهة فعلية في ثلاث مناسبات على الأقل ولماذا؟ حسنًا، عليه أن يعترف أنه من أجل كمية كبيرة من الكنوز، لكنْ أين ذهب كل ذلك؟ لإنقاذ العذارى المحاصرات مكافأة مؤقتة معينة، لكنْ في معظم الأوقات انتهى به الأمر بوضعهنَّ في مدينة ما بأي مكان مع مهر جميل، لأن بعد مرور بعض الوقت، حتى أكثر العذارى اللاتي حررهُنَّ يميلنَّ إلى محاصرته وامتلاكه، ويتصفنَ بالقليل من التعاطف مع جهوده لإنقاذ زميلاتهنَّ الغارقات في المعاناة. باختصار، لم تمنحه الحياة حقًّا أكثر من سُمعة حسنة وشبكة من الندوب على جسده. قد يكون ممتعًا أن يصبح سيد ويرمبيرج. ابتسم هرون، فمع قاعدة مثل هذه، وكل هذه التنانين ومجموعة جيدة من المقاتلين، يمكن للرجل حقًّا أن يصبح منافسًا.

إضافة إلى ذلك، لم تكن الفتاة سيئة الشكل.

قالت ليسا: «الاختبار الثالث؟».

قال هرون: «هل سأكون بلا سلاح مُجددًا؟».

أزالت ليسا خوذتها، وأسقطت خصلات شعرها الأحمر. ثم فكت رباط ردائها، لتظهر من تحته عاريةً تمامًا.

بينما اجتاحتها نظرة هرون، بدأ عقله في تشغيل جهازيْ عدٍّ خياليين. أحدهما قـيَّم الذهب في أساورها، والياقوت الذي يزين خواتم أصابعها، والحزام الماسي الذي يزيِّن سروالها، واثنين من الزخارف الميكانيكية الفضية الفريدة من نوعها. أما الجهاز الآخر فكان موصولًا مباشرة برغبته الجنسية. أنتج كلاهما تسجيلات أسعدته كثيرًا.

وبينما رفعتْ يدًا وقدمت كأسًا من النبيذ، ابتسمتْ وقالت: «لا أعتقد ذلك».

ألمح رينسويند كآخِر وسيلة: «لم يحاول أن ينقذك».

تشبث رينسويند بيأس بخصر توفلاور فيما يدور التنين ببطء، ليميل العالم من حولهما بزاوية خطِرة. معرفته الجديدة بأن الظهر المملوء بالحراشف الذي يعتليه الآن موجود فقط كنوع من الهلوسة ثلاثية الأبعاد، لم تؤثر بشيء على الإطلاق في إحساسه الشديد بالدوار، وانجرف عقله باستمرار نحو النتائج المحتملة لِفقدان توفلاور تركيزه.

قال توفلاور بقوة: «حتى هرون لم يستطع الفوز ضد قاذفات الأسهم تلك».

ارتفعتِ الشمس فوق حافة القرص، فيما طار التنين عاليًا فوق تلك القطعة من الغابة، حيث نام الثلاثة نومًا رطبًا وغير مريح. وعلى الفور، تحولت ألوان الأزرق والرمادي الداكنة لفجر اليوم السابق إلى نهر برونزي مشرق فاض خلال العالم، متحولًا إلى لون الذهبي فور سقوطه على الجليد أو الماء أو السد الضوئي. (فبسبب كثافة الحقل السحري المُحيط بالقرص، تحرَّك الضوء نفسه بسرعات أقل من سرعة الصوت؛ واستخدم شعب سوركا في صحراء النيف الكبرى هذه الخاصية المثيرة جيدًا، فمثلًا، بنوْا على مر القرون سدودًا معقدة ودقيقة، وأودية مُحاطة بالسيليكا المصقولة، للقبض على أشعة الشمس البطيئة وتخزينها نوعًا ما. كانت الخزانات المتلألئة للنيف، تفيض بعد عدة أسابيع من ضوء الشمس المستمر بلا انقطاع، لتعطي منظرًا رائعًا حقًّا من الجو، ومن المؤسف لذلك أن توفلاور ورينسويند لم ينظرا نحو ذلك الاتجاه).

انتصب أمامهما نحو السماء جبل ويرمبيرج العجيب، المصنوع بالسحر بوزن مليار طن ولم يكن ذلك سيئًا جدًّا، حتى أدار رينسويند رأسه ورأى ظل الجبل يمتد ببطء خلال الغيوم نحو سماء العالم...

قال توفلاور للتنين: «ماذا ترى؟».

أتاه الرد اللطيف: «أرى قتالًا على قمة الجبل».

قال توفلاور: «أرأيت؟ ربما هرون يقاتل من أجل حياته الآن».

ظل رينسويند صامتًا. نظر توفلاور حوله بعد لحظة، فوجد الساحر يحدق بانتباه إلى لا شيء على الإطلاق، فيما تتحرك شفتاه بلا صوت.

- رينسويند؟

أصدر الساحر صوتًا صغيرًا مثل الغرغرة.

قال توفلاور: «آسِف، ماذا قلت؟».

تمتم رينسويند: «...طوال الطريق... السقوط الكبير...».

تركَّزت عيناه، بدتا حائرتين للحظة، ثم اتسعتا بالرعب. لقد ارتكب خطأً النظر إلى الأسفل.

قال رينسويند: «آه». وبدأ بالانزلاق، فأمسكه توفلاور قائلًا: «ماذا حدث؟».

حاول رينسويند أن يُغلِق عينيه، لكنْ لا توجد جفون لخياله المستمر في التحديق، فقال بصعوبة: «ألا تخاف من المرتفعات؟».

نظر توفلاور إلى المناظر الطبيعية الصغيرة، المنقطة بظلال السحب. لم يخطر بباله التفكير في الخوف حقًّا.

قال توفلاور: «لا. لماذا أخافها؟ ستموت إذا سقطت من أربعين قدمًا تمامًا نفس ميتة سقوطك من أربعة آلاف قدم، هذا ما أقوله».

حاول رينسويند أن يفكر في ذلك بلا عاطفة، لكنه لم يستوعب ذلك المنطق. ليست المشكلة في السقوط بحد ذاته، بل الاصطدام...

أمسكه توفلاور بسرعة وقال ببهجة: «اهدأ قليلًا، نحن على وشك الوصول».

تنهد رينسويند وقال: «أتمنى لو أنني في المدينة مرة أخرى، أتمنى لو أنني على الأرض!».

تأمل توفلاور وقال: «تُرى أتستطيع التنانين الطيران إلى النجوم؟ سيكون ذلك شيئًا رائعًا...».

قال رينسويند بكل بساطة: «أنت مجنون». لم يرُدَّ السائح، وعندما التفت الساحر ذُهِلَ لرؤية توفلاور ينظر إلى النجوم الشاحبة بابتسامة غريبة على وجهه.

أضاف رينسويند بتهديد: «لا تفكر حتى في ذلك».

قال التنين: «الرجل الذي تبحث عنه يتحدث إلى سيدة التنانين».

قال توفلاور فيما استمر بالنظر إلى النجوم المتلاشية: «هممم؟».

قال رينسويند متعجلًا: «ماذا؟».

قال توفلاور: «أجل. هرون، آمل أننا أتينا في الوقت المناسب. اهبطِ الآن! انخفضْ!».

فتح رينسويند عينيه فيما تزداد سرعة الرياح إلى أن صارت صفيرًا عاصفًا. ربما انفتحتْ عيناه بسبب الرياح، إذ إنها جعلت من المستحيل إغلاقهما بالتأكيد.

ارتفعت قمة الويرمبيرج المسطحة نحوهما، ثم انحرفت بشكل مثير للرعب، وانقلبت إلى بقعة خضراء وامضة بسرعة من كل جانب. امتزجت الغابات الصغيرة والحقول في لوحة متسارعة. ربما كان ذلك

اللمعان الفضي القصير في المناظر الطبيعية هو النهر الصغير الذي فاض إلى الهواء عند حافة الهَضَبة. حاول رينسويند إخراج تلك الذكرى من عقله، لكنها استقرت هناك في استمتاع، لترعب الذكريات الأخرى وتقلب الأثاث داخل عقله.

قالت ليِيسا: «لا أعتقد ذلك».

أخذ هرون كوب النبيذ ببطء، وابتسم كيقطينة.

بدأتِ التنانين بالعواء حول الساحة، فنظر فرسانهم إلى أعلى. ومضَ شيء أخضر اللون خلال الساحة، ليختفي بعده هرون.

ظلتْ كأس النبيذ معلقة لحظةً في الهواء، ثم سقطتْ على الدرج، فسال محتواها على الفور.

كان ذلك بسبب تزامن التنين نايندرييدز لإيقاعات جسده مؤقتًا مع إيقاع جسد هرون، في لحظة إمساك التنين بهرون برفق بين مخالبه. لأن بُعد الخيال أكثر تعقيدًا بكثير من بُعديِ الزمان والمكان، اللذين هما بُعدان صغيران جدًّا حقًّا، كان تأثير ذلك التحويل المفاجئ لهرون الثابت ذي الجسم المملوء بالتضاريس إلى هرون الطائر بسرعة تبلغ ثمانين ميلًا في الساعة دون أي آثار ضارة على الإطلاق، باستثناء شربة من النبيذ المُهدَر. التأثير الآخر لهذا الأمر هو أن ليِيسا صرخت بغضب واستدعتْ تنينها. وفور ظهور الوحش الذهبي أمامها، قفزت عليه وهي لا تزال عارية، واستولت على قاذفة أسهم من أحد الحراس. ثم صارت في الجو، فيما ما زال راكبو التنانين الآخرين يتجهون نحو وحوشهم الخاصة.

راقب الحكيم ما يحدث من موضعه وراء العمود الذي اختبأ فيه بحكمة خلال تلك الفوضى الجنونية، ونجح في تلك اللحظة في التقاط الأصداء

العابرة للأبعاد لنظرية برزت في الوقت نفسه في عقل طبيب نفسي شاب في كون مجاور، ربما لأن تسرُّب الأبعاد تدفَّق في كلا الاتجاهين، ورأى الطبيب النفسي الفتاة على التنين لحظةً، فابتسم العالِم الكبير.

قال جريتشا في أذن الحكيم، بصوت يشبه صوت الديدان والقبور: «أتراهنني أنها لن تمسك به؟». فأغمض الحكيم عينيه وازدرد لعابه بصعوبة، ليتمكن من الكلام بعدها قائلًا: «ظننتُ أن سيدي يقيم الآن بالكامل في أرض الخوف».

قال جريتشا: «أنا ساحر، يجب أن يأتي الموت بنفسه ليحصد روح ساحرٍ. وآها، يبدو أنه ليس في المِنْطَقة...».

سأله الموت: «هيا بنا نذهب؟».

أتى الموت على حصان أبيض، حصان من لحم ودم ولكنَّ عينيه حمراوان وأنفه ينفث النار. ومدَّ يده العظمية ليقبض روح جريتشا من الهواء، وطواها إلى أن صارت نقطة من النور المؤلم، ثم ابتلعها.

ثم ركل جانبيْ حصانه بقوة وانطلق في الهواء، فتطايرت الشرارات من حوافره.

همس الحكيم الشيخ، والكون يدور به: «سيدي جريتشا!».

جاء صوت الساحر خافتًا يكاد يختفي في الأبعاد السوداء اللانهائية: «كانت هذه حيلة قذرة».

صاح الحكيم الشيخ بارتجاف: «سيدي... كيف هو الموت؟».

أتاه نسيم خفيف من الهواء يقول: «عندما أبحث في الأمر بالكامل، سأخبرك».

فهمس الحكيم: «أجل». ثم أتته فكرة، فأضاف: «اجعل ذلك بالنهار، من فضلك».

صاح هرون من موضعه بين مخالب نايرييدز الأمامية: «أيها المهرِّجون!».

هتف رينسويند، فيما شقَّ التنين طريقه خلال الهواء في سباق نحو العُلا: «ماذا قال؟».

فصاح توفلاور: «لم أسمع!». وقد قطعت العاصفة صوته. وبينما مال التنين قليلًا، نظر إلى اللعبة الصغيرة التي دارت قمتها ببطء، والتي كانت جبل ويرمبيرج الضخم الذي بدا كأنه لعبة دوارة. ورأى سربًا من مخلوقات طائرة تطاردهم نحو الأعلى. ضرب نايرييدز بجناحيه الهواء بقسوة واستهانة. وصار الهواء أقل كثافةً أيضًا، فانفتحتْ أذن توفلاور للمرة الثالثة، ولاحظ تنينًا ذهبي اللون في مقدمة السرب، وهناك شخص ما عليه أيضًا.

قال رينسويند بعجل: «مهلًا، هل أنت بخير؟». إذ اضطُرَّ إلى استنشاق عدة أنفاس من الهواء المقطر بشكل غريب لكي يستطيع الكلام.

قال هرون: «كدتُ أصبح سيدًا، وأنتم أيها المهرجون اضطررتُم إلى الذَّهَاب و...». ثم شهق، بعد أن استنزف الهواء البارد الرقيق الحياة حتى من صدره العظيم.

تمتم رينسويند: «ماذا يحدث للهواء؟». ثم ظهرت أضواء زرقاء أمام عينيه.

قال توفلاور: «لا...»، وفقد الوعي.

ثم اختفى التنين.

استمر الرجال الثلاثة في الصعود عدةَ ثوانٍ، فيما قدَّم توفلاور والساحر صورة غريبة إذ جلسا أحدهما أمام الآخر بساقيهما في اتساع ركوبًا على شيء غير موجود. ثم تعافت ما تعتبر جاذبية في القرص من المفاجأة وحصلت عليهما.

في تلك اللحظة، مرَّ التنين الخاص بلييسا بسرعة، وسقط هرون بثقله خلال عنق التنين، فانحنت لييسا وقبـَّلته.

لم يلاحظْ رينسويند ما حدث، إذ سقط وذراعاه لا تزالان مُلتفَّتين حول خصر توفلاور. كان القرص خريطة دائرية صغيرة معلقة على السماء. لم يبدُ أنه يتحرك، لكنْ أدرك رينسويند أنه يتحرَّك. كان العالم كله يتجه نحوه مثل فطيرة الكاسترد العملاقة، فصاح بصوت أعلى من هدير الرياح: «استيقظ! تخيَّل التنانين! فكِّر في التنانين!».

هبَّت الرياح من حركة رفرفة أجنحة مجموعة الكائنات المطاردة هبوطًا وصعودًا إلى أعلى، وصرخت التنانين في أثناء دورانها في السماء.

لم يأتِ رد من توفلاور الذي تلاعب الهواء برداء رينسويند من حوله، لكنه لم يستيقظ.

فكَّر رينسويند المذعور في التنانين. حاول تركيز ذهنه، حاول تصوُّر تنين حقيقي وواقعي. إذا استطاع توفلاور فعل ذلك، فيمكنني أيضًا فعله.

لكن لم يحدث شيء.

صار القرص أكبر الآن، ليصبح دائرة ملبَّدة بالغيوم تقترب بلطف تحتهم.

حاول رينسويند مرة أخرى، ضاغطًا عينيه ومستنفرًا كلَّ عصبٍ في جسده. تنين. كان خياله عضوًا تعرَّض لإفراط سوء الاستخدام، فحاول الوصول به إلى تنين... أي تنين.

ضحك الموت بصوت كدقَّات ناقوس جنائزي ممل، وقال: «لن يفلح الأمر. إنك لا تؤمن بوجودهم».

نظر رينسويند إلى ابتسامة الموت الرهيب الراكب على حصانه، فتفجَّر عقله بالرعب.

ثم ظهر وميض لامع.

ومن بعده ظلام مطلق.

امتدَّت أرضية ناعمة تحت أقدام رينسويند، ويحيط به ضوء وردي، وصرخات مفاجئة من الكثير من الناس.

نظر حوله بجنون. وجد نفسه واقفًا في نفق ما، امتلأ في الغالب بمقاعد رُبِطَ إليها أشخاص بملابس غريبة، وجميعهم يصرخون به.

همس رينسويند: «استيقظ! ساعدني!».

جرَّ رينسويند توفلاور الذي ما زال فاقدًا الوعي معه، ليتراجع بعيدًا عن الحشد إلى أن لمست يده الحرة مقبض باب غريب الشكل. ففتح الباب واندفع من خلاله، ثم أغلقه بقوة.

تطلَّع إلى أرجاء الغرفة الجديدة التي وجد نفسه فيها، لتتلاقى نظراته وشابة مرتعبة أسقطت الصينية التي كانت تحملها وصرخت.

بدا صراخها من النوع الذي يجلب مساعدة الآخرين. استدار رينسويند المغمور بالأدرينالين والخوف ثم اندفع بجانبها. عثر هناك على المزيد من المقاعد التي انحنى الجالسون عليها، فيما يسحب توفلاور بسرعة

خلال الممر المركزي. توجد نوافذ صغيرة وراء صفوف المقاعد، وظهر من النوافذ جناح تنين فضيٌّ على خلفية من السحب الناعمة.

فكَّر رينسويند في ذهنه: «لقد أكلني تنين». لكنه أجاب لنفسه: «هذا سخيف، لا يمكنك أن ترى ما هو خارج التنانين». ثم اصطدمت كتفه بالباب في نهاية النفق، وعبر من خلاله إلى غرفة مخروطية الشكل كانت أغرب من النفق.

كانت ملأى بأضواء صغيرة لامعة. بين الأضواء، ظهر أربعة رجال على كراسي مريحة، يحدقون إليه بفم مفتوح. بينما كان يُحدِّق إليهم، رأى نظراتهم تنحرف جانبًا.

استدار رينسويند ببطء، ليجد بجانبه رجلًا خامسًا... شابًّا، ذا لحية، وداكنًا مثل أهل البدو في صحراء نيف الكبرى.

قال الساحر: «أين أنا؟ في بطن التنين؟».

انحنى الشاب ودفع صندوقًا أسودَ صغيرًا أمام وجه الساحر، فانحنى الرجال على الكراسي.

قال رينسويند: «ما هذا؟ صندوق صور؟». ثم مدَّ يده وأخذ الصندوق، في حركة بدت كأنها فاجأت الرجل الداكن، فصرخ وحاول انتزاعه مرة أخرى. كان هناك صراخ آخر، هذه المرة من أحد الرجال على الكراسي الذي لم يعدْ جالسًا، إذ وقف وأشار بشيء معدنيٍّ صغير نحو الشاب.

كان له تأثير مذهل، إذ انحنى الرجل ورفع يديه في الهواء.

قال الرجل الذي يحمل الشيء المعدني: «من فضلك أعطني القنبلة يا سيدي. بحذر، من فضلك».

قال رينسويند: «هذه؟ خذها! لا أريدها!». فأخذ الرجل الشيء بحذر شديد ووضعه على الأرض. استرخى الرجال الجالسون، وبدأ أحدهم يتحدث بشوق إلى الجدار، فِراقب الساحر ذلك بدهشة.

قال الرجل الذي يحمل الشيء المعدني الذي اعتبره رينسويند تعويذة ما: «لا تتحرك!». فتراجع الرجل الداكن إلى الزاوية.

قال حامل التعويذة لرينسويند: «لقد فعلتَ شيئًا شجاعًا جدًّا، أتعلم ذلك؟».

- ماذا؟

- ما الأمر مع صديقك؟

- صديق؟

نظر رينسويند إلى توفلاور الذي كان لا يزال نائمًا بسلام. لم يكنْ ذلك مفاجئًا. ما كان مفاجئًا حقًّا هو أن توفلاور ارتدى ملابس جديدة. ملابس غريبة. سرواله الآن ينتهي فوق ركبتيه بقليل. فوق ذلك كان يرتدي شيئًا كسُترة مصنوعة من نسيج مخطَّط بألوان زاهية. وعلى رأسه قبعة قشية سخيفة ذات ريشة.

انتاب رينسويند شعورٌ غير مريح حول مِنْطَقة الساقين، فنظر إلى أسفل. لقد تغيرتْ ملابسه أيضًا. بدلًا من الرداء القديم المريح الذي كان رائعًا في التصرف السريع في جميع الحالات الطارئة الممكنة، وجد ساقيه محبوستيْن في أنبوبين نسيجيين. وارتدى سُترة من المادة الرمادية نفسها...

حتى الآن لم يكنْ قد سمع اللغة التي استخدمها الرجل ذو التعويذة. كانت لغة غير مألوفة وغامضة تشبه لهجة هابلاند... فلماذا يستطيع فهم كل كلمة؟

لنرَ، لقد ظهرا فجأة في هذا التنين بعد أن، تجسدا في هذا، لقد ظهرا فجأة، لقد، لقد... لقد بدآ محادثة في المطار ولذلك طبعًا اختارا الجلوس معًا في الطائرة، ووعد أن يُري جاك توفلاور أشهر المعالم عندما يعودان إلى الولايات المتحدة. نعم، هذا هو الأمر. ثم مَرِضَ جاك وشعر بالذعر وجاء إلى هنا وفاجأ هذا الخاطف. طبعًا. ما هو «هابلاند»؟

فرك د. رينسويند جبهته. كان بحاجة إلى شراب.

انتشرتْ تموجات التناقض خلال بحر السببية.

ربما كانت النقطة الأهم الواجب مراعاتها من قِبَلِ أي شخص خارج مجمل الأكوان المتعددة، هي أنه رغم أن الساحر والسائح قد ظهرا مؤخرًا فقط في طائرة في الجو، فقد كانا في الوقت نفسه يركبان تلك الطائرة كجزء من الأمور العادية. بمعنى: في حين أنه فعلًا قد ظهرا للتوِّ في هذا البُعد المُحدد، فهما كانا يعيشان فيه طوال الوقت أيضًا. في هذه النقطة، تستسلم اللغة العادية وتذهب لتشرب شيئًا.

خلاصة الأمر أن عدة كوينتيليونات من الذرات قد تجسدت للتو (ومع ذلك، لم تتجسد. انظر أدناه) في كون لم يكنْ ينبغي لها أن تكون فيه بالتحديد. النتيجة المعتادة لهذا النوع من الأشياء هي انفجار هائل، لكنْ لما كانت الأكوان أشياءَ قويةً، فقد أنقذ هذا الكون نفسه من خلال فك تواصله الزمكاني على الفور إلى نقطة يمكن فيها استيعاب الذرات الزائدة بأمان، ثم إعادة الزمن بسرعة إلى دائرة الضوء التي يسميها سكانه الحاضر -لعدم وجود مصطلح أفضل- طبعًا قد غيَّر هذا التاريخ، فصارت الحروب أقل قليلًا، وظهر عدد قليل إضافي من الديناصورات وما إلى ذلك، لكنْ إجمالًا، مرت الأمور بهدوء ملحوظ.

لكنْ خارج هذا الكون المحدد، كانت التبعات الناتجة عن رد الفعل المفاجئ هذا ترتد ذَهَابًا وإيابًا خلال مُجمل الأشياء، وهذا ما يحني أبعادًا كاملة ويخفي مجرات دون أثر.

كل هذا لم يعلمه د. رينسويند، 33 عامًا، أعزب، وُلِدَ في السويد، ونشأ في نيو جيرسي، وهو متخصص في ظواهر الأكسدة الانفصالية لبعض المفاعلات النووية. على أي حال، لم يكن ليصدق أيًّا من ذلك.

كان توفلاور لا يزال فاقدًا للوعي. وانحنت فوقه المضيفة بقلق، بعد أن ساعدت رينسويند على الجلوس وسط تصفيق الركاب الآخرين.

قالت لرينسويند: «لقد أرسلنا إشعارًا سابقًا خلال الراديو، ستكون هناك سيارة إسعاف في انتظارنا عندما نهبط. آه، مكتوب في قائمة الركاب أنك طبيب...».

قال رينسويند: «لا أعرف ما به. قد يكون الأمر مختلفًا إذا كان مفاعل ماجنوكس طبعًا. هل أصيب بصدمة ما؟».

- لم أ...

قاطع جملتها صوت تحطُّم هائل من مؤخرة الطائرة. صرخ عدة ركاب، وجرفتْ عاصفة مفاجئة من الهواء كل مجلة وصحيفة غير مثبتة بالمقاعد نحو دُوَّامة صاخبة دارت بجنون في الممر.

هناك شيء آخر قادم إلى الممر. شيء خشبيٌّ مستطيل كبير ومُطعَّم بالنُّحاس. كان لديه مئات الأرجل. بدا كصندوقٍ متحرك مثل ما يظهر في قصص القراصنة مليئًا بالذهب والجواهر المكتسبة بطرق غير مشروعة، ثم انفتح فجأة ما كان يُفترض أن يكون غطاءه.

لم يحتوِ على جواهر، بل الكثير من الأسنان الكبيرة المربعة، بيضاء كشجر الجميز، ولسان نابض أحمر كخشب الماهوجني.

إنها حقيبة عتيقة قادمة لتأكله.

تشبث رينسويند بتوفلاور فاقد الوعي للبحث عن القليل من الراحة المتاحة هناك، وبدأ في الهذيان. تمنى بشدة أن يكون في مكان آخر...

حدث ظلام مفاجئ.

ومن بعده وميض لامع.

رحيل عدة كوينتيليونات من الذرات فجأة من كون لم يكن ينبغي لها أن تكون فيه أصلًا، تسبب في اختلال هائل في توازن مجمل الأشياء التي حاولت استعادته بشكل يائس، وهذا ما أدى إلى محو عدد من الواقعيات الفرعية في هذه العملية. مع غليان تدفقات ضخمة من السحر الخام دون تحكم حول أساسات الأكوان المتعددة نفسها، لتتدفق خلال كل شق إلى أبعاد كانت هادئة من قبل، لتتسبب في خلق نجوم جديدة، نجوم عملاقة متفجرة، تصادمات نجمية، هروب عشوائي للإوز وغرق قارات خيالية. وفي عوالم بعيدة مثل بُعد الطرف الآخر من الزمن، شهدت غروب شمس هائل بألوان الأوكتارين المتلألئة حيث جابت الجسيمات السحرية عالية الشِّحنة خلال الغِلاف الجوي. في هالة المذنبات حول نظام الجليد الأسطوري في زيريت، مات مذنب نبيل كأمير يشتعل خلال السماء.

كل هذا لم يدركْه رينسويند في أثناء تشبثه بخصر توفلاور فاقد الوعي، فيما ينطلق نحو بحر القرص على بعد عدة مئات من الأقدام أدناه. حتى اهتزازات كل الأبعاد لم تستطع كسر القانون الصارم لحفظ الطاقة، ورحلة رينسويند القصيرة في الطائرة كانت كافية لنقله عدة مئات من الأميال أفقيًّا وسبعة آلاف قدم رأسيًّا.

ظهرت كلمة «طائرة» ثم اختفت في ذهن رينسويند.

هل تلك سفينة هناك؟

اندفعتِ المياه الباردة للبحر الدائري نحوه، وابتلعتْه في أحضانها الخضراء الخانقة. وبعد لحظة، اصطدم صندوق الأمتعة بالماء، فأطلق رذاذًا آخر، فيما لا يزال يحمل ملصقًا مرسومًا عليه رموز سحرية للسفر تُدعى «الخطوط الجوية الأمريكية».

في ما بعد، استخدم رينسويند وتوفلاور الصندوق كطوف.

# بالقُرب من الحافة

لقد كان قيد الصُّنع لفترة طويلة. أما الآن فأوشك أن ينتهي، إذ نزع العبيد بقايا الطين الأخيرة عن الرداء.

بينما كان عبيد آخرون يفركون جوانبه المعدنية برمل الفضة، بدأ فعلًا في اللمعان تحت أشعة الشمس كحرير طبيعي يشبه البرونز. كان لا يزال دافئًا، حتى بعد أسبوع من الانتظار حتى يبرد في حفرة الصب.

أشار كبير الفلكيين في كرول بيده بخفة، ووضع الحمَّالون كرسي العرش في ظل الهيكل.

قال في ذهنه: «مثل سمكة. سمكة طائرة عظيمة. ومن أي البحار؟».

ثم همس: «إنه رائع حقًّا. مثال حقيقي للفن».

قال الرجل السمين بجانبه: «للحرفة». استدار كبير الفلكيين ببطء ونظر إلى وجه الرجل اللامبالي. ليس من الصعب بشكل خاص أن يبدو الوجه غير مبالٍ عندما توجد كرتان ذهبيتان حيث يجب أن تكون العينان. كانتا تلمعان بشكل مقلق.

قال الفلكي وابتسم: «حرفة، بالتأكيد. أتخيل أنه لا يوجد حرفي في القرص كله أعظم منك يا ذهبي العينين. هل أنا محق؟».

توقف الحِرفي، فاضطرب جسمه العاري –ما عدا حزام الأدوات، والمعداد على المعصم، وبشرته السمراء– فيما يفكر في تداعيات هذا التعليق الأخير. بدتِ العينان الذهبيتان وكأنهما تنظران إلى عالم آخر.

قال أخيرًا: «الإجابة هي نعم ولا»، فشهق بعض الفلكيين الأقل رتبة خلف العرش بصوت مسموع لهذا النقص في اللياقة، لكن لم يبدُ كبير الفلكيين أنه لاحظ ذلك، إذ قال: «أكمِلْ».

قال الحرفي: «هناك بعض المهارات الأساسية التي أفتقر إليها. ومع ذلك فأنا داكتيلوس ذهبيُّ العينين فِضيُّ اليدين. أنا مَن صَنَع المحاربين المعدنيين الذين يحمون قبر بيتشيو، وصممتُ سدود الضوء بصحراء نيف الكُبرى، وبنيتُ قصر الصحارى السبع. ومع ذلك... –رفع إصبعه ونقر إحدى عينيه، التي رنت بصوت خافت– ...عندما صنعتُ جيشَ الجوليم لبيتشيو، أجزل لي العطاء بالذهب ثم أمر بفقء عيني، لكي لا أصنع عملًا آخر ينافس عملي له».

قال كبير الفلكيين بتعاطف: «حكيم ولكنه قاسٍ».

- نعم. لذا تعلمتُ كيف أسمع طبيعة المعادن وأرى بأصابعي. تعلمتُ كيف أميِّز الخامات بالطعم والرائحة. صنعتُ هاتين العينين، لكن لا أستطيع أن أجعلهما تريان. ثم استدعوني لبناء قصر الصحارى السبع، وكنتيجة لذلك أجزل الأمير لي العطاء بالفضة ثم أمر بقطع يدي اليمنى، فلم أُدهَش على الإطلاق.

أومأ كبير الفلكيين برأسه وقال: «هذا عائق كبير في مهنتك».

- استخدمتُ بعض تلك الفضة لأصنع لنفسي هذه اليد الجديدة، مستفيدًا من معرفتي التي لا تضاهى بالرافعات والنقاط المحورية. إنها تكفيني. وبعد أن أنشأتُ أول سد ضوئي عظيم،

والذي كانت سعته 50,000 ساعة من ضوء النهار، أجزل مجالس قبائل صحراء النيف لي العطاء بقطع من الحرير الفاخر، ثم قطعوا أوتار قدمي حتى لا أتمكن من الهروب. نتيجة لذلك، واجهتُ بعض الصِّعاب لاستخدام الحرير وبعض عيدان الخيزران لبناء آلة طيران يمكنني الانطلاق بها من أعلى برج في سجني.

قال كبير الفلكيين: «لينتهي بك المطاف، خلال مسارات متنوعة، إلى كرول. ولا يمكن للمرء إلا أن يشعر أن مهنة بديلة فلنقل زراعة الخس، مثلًا أخطارها أقل من التعرض للموت على أقساط. فلماذا تستمر في هذا؟».

هز داكتيلوس ذهبي العينين كتفيه، وقال: «أنا جيد في تلك المهنة».

نظر كبير الفلكيين مرة أخرى إلى السمكة البرونزية، التي تلمع الآن مثل طبل الجونج المعدني في شمس الظهيرة، فهمس: «جميل للغاية، وفريد من نوعه. تعال يا داكتيلوس. ذكرني بما وعدتك كمكافأة لك؟».

نطق الحِرفي الكبير: «طلبتَ مني تصميم سمكة تسبح خلال بحار الفضاء الواقعة بين العوالم. مقابل هذا... مقابل...».

قال كبير الفلكيين بلطف، وهو يلامس البرونز الدافئ: «نعم؟ ذاكرتي ليست كما كانت من قبل».

تابع داكتيلوس، دون أمل واضح: «في المقابل، ستحررني، وتمتنع عن قطع أي أطراف. لا أحتاج إلى أي كنز».

رفع الشيخ يده ذات الأوردة الزرقاء، وأضاف: «آه، نعم. أتذكر الآن. لقد كذبتُ».

سمع صوتًا شديد الخفوت، ثم ركع الرجلُ ذو العينين الذهبيتين على قدميه، ونظر إلى رأس السهم البارز من صدره، فأومأ بتعب فيما سالت بقعة من الدم على شفتيه.

ساد الصمت في الساحة بأكملها (باستثناء طنين بعض الذباب المتوقع) عندما ارتفعتْ يده الفضية، ببطء شديد، ولمستْ رأس السهم، فتأوَّه داكتيلوس وقال: «عمل رديء» ثم سقط إلى الخلف.

أزاح كبير الفلكيين الجثة بطرف قدمه، وتنهد قائلًا: «ستكون هناك فترة حِداد قصيرة، كما يليق بحِرفي عظيم»، وشاهد ذبابةً زرقاءَ تهبط على إحدى عينيه الذهبيتين وتطير بعيدًا في حيرة... ثم أكمل قائلًا: «يبدو أن هذا وقت كافٍ»، وأشار إلى اثنين من العبيد لحمل الجثة بعيدًا، ليسأل بعدها: «هل الرواد جاهزون؟».

تقدم مدير الإطلاق بخطوات سريعة وقال: «بالتأكيد يا سموَّك».

- هل تُنشَد الصلوات المناسبة؟

- بالتأكيد يا سموَّك.

- كم من الوقت حتى باب الإطلاق؟

صحح مدير الإطلاق بحذر: «نافذة الإطلاق، ثلاثة أيام يا سموَّك. سيكون ذيل آتوين العظيم في موقع غير مسبوق».

اختتم كبير الفلكيين: «إذنْ، كل ما تبقى هو العثور على التضحيات المناسبة».

انحنى مدير الإطلاق وقال: «سيوفرها لنا المحيط».

ابتسم الشيخ وقال: «دائمًا يفعل ذلك».

«لو فقط كنت تستطيع التنقُّل...».

«لو فقط كنت تستطيع القيادة...».

انجرفتْ موجة على سطح السفينة، فنظر رينسويند وتوفلاور إلى بعضهما وصرخا بصوت واحد: «استمر في نزح الماء عن السفينة!»، ومدَّا أيديهما نحو الدلاء.

بعد مدة، تسلل صوت توفلاور المتذمر من المقصورة المغمورة بالمياه قائلًا: «لا أرى كيف أن هذا خطأي»، وسلَّم دلوًا آخر للساحر الذي فرغه جانبًا.

قال رينسويند: «كان من المفترض أن تراقب ما يحدث».

قال توفلاور: «تذكَّر أنني مَن أنقذنا مِن العبيد».

رد الساحر: «أفضِّل أن أكون عبدًا على أن أكون جثة». ثم وقف منتصبًا ونظر إلى البحر، وقد بدت عليه الحيرة.

لقد صار رينسويند مختلفًا بعض الشيء عن رينسويند الذي هرب من حريق عنخ-موربورك قبل ستة أشهر. ازدادتْ ندوبه، وازدادتْ أسفاره. زار الهابلاندز، واكتشف العادات المثيرة للعديد من الشعوب الملونة –وأصيب بمزيد من الندوب بسببها– حتى إنه أبحر أيامًا لا تُنسى في المحيط الجاف الأسطوري في قلب الصحراء شديدة الجفاف المعروفة باسم النيف الكُبرى. ورأى جبالًا من الجليد العائم في بحر أكثر برودة ورطوبة. وامتطى صهوة تنين خيالي. وكاد يلفظ التعويذة الأقوى على سطح القرص. لقد...

هناك بالتأكيد مسافة من الأفق أقل مما ينبغي أن تكون، فقال رينسويند: «همم؟».

فأجابه توفلاور: «قلتَ لا شيءَ أسوأ من العبودية». ثم فتح فمه في دهشة عندما ألقى الساحر دلوه بعيدًا في البحر، وجلس متثاقلًا على سطح السفينة المُبلل بالماء، واليأس واضح على وجهه.

قال توفلاور بنبرة لطيفة: «انظر، أنا آسف لأنني وجَّهت السفينة إلى الشعاب المرجانية، لكنَّ هذه السفينة لا تبدو كأنها تريد الغرق، وعلى الأرجح سنصل إلى اليابسة عاجلًا أم آجلًا. هذا التيار يجب أن يذهب إلى مكان ما».

قال رينسويند بنبرة باردة: «انظر إلى الأفق»، فضيَّق توفلاور عينيه، ثم قال بعد مدة: «يبدو جيدًا. يبدو أنه أقل من المعتاد طبعًا، لكن...».

قال رينسويند: «هذا بسبب الجافة. سيحملنا التيار إلى حافة العالم».

ساد صمت طويل، كسرته فقط حركة الأمواج، فيما تدور السفينة الغارقة ببطء في التيار. كان التيار قويًّا فعلًا.

أضاف رينسويند: «هذا ربما سبب اصطدامنا بتلك الشعاب المرجانية. لقد ابتعدنا عن المسار خلال الليل».

سأله توفلاور: «أترغب في تناول شيء ما؟»، وبدأ يبحث في الحُزْمة التي ربطها في سور السفينة بعيدًا عن الرطوبة.

صرخ رينسويند بغضب: «ألا تفهم؟ سنسقط من الحافة، اللعنة!».

- ألا يمكننا فعل شيء حيال ذلك؟

- لا!

قال توفلاور بهدوء: «إذن، لا أرى أي فائدة من الذعر».

صاح رينسويند شاكيًا نحو السماء: «كنت أعلم أنه لم يكن ينبغي لنا أن نقطع كل هذه المسافة نحو الحافة. أتمنى لو...».

قال توفلاور: «أتمنى لو كان بحوذتي صندوق الصور الخاص بي. لكنه على سفينة العبيد تلك، مع بقية صندوق الأمتعة و...».

قال رينسويند: «لن تحتاج إلى صندوق الأمتعة حيث نحن ذاهبون». ثم مال ونظر عابسًا إلى حوت بعيد ضلَّ الطريق برعونة نحو التيار المحاذي للحافة، ليقاومه الآن بشدة.

كان هناك خط أبيض على الأفق المبتور، واعتقد الساحر أن بإمكانه سماع هدير بعيد.

قال توفلاور: «ماذا يحدث بعد أن تسقط السفينة من حافة العالم؟».

- لا أحد يعلم.

- حسنًا، في هذه الحالة ربما سنبحر خلال الفضاء، ونهبط على عالم آخر.

ثم ظهرت نظرة بعيدة في عيني الرجل الصغير وقال: «أود ذلك»، فتذمَّر رينسويند.

ارتفعت الشمس في السماء، وبدت أكبر بشكل ملحوظ في هذا الموضع القريب من الحافة. وقفا وظهراهما عكس اتجاه الصارية، وقد شُغِلَا بأفكارهما الخاصة. بين الحين والآخر، كان أحدهما يلتقط دلوًا وينزح قليلًا من الماء بعشوائية، دون سبب ذكيٍّ حقيقيٍّ.

بدا البحر من حولهما كأنه يزدحم. لاحظ رينسويند عدة جذوع أشجار تحافظ على مسارها معهم، وتحت السطح امتلأت المياه بالأسماك من كل الأنواع. طبعًا، لا بُدَّ أن التيار مملوء بالطعام القادم من القارات القريبة من المركز. تساءل عن تلك الحياة التي تُضطَرُّ فيها إلى السباحة طوال الوقت للبقاء في المكان نفسه بالضبط. وجد أنها مشابهة لحياته

إلى حد كبير. رأى ضفدعًا أخضر صغيرًا يسبح بشدة ضد قبضة التيار الذي لا يرحم. دُهِشَ توفلاور عندما عثر رينسويند على مجداف، ومدَّه بعناية نحو البرمائي الصغير الذي تسلق عليه شاكرًا. بعد لحظة، ظهر فكَّان اخترقا الماء، محاولًا عض موضع سباحة الضفدع.

نظر الضفدع إلى رينسويند من بين كفيه، ثم عضه على إبهامه. ضحك توفلاور، فخبأ رينسويند الضفدع في جيبه، وتظاهر بأنه لم يسمعْ شيئًا.

قال توفلاور: «كل هذا إنساني جدًّا، لكنْ لماذا؟ سيعود كل شيء كما هو خلال ساعة».

قال رينسويند بغموض وهو ينزح الماء: «لأن...». تناثر الرذاذ إلى أعلى الآن، وصار التيار قويًّا لدرجة أن الأمواج تشكَّلت وانكسرت من حولهم. بدا كل شيء دافئًا بشكل غير طبيعي، مع وجود ضباب ذهبي ساخن على البحر.

اشتدَّ الهدير الآن. ظهر حبَّار أكبر من أي شيء رآه رينسويند من قبل، كاسرًا السطح على بعد مئات الأمتار، ليضرب بأذرعه بجنون قبل أن يغوص مرة أخرى. ووسط الضباب، زأر شيء آخر كبير، لم يكن واضحًا من حسن الحظ. انطلق سرب كامل من الأسماك الطائرة في سحابة من القطرات الملونة بقوس ألوان الطيف، وتمكَّنوا من قطع بضعة أمتار قبل أن يسقطوا مرة أخرى وينجرفوا في دُوَّامة.

كانوا ينفذون من العالم. أسقط رينسويند دلوه وأمسك بالصاري، فيما تتسابق نحوهم النهاية الهادرة لكل شيء.

قال توفلاور، وقد تأرجح بين السقوط والغوص نحو المقدمة: «يجب أن أرى هذا».

ضرب الهيكلَ شيءٌ صلبٌ عنيدٌ، فدار باتجاه تسعين درجة، وأصبح موازيًا للعائق الخفي. ثم توقف فجأة وانهمرت موجة من رغوة البحر الباردة على السطح، حتى إن رينسويند انغمر تحت عدة أقدام من المياه الخضراء المغلية بضعَ ثوانٍ. بدأ في الصراخ، ثم صار عالم تحت الماء ذا لون أرجواني عميق كفِقدان الوعي، لأنه في هذه اللحظة بدأ رينسويند بالغرق.

استيقظ رينسويند وفمه مملوء بالسائل الحار، وعندما ابتلعه، استيقظ مستعيدًا وعيه الكامل نتيجة ألم احتراق حلقه.

ضغطتْ ألواح القارب على ظهره، فيما نظر توفلاور إليه بقلق شديد، فتنهَّد رينسويند وجلس.

اتضح أن هذا كان خطأً. فحافة العالم كانت على بُعد بضع أقدام. ووراءها، على مستوى أقل بقليل من حافة الهاوية اللامتناهية، كان هناك شيء سحري بكل معنى الكلمة.

على بعد سبعين ميلًا، وخارج قوة جذب تيار الحافة، مَرْكَب شراعي ذو أشرعة حمراء مميزة لتاجر رقيق مُستقلٍّ انجرف بلا هدف خلال الشفق المخملي. تجمع الطاقم –أولئك الذين بقوْا منهم– على سطح المقدمة، ليحيطوا بالرجال الذين كانوا يعملون بجهد على الطوف.

كان القبطان رجلًا ضخم البنية يرتدي العمامات النمطية لقبائل نيف الكُبرى، خاض تجارب كثيرة ورأى العديد من الشعوب الغريبة والأشياء العجيبة، فاستعبد الكثير منها أو سرقها لاحقًا. بدأ مسيرته

بحارًا على المحيط الجاف في قلب أكثر صحاري القرص جفافًا. (الماء على القرص له حالة رابعة غير مألوفة، ناجمة عن الحرارة الشديدة مجتمعة مع تأثيرات التجفيف الغريبة لضوء الأوكتارين: فيتجفف، تاركًا وراءه بقايا فضية تشبه الرمال الحرة التي يمكن أن ينزلق عليها بسهولة هيكل سفينة مُصمم جيدًا. المحيط الجاف مكان غريب، لكنه ليس غريبًا مثل أسماكه). لم يشعر القبطان بالخوف الحقيقي من قبل. الآن كان مرعوبًا.

فهمس إلى المساعد الأول: «لا أسمع شيئًا».

ألقى المساعد نظرة متفحصة نحو الظلام، ثم قال مُقترحًا بلهجة أمل: «ربما سقط في البحر؟». وكأنه ردَّ على سؤاله، سمعا صوت طرق عنيف من طابق المجذاف تحت أقدامهم، وصوت تحطم الخشب، فتجمَّع أفراد الطاقم بخوف، ملوِّحين بالفؤوس والمشاعل.

ربما لم تكن لديهم الجرأة لاستخدامها، حتى لو اندفع الوحش نحوهم. وقبل أن يفهموا طبيعته الرهيبة بوضوح، هاجمه عدة رجال بالفؤوس، عندها انحرف عن بحثه المتواصل في السفينة إما لمطاردتهم فوق سطح الماء وإما رُبما لأكلهم؟ لم يكنِ القبطان متأكدًا تمامًا. بدا ذلك الشيء كصندوق بحري خشبي عادي. ربما أكبر قليلًا من المعتاد، لكنْ ليس بشكل يثير الشك. لكنه، في بعض الأحيان، بدا كأنه يحتوي على أشياء مثل الجوارب القديمة والأمتعة المتنوعة، وفي أحيان أخرى -ارتجف القبطان جراء ذلك- بدا كأنه، بدا كأن لديه... حاول ألا يفكر في الأمر. فالرجال الذين غرقوا في البحر ربما كانوا أكثر حظًّا من أولئك الذين أمسك بهم. حاول ألا يفكر في الأمر. كانت هناك أسنان، أسنان بيضاء مثل شواهد القبور الخشبية، ولسان أحمر كالماهوجني...

حاول ألا يفكر في الأمر. فلم يصلحْ ذلك.

لكنه فكر بمرارة في شيء واحد. هذه ستكون آخر مرة ينقذ فيها رجالًا غرقى غير ممتنين في ظروف غامضة. العبودية أفضل من القروش، أليس كذلك؟ ثم هربا وعندما استكشف بحَّارته الصندوق الكبير -كيف ظهرا في وسط محيط هادئ جالسيْن على صندوق كبير، على أي حال؟- من الأفضل أن... حاول ألا يفكر في الأمر مرة أخرى، لكنه وجد نفسه يتساءل عما سيحدث عندما يدرك ذلك الشيء الملعون أن مالكه لم يعدْ على متن السفينة بعد الآن...

قال المساعد الأول: «الطوف جاهز يا سيدي».

صرخ القبطان: «اقفزوا إليه في الماء، اركبوا! وأشعلوا النار في السفينة!».

فكَّر القبطان بفلسفة أنه على العموم ليس من الصعب أن تأتي إليهم سفينة أخرى، لكن قد ينتظر المرء طويلًا في ذلك الفردوس الذي يروِّج له الملالي قبل أن يُمنَح حياة أخرى. فليأكل الصندوقَ السحريَّ سلطعونُ البحر.

حقق بعض القراصنة الخلود من خلال أعمال عظيمة اتسمت بالقسوة أو الجرأة. والبعض الآخر حققه من خلال جمع ثروات هائلة. لكنْ قرر القبطان منذ زمن بعيد أنه يُفضِّل، عامةً، تحقيق الخلود بعدم الموت.

تساءل رينسويند: «ما هذا بحق الجحيم؟».

فقال توفلاور ببهجة: «إنه جميل».

أجابه الساحر: «سأقرر إذا ما كان جميلًا عندما أعرف ما هو».

قال صوت من خلف أذنه اليسرى مباشرةً: «إنه قوس الحافة، وأنت محظوظ جدًّا لرؤيته. على الأقل من الأعلى».

كان الصوت مصحوبًا بنفحة من النفس البارد ذي رائحة السمك، فتسمَّر رينسويند في موضعه وقال: «توفلاور؟».

- نعم؟

- إذا استدرتَ، ماذا سأرى؟

شرح توفلاور قائلًا: «اسمه تيثيس. يقول إنه ترول بحري. هذا قاربه. لقد أنقذنا. هل ستنظر الآن؟».

قال رينسويند بهدوء هشٍّ كالزجاج: «ليس في الوقت الحالي، شكرًا. إذن لماذا لا نتجه نحو الحافة؟».

«لأن قاربكما اصطدم بالسياج المحيط»، قالها الصوت من خلفه بنغمات جعلت رينسويند يتخيل الخنادق تحت البحر، وأشياءَ كامنةً في الشعاب المرجانية.

تساءل رينسويند مُكررًا: «السياج المحيط؟».

قال الترول من خلفه: «أجل. يمتد على طول حافة العالم»، ظنَّ رينسويند أن بإمكانه تمييز صوت المجاديف فوق هدير الشلال. تمنى لو أنها ضربات مجاديف حقًّا.

قال رينسويند: «آه. تقصد المحيط. المحيط هو حافة الأشياء».

قال الترول: «وكذلك السياج المحيط».

قال توفلاور مُشيرًا إلى الأسفل: «يقصد هذا». فتبعت عينا رينسويند إصبع توفلاور، متوجسًا مما قد يرى...

في اتجاه محور السفينة، كان هناك حبل مُعلَّق على ارتفاع بضع أقدام فوق سطح الماء الأبيض. ارتبطت به السفينة، في وضع الإرساء ولكنها متحركة كذلك، من خلال ترتيب معقد من البكرات والعجلات الخشبية الصغيرة. كانت تجري على طول الحبل والترول غير المرئي يدفع القارب على أطراف الحافة. هكذا انكشف سر أحد الألغاز، لكنْ ما الذي كان يدعم الحبل؟

حملق رينسويند إلى طوله فرأى عمودًا خشبيًّا قويًّا يبرز من الماء على بعد بضعة أمتار أمامهم. في أثناء مراقبته لدنو القارب من العمود ثم تجاوزه، قرقعت العجلات الصغيرة حوله بشكل مرتب في شق محفور لهذا الغرض.

لاحظ رينسويند أيضًا أن حبالًا أصغر كانت تتدلى من الحبل الرئيسي على مسافات متباعدة قرابة المتر، فعاد بنظره إلى توفلاور وقال: «أستطيع أن أرى ما هو، لكن ما هو؟».

هز توفلاور كتفيه، وقال تيثيس من خلف رينسويند: «بيتي أمامنا هناك. سنتحدث أكثر عندما نصل إليه. الآن يجب أن أجدِّف».

اكتشف رينسويند أن النظر إلى الأمام يعني أنه سيُضطَرُّ إلى الالتفات ومعرفة كيف يبدو ترول البحر، ولم يكنْ متأكدًا أنه يريد فعل ذلك بعد. فنظر إلى قوس الحافة بدلًا من ذلك.

لاح قوس الحافة خلال الضباب على مسافة بضعة أمتار وراء حافة العالم، إذ يظهر فقط في الصباح والمساء عندما تسطع شمس القرص الصغيرة المعلقة من خلف الكتلة الضخمة للسلحفاة العظيمة آتوين، وتضرب الحقل السحري للقرص بزاوية مُحددة تمامًا.

ظهر قوس ألوان طيف مزدوج متلألئ. فلمعتْ وتراقصتِ الألوان السبعة الأقل بالقرب من حافة السقوط، خلال رذاذ البحار المحتضرة.

ولكنها كانت باهتة مقارنة بالشريط الأوسع الذي يطفو خلفها، دون أن يتشارك في الطيف نفسه.

كان اللون الملك، الذي كانت كل الألوان الأخرى مجرد انعكاسات جزئية واهية له. كان لون الأوكتارين، لون السحر. كان حيًّا ومتوهِّجًا ونابضًا بالحياة، هو اللون الذي لا يُضاهى في الخيال، لأنه أينما ظهر كان علامة على أن المادة البسيطة في خدمة قوى العقل السحري. هو السحر بنفسه.

لكن ظنَّ رينسويند دائمًا أنه يبدو أشبه باللون البنفسجي المائل إلى الأخضر.

بعد مدة، تحولت نقطة صغيرة على حافة العالم إلى صخرة أو جزيرة صغيرة، تطفو بشكل خطِر بحيث كانت مياه الشلال تتدفق حولها عند بداية سقوطها الطويل. بُني عليها كوخ مصنوع من الخشب الطافي، ورأى رينسويند أن الحبل العلوي للسياج المحيط يتسلق فوق الجزيرة الصخرية على عدد من الأوتاد الحديدية، ويمُرُّ فعليًّا خلال الكوخ من خلال نافذة صغيرة مستديرة. علم لاحقًا أن ذلك كان ليتمكن الترول من التنبه عند وصول أي حطام على امتداد السياج المحيط الخاص به، من خلال سلسلة من الأجراس البرونزية الصغيرة، المتوازنة برقة على الحبل.

بُني حصن عائم بدائي من الخشب الخام على جانب الجزيرة المقابل للمحور. احتوى الحصن على هيكل أو اثنين وبعض الخشب العائم

بكميات كبيرة على شكل ألواح وعوارض وحتى جذوع أشجار كاملة طبيعية، بعضها لا يزال يحمل أوراقًا خضراء. من ذلك الموضع القريب للغاية من الحافة، كان الحقل السحري للقرص شديد الكثافة لدرجة أن هالة ضبابية تلألأت على كل شيء حيث تفجرت الأوهام الخام تلقائيًا.

مع بعض الاهتزازات الأخيرة، انزلق القارب تجاه رصيف صغير مصنوع من الخشب الطافي. عندما استقر القارب وأتم دائرته، شعر رينسويند بكل الأحاسيس المألوفة لهالة سحرية ضخمة، طعم زيتي سُكَّري، ورائحة تشبه القصدير. وتسلل من حولهم السحر النقي غير الموجه إلى العالم بصمت.

تسلَّق الساحر وتوفلاور على الألواح الخشبية، ولأول مرة، رأى رينسويند الترول. لم يكن مروِّعًا بقدر نصف ما تخيله، فاكتفى بهمهمة داخلية بعد هنيهة.

لم يكنِ الترول مرعبًا. فبدلًا من الوحش المتعفن المملوء بالمجسات الذي توقَّعه، وجد رينسويند نفسه ينظر إلى شيخ قصير لكنه ليس قبيحًا بشكل خاص، إذ يسهل اعتباره رجلًا عاديًّا في أي شارع في المدينة، بشرط أن يكون الأشخاص الآخرون في الشارع معتادين رؤية شيوخ أجسادهم مكونة من الماء وعناصر قليلة أخرى. بدا الترول كأنَّ المحيط قرر أن يخلق الحياة دون المرور بكل تلك الأمور المملة الخاصة بالتطور، وشكَّل جزءًا منه في هيئة جسم ذي قدمين، وأرسله يمشي على الشاطئ بخطواته المائية. تلوَّن الترول بلون أزرق شفاف ولطيف. وبينما كان رينسويند يحدق إليه، عبرتْ مجموعة صغيرة من الأسماك الفضية في صدره.

انفتح فم الترول بموجة صغيرة من الرغوة قائلًا: «من الوقاحة أن تحدق هكذا»، وأغلقه مرة أخرى بالطريقة نفسها التي ينغلق بها الماء حول حجر.

قال رينسويند: «حقًّا؟ لماذا؟». فيما يصرخ عقله بالسؤال: كيف يحافظ على تماسكه؟ لماذا لا يسيل؟

قال الترول بجدية: «إذا اتبعتماني إلى منزلي، فسأوفر لكما طعامًا وملابس جافة». وبدأ السير فوق الصخور دون أن يلتفت ليرى أكانا سيتبعانه. ففي النهاية، إلى أين يمكنهما الذَّهَاب؟ اقترب ظلام الليل، فهبَّت نسمة باردة ورطبة على حافة العالم. وبدأ قوس الحافة في التلاشي فعلًا، وكاد الضباب فوق الشلال يختفي.

قال رينسويند وهو يمسك بمرفق توفلاور: «هيَّا».

لكنَّ السائح لم يبدُ أنه يرغب في التحرك، فكرر الساحر: «هيَّا».

سأله توفلاور، مُحدقًا إلى السحب المتحركة: «عندما يحل الظلام حقًّا، هل تعتقد أننا سنتمكن من النظر إلى الأسفل ورؤية آتوين العظيم، سلحفاة العالم؟».

قال رينسويند: «آمل ألا نراه، آمل ذلك حقًّا. هل يمكننا الذَّهَاب الآن؟».

تبع توفلاور الساحر بتردد إلى الكوخ. أشعل الترول مصباحيْن وجلس براحة على كرسي هزاز. ثم نهض عندما دخلا وصبَّ كوبين من سائل أخضر من إبريق طويل. في الضوء الخافت، بدا كأنه يتوهج بالفوسفور، كالبحار الدافئة في ليالي الصيف المخملية. ولكي يضيف لمسة باروكية إلى رعب رينسويند الباهت، بدا كأنه أطول ببضع بوصات أيضًا.

بدا معظم الأثاث في الغرفة كأنه صناديق، فقال رينسويند: «آه. لديك مكان رائع هنا. أصيل».

أخذ كوبًا ونظر إلى المياه الخضراء اللامعة بداخله، فقال في ذهنه: «من الأفضل أن يكون قابلًا للشرب، لأنني سأشربه». ثم ابتلعه.

كانت المادة نفسها التي أعطاها إياه توفلاور في القارب، لكنْ في ذلك الوقت، تجاهلها عقله بسبب أمور أكثر إلحاحًا. الآن لديه الوقت الكافي لتذوُّق الطعم.

تلوَّى فم رينسويند، وأصدر أنينًا قصيرًا، ثم ارتفعت إحدى ساقيه لا إراديًّا وضربته ضربة مؤلمة في صدره.

دوَّر توفلاور مشروبه الخاص فيما كان يفكر في النكهة، وقال: «مشروب الوادي الشاحب. مشروب نبات الفولنت المخمر المُقطَّر بالتجميد في بلدي. به نوع مميز من الجودة الدخانية. من المزارع الغربية في، آه، مقاطعة ريهيجريد، أليس كذلك؟ بناءً على اللون، أعتقد أنه من حصاد العام المقبل. أيمكنني أن أسألك كيف حصلت عليه؟».

(النباتات على القرص، تشمل الفئات المعروفة عادةً باسم الحوليات، التي تُزرع هذا العام لتظهر لاحقًا هذا العام، والنباتات الثنائية الحول، التي تُزرَع هذا العام لتنمو في العام المقبل، والنباتات المُعمِّرة، التي تُزرع هذا العام لتنمو حتى إشعار آخر، تشمل أيضًا بعض الأنواع النادرة من النباتات المعروفة باسم الحوليات العائدة، وذلك بسبب التواء غير مُعتادللأبعاد الأربعة في جيناتها، يمكن زراعتها هذا العام لتنمو في العام الماضي. كانت نباتات الفولنت استثنائية بشكل خاص في ذلك الأمر، لأنها قادرة على أن تزدهر حتى ثماني سنوات قبل أن تُزرع بذورها فعليًّا. وكان يُقال إن نبيذ نبات الفولنت يعطي بعض الشاربين

نظرة ثاقبة إلى المستقبل الذي، من وجهة نظر النبات، هو الماضي. أمر غريب لكنْ حقيقي).

قال الترول، وهو يهز كرسيه برفق: «كل الأشياء تنجرف إلى السياج المحيط بمرور الوقت. عملي هو استعادة الحطام. الخشب، طبعًا، والسفن. براميل النبيذ. بالات النسيج. أنتم».

أضاءت فكرة داخل رأس رينسويند، فقال: «إنها شبكة، أليس كذلك؟ لديك شبكة على حافة البحر مباشرةً!».

أومأ الترول قائلًا: «السياج المُحيط». بينما مرَّت أمواج داخل صدره.

نظر رينسويند إلى الظلام الفسفوري المُحيط بالجزيرة وابتسم بسخافة.

قال: «طبعًا. مذهل! يمكنك غرس الأوتاد وربطها بالشعاب المرجانية و-يا إلهي!- يجب أن تكون الشبكة قوية جدًّا».

قال تيثيس: «هي كذلك».

قال الساحر: «يمكن تمديدها بضعة أميال إذا وجدت ما يكفي من الصخور والأشياء».

قال تيثيس: «عشرات الآلاف من الأميال. أنا أراقب هذا الفرسخ فقط».

قال رينسويند: «هذا يعادل ثلث الطريق حول القرص!»

اهتز تيثيس قليلًا وهو يهز رأسه مرة أخرى. فيما كان الرجلان يشربان بعض النبيذ الأخضر، أخبرهما بالسياج المُحيط، والجهد الكبير الذي بُذِلَ لبنائه، ومملكة كرول القديمة الحكيمة التي أنشأته قبل عدة قرون، والقوات البحرية السبع التي دارت دوريات مستمرة عليه لصيانته وإحضار الحطام إلى كرول، وكيف أصبحتْ كرول أرضًا للراحة يحكمها

أكثر الباحثين عن المعرفة علمًا، وكيف يسعون باستمرار لفهم كل تفاصيل التعقيد العجيب للكون، وكيف يتحول البحارة الذين انقطعت بهم السبل في السياج المحيط إلى عبيد، وعادةً ما تُقطع ألسنتهم. بعد بعض التدخلات في هذه النقطة، تحدث تيثيس بطريقة ودية عن عبثية القوة، واستحالة الهروب من الجزيرة إلا بالقارب إلى إحدى الجزر الأخرى الثلاثمئة والثمانين الواقعة بين الجزيرة وكرول نفسها، أو بالقفز فوق الحافة، وعن القيمة العالية للصمت بالمقارنة مع، مثلًا، الموت.

بعدها توقف قليلًا، وزاد هدير الليل المكتوم لحافة العالم من كثافة الصمت. ثم بدأ الكرسي الهزاز في الصرير مرة أخرى. بدا أن تيثيس قد نما بشكل مقلق خلال كلامه.

قال: «ليس هناك أي شيء شخصي في كل هذا. أنا أيضًا عبد. إذا حاولتَ التغلب عليَّ، فسأضطر إلى قتلكَ طبعًا، لكنني لن أستمتع بذلك بشكل خاص».

نظر رينسويند إلى قبضتيِ الترول المتلألئتين اللتين استقرتا بخفة على فخذيه، فساوره الشكُّ في أنهما قد يضربان بكل قوة تسونامي.

قال توفلاور مُفسِّرًا: «لا أظن أنك فهمتنا. أنا مواطن من الإمبراطورية الذهبية. أنا متأكد من أن كرول لن ترغب في إثارة استياء الإمبراطور».

سأله الترول: «وكيف سيعرف الإمبراطور؟ أتظن أنك أول شخص من الإمبراطورية ينتهي به الأمر على السياج المحيط؟».

صرخ رينسويند: «لن أكون عبدًا! سأقفز من الحافة قبل ذلك!». فذُهِلَ من نبرة صوته.

سأله الترول: «حقًّا؟». فجأة ارتدَّ الكرسي الهزاز إلى الخلف، وامتدتْ ذراع زرقاء أمسكت بالساحر من خصره. وبعدها بلحظة، اتجه الترول خارج الكوخ ممسكًا برينسويند بلا مبالاة في قبضته.

لم يتوقف إلى أن وصل إلى طرف الجزيرة المواجه للحافة، فصاح رينسويند.

قال الترول بغضب: «توقف عن ذلك وإلا سأرميك فعلًا. أنا أمسك بك، أليس كذلك؟ انظر».

نظر رينسويند.

رأى أمامه ليلًا أسودَ هادئًا تُضيء فيه النجوم المحتجبة بالضباب في سلام. لكنِ اتجهت عيناه إلى الأسفل، إذ جذبهما نوع من الفتنة التي لا تقاوم.

كان منتصف الليل على القرص ومن ثَمَّ كانت الشمس بعيدة جدًّا في الأسفل، تتأرجح ببطء تحت صَدَفة آتوين العظيمة الثلجية. حاول رينسويند لآخر مرة أن يُثبِّتَ نظره على أطراف حذائه الذي برز فوق حافة الصخرة، لكن أجبره الانحدار الشديد على الابتعاد.

على جانبيه هَوَتْ ستارتان متلألئتان من الماء نحو اللانهاية بينما أحاط البحر بالجزيرة في طريقها للشلال الطويل. على بعد مئة متر أسفل الساحر، قفز أكبر سمك سلمون بحري قد رآه على الإطلاق من الرغوة في قفزة وحشية مضطربة بلا أمل. ثم سقط مرة أخرى، مرة تلو الأخرى، في ضوء العالم السفلي الذهبي.

نمت ظلال ضخمة من ذلك الضوء كأعمدة تدعم سقف الكون. وعلى بُعد مئات الأميال تحته، رأى الساحر شكلَ شيء ما، حافة شيء ما...

مثل تلك الصور الغريبة حيث يتحول الشكل الخارجي إلى كأس مزخرفة فجأة إلى حدود وجهين بشريين، انقلب المشهد تحته إلى منظور جديد مروِّع. لأن ما كان بالأسفل هو رأس فيل بحجم قارة ضخمة. وبرز ناب ضخم مثل الجبل أمام الضوء الذهبي، ليلقي بظلٍّ توسَّع نحو النجوم. كان الرأس مائلًا قليلًا، بعين ياقوتية ضخمة ربما كادت تكون نجمة حمراء عملاقة، استطاعتْ أن تسطع في وضح النهار.

أسفل الفيل...

ابتلع رينسويند غصةَ حلقه، وحاول ألا يفكر...

أسفل الفيل لم يكن هناك شيء سوى قرص الشمس البعيد المؤلم للأعين. مرَّ شيء بطيء بجانبه، كان ذلك الشيء، رغم حجمه الذي يعادل حجم مدينة، ورغم وجود القشور والحفر والشقوق القمرية عليه، كان زعنفة بلا أي شك.

قال الترول مُقترحًا: «هل أتركك؟».

أجابه رينسويند مُتراجعًا بجسده إلى الخلف: «كلا!».

قال تيثيس بصوت عميق: «لقد عِشتُ هنا على الحافة خمسَ سنوات، ولم أملكِ الشجاعة لفعل ذلك. وأظن أنك لن تملكها أنت أيضًا». ثم تراجع، وهذا ما أتاح لرينسويند أن يرتميَ على الأرض.

تقدم توفلاور نحو الحافة ونظر إلى الأسفل، ثم قال: «رائع. كم أتمنى لو كان لديَّ صندوق الصور الخاص بي... ماذا يوجد في الأسفل أيضًا؟ أعني، إذا قفزتَ، ماذا سترى؟».

جلس تيثيس على نتوء صخري. خرج القمر عاليًا من خلف سحابة فوق القرص، وهذا ما جعله يبدو كأنه جليد.

قال ببطء: «موطني هناك في الأسفل، ربما، وراء أفيالكم السخيفة وذلك الغيلم الغبي. عالم حقيقي. أحيانًا أخرج هنا وأتأمل، لكني لا أستطيع أبدًا أن أجد الشجاعة لأخذ تلك الخطوة الإضافية... عالم حقيقي، وأناس حقيقيون. لديَّ زوجات وأطفال صغار، في مكان ما هناك في الأسفل...». ثم توقف ونفخ أنفه ليكمل: «سرعان ما تُدرِك حقيقتك، هنا على الحافة!».

قال رينسويند متأوهًا: «توقَّف عن قول ذلك، من فضلك». ثم استدار ورأى توفلاور واقفًا بلا مبالاة عند حافة الصخرة، فقال: «تبًّا»، وحاول أن يحفر في الحجر.

قال توفلاور: «هُناك عالم آخر بالأسفل؟». ونظر نحو الأسفل قائلًا: «أين، بالضبط؟».

أشار الترول بيده بغموض وقال: «في مكان ما، هذا كل ما أعرفه. كان عالمًا صغيرًا إلى حد ما. معظمه أزرق».

قال توفلاور: «إذن لماذا أنت هنا؟».

صاح الترول: «أليس الأمر واضحًا؟ لقد سقطتُ من الحافة!».

حدَّثهما تيثيس عن عالم باثيس، في مكان ما بين النجوم، حيث بنى أهل البحر عددًا من الحضارات المزدهرة في المحيطات الثلاثة الكبيرة الممتدة خلال القرص. كان يعمل جزَّارًا، وهو جزء من الطبقة التي تكسَّبت لقمة العيش بشكل خطِر في اليخوت الأرضية الكبيرة التي تعمل بالشراع، والتي تبحر بعيدًا إلى اليابسة وتصطاد قطعانَ الغزلان والجاموس الموجودة بكثرة في القارات الملأى بالعواصف. كان يخته الخاص قد أطاحت به عاصفة شديدة إلى أراضٍ مجهولة. أخذ بقية الطاقم العربة الصغيرة ذات المجاديف وانطلقوا نحو بحيرة بعيدة،

لكنَّ تيثيس، بصفته قائد السفينة، اختار البقاء مع سفينته. فحملتها العاصفة فوق حافة العالم الصخرية، محطمة إياها إلى قطع صغيرة.

قال تيثيس: «في البداية سقطتُ، لكن كما تعلم، فالسقوط ليس سيئًا. الاصطدام وحده هو ما يؤلم، ولم يكن هناك شيء أسفل مني. بينما كنتُ أسقط، رأيت العالم يدور في الفضاء، إلى أن اختفى بين النجوم».

قال توفلاور بشوق، ناظرًا نحو الكون الضبابي: «ماذا حدث بعد ذلك؟».

قال تيثيس ببساطة: «تجمدتُ بالكامل، من حسن الحظ، هذا شيء يمكن لجنسنا النجاة منه. لكنني كنت أذوب أحيانًا عندما أمر بجانب عوالم أخرى. كان هناك عالم واحد، أعتقد أنه ما ظننتُ أن حلقته الجبلية الغريبة حوله كانت أكبر تنين يمكنك تخيله، مُغطًّى بالثلوج والأنهار الجليدية ويمسك ذيله في فمه... حسنًا، اقتربتُ منه ببضعة فراسخ، وطِرتُ فوق أراضيه مثل مذنَّب فعلًا، ثم انطلقتُ مرة أخرى. بعدها جاء وقت استيقظتُ فيه وكان عالمكَ قادمًا نحوي مثل فطيرة كاسترد قد ألقاها الخالق، حسنًا، هبطتُ في البحر بموضع ليس ببعيدٍ عن سياج الجانب المعاكس للشمس من كرول. تُجرَف جميع أنواع المخلوقات إلى السياج، وفي ذلك الوقت كانوا يبحثون عن عبيد لإدارة محطات الطريق، فانتهى بي الأمر هنا». توقف تيثيس ونظر بتركيز إلى رينسويند، ثم أنهى حديثه قائلًا: «كل ليلة أخرج هنا وأنظر إلى الأسفل، ولم أقفز قطُّ. الشجاعة أمر صعب المنال هنا على الحافة».

بدأ رينسويند يزحف بعزم نحو الكوخ. أطلق صرخة صغيرة عندما التقطه الترول، لكنْ ليس بقسوة، وأوقفه على قدميه.

قال توفلاور: «مُدهِش». ثم أمال نفسه أكثر فوق الحافة وقال: «هناك الكثير من العوالم الأخرى بالخارج؟».

قال الترول: «عدد لا بأس به، حسبما أظن».

قال توفلاور مُتأملًا: «أفترض أنه يمكن اختراع نوع من، لا أعرف، شيء ما يمكن أن يحافظ على المرء من البرد. شيء ما يشبه السفينة التي يمكن أن يبحر بها المرء فوق الحافة، ويبحر إلى عوالم بعيدة أيضًا. ربما...».

تأوَّه رينسويند وقال: «لا تفكر حتى في ذلك! توقف عن الحديث بهذه الطريقة، أتسمعني؟».

قال تيثيس: «الجميع يتحدث هكذا في كرول. أولئك الذين لديهم ألسنة، طبعًا».

«هل أنت مستيقظ؟».

تعالى غطيط توفلاور في نومه، فوخزه رينسويند بقوة في أضلاعه، وزمجر قائلًا: «قُلت، هل أنت مستيقظ؟».

- سكردفنج...

- علينا أن نخرج من هنا قبل أن يأتي أسطول الإنقاذ هذا!

تسلل ضوء الفجر الرمادي خلال النافذة الوحيدة للكوخ، وانسكب خلال أكوام الصناديق والبضائع المسترجعة المتناثرة بأرجاء الكوخ الداخلية. تأوه توفلاور مرة أخرى، وحاول التنقيب في كومة الفرو والبطانيات التي أعطاها لهما تيثيس.

قال رينسويند: «انظر، يوجد جميع أنواع الأسلحة والأشياء هنا، لقد خرج إلى مكان ما. عندما يعود يمكننا التغلب عليه و... و... حسنًا، ثم يمكننا التفكير في شيء ما. ما رأيك؟»

قال توفلاور: «هذا لا يبدو كفكرة جيدة جدًّا. على أي حال، ألا يعتبر ذلك قلة ذوق نوعًا ما؟».

صاح رينسويند: «كُن قاسيًا. هذا عالم قاسٍ».

بدأ رينسويند ينبش بين الأكوام الملقاة بجانب الجدران، واختار سيفًا ثقيلًا ذا شفرة متموجة بدا أنه كان مصدر فخر وسعادة أحد القراصنة. كسلاح يعتمد بقدر كبير على وزنه كما يعتمد على حدته لإحداث الأذى، فرفعه بشكل محرج.

تساءل توفلاور بصوت عالٍ: «هل كان ليترك مثل هذا الشيء هنا إذا كان يمكن أن يؤذيه؟».

تجاهله رينسويند واتخذ موضعًا بجانب الباب. عندما انفتح الباب بعد عشر دقائق تحرك رينسويند دون تردد، مُلوِّحًا بالسيف خلال الفتحة على الارتفاع الذي حسبه ارتفاع رأس الترول. مرَّ السيف دون أي ضرر خلال لا شيء على الإطلاق واصطدم بإطار الباب، فسقط رينسويند أرضًا.

سمع رينسويند فوقه صوت تنهيدة، فنظر إلى وجه تيثيس الذي هزَّ رأسه بحزن من جانب إلى آخر، وقال: «لم يكنْ ليؤذيني ذلك. لكنْ على الرغم من ذلك أنا مجروح. مجروح بشدة». ثم مدَّ يده فوق الساحر وجذب السيف من الخشب. ثم ثنى نصله إلى شكل دائري دون أي جهد واضح، وألقى به ليتدحرج فوق الصخور حتى ضرب حجرًا وارتدَّ، واستمر بالدوران في الهواء، راسمًا شكل قوس فضي انتهى في الضباب المتشكل فوق شلال الحافة.

وقال مُختتمًا كلامه: «مجروح بشدة للغاية». ومدَّ يده بجانب الباب وألقى كيسًا نحو توفلاور قائلًا ببساطة: «إنها جثة غزال بالطريقة التي

يحبها البشر تقريبًا، وعدد قليل من الكركند وسلمون البحر. مما يجلبه السياج المُحيط».

ثم نظر بقوة إلى السائح، بعدها نظر مُجددًا إلى رينسويند، وقال: «ما الذي تحدقان إليه؟».

قال توفلاور: «إنه فقط...».

قال رينسويند: «...مُقارنةً بالليلة الماضية...».

أكمل توفلاور: «أنت صغير جدًّا».

قال الترول بحذر: «آها. تُبدون ملاحظات شخصية الآن».

ثم انتصب ليظهر طوله الكامل، الذي كان نحو أربع أقدام، وقال: «كوني مصنوعًا من الماء لا يعني أنني مصنوع من الخشب».

قال توفلاور في أثناء خروجه بسرعة من كومة الفرو: «أنا آسف».

قال الترول: «أنتم مخلوقون من تراب. لكنني لم ألقِ بتعليقات عما لا تستطيع تغييره، أليس كذلك؟ أوه، لا. لا يمكننا تغيير الطريقة التي خلقنا بها الخالق، هذه وجهة نظري. لكنْ إذا كنت ترغب في معرفة السبب، فإن القمر هنا أقوى بكثير من الأقمار حول عالمي».

قال توفلاور: «القمر؟ لا أفهم...».

قال الترول، بنبرة مشوبة بالاستياء: «إذا كان عليَّ أن أوضح الأمر، فأنا أعاني المدَّ والجزرَ المُزمِن».

رنَّ جرس في ظلام الكوخ. سار تيثيس خلال الأرضية المتهالكة نحو جهاز معقد من الروافع والخيوط والأجراس المثبتة على أعلى خيط في السياج المُحيط حيث يمُرُّ خلال الكوخ.

رنَّ الجرس مرة أخرى، ثم بدأ بالقرع بإيقاع غريب مُتقطِّع بضعَ دقائق. وقف الترول وقرَّب أذنه من الجرس، وعندما توقَّف القرع،

استدار ببطء ونظر إليهما بقلق، ثم قال: «أنتما أكثر أهمية مما ظننتُ. ليس عليكما الانتظار حتى مجيء أسطول الإنقاذ. ستأخذكم طائرة. هذا ما يقولونه في كرول». ثم هزَّ كتفيه وأكمل: «ولم أرسل حتى رسالة تفيد بوجودكما هنا بعد. يبدو أن شخصًا ما كان يشرب نبيذَ فولنت مرة أخرى».

التقط مطرقة كبيرة كانت معلقة على عمود بجانب الجرس، واستخدمها للنقر على جرس صغير بإيقاع موجز، ثم قال: «ستُنقَل هذه الرسالة من حارس إلى آخر إلى أن تصل إلى كرول. أليس هذا رائعًا حقًّا؟».

وصلتِ الطائرة خلال البحر، مُحلِّقة على ارتفاع رجل فوق سطحه، لكنها لا تزال تترك أثرًا لرغوة كأنَّ القوة التي ترفعها تضرب الماء بعنف. عرف رينسويند القوة التي ترفعها. لقد كان، وسيكون أول من يعترف بذلك، جبانًا، غير كفء، حتى إنه ليس جيدًا في أن يكون مخفقًا؛ لكنه كان لا يزال ساحرًا نوعًا ما، إذ عرف إحدى التعاويذ الثمانية العظيمة، وسيقبض الموت روحه بنفسه عندما يموت، وقادرًا على تمييز السحر المُتقَن عندما يراه.

كانت العدسة القادمة نحو الجزيرة بعرض عشرين قدمًا تقريبًا، وشفافة تمامًا. وجلس على محيطها عدد كبير من الرجال المرتدين عباءات سوداء، كل واحد منهم مربوط بإحكام إلى القرص بحزام جلدي، وكل واحد منهم ينظر إلى الأمواج بتعبير مُعذَّب، مُؤلِم، لدرجة أن القرص الشفاف بدا محاطًا بتماثيل الكراغل.

تنفس رينسويند الصُّعداء بارتياح. كان هذا صوتًا غير معتاد لدرجة أنه جعل توفلاور يرفع عينيه عن القرص القادم ويلتفت إليه.

قال رينسويند موضحًا: «نحن مُهمُّون، لا كذب في ذلك. لن يهدروا كل ذلك السحر على مجرد عبدين محتملين». ثم ابتسم.

سأله توفلاور: «ما هذا؟».

أجاب رينسويند بلهجة العالم ببواطن الأمور: «حسنًا، القرص نفسه ربما قد أنشأه مُكتِّف فريسنيل الرائع. يتطلب ذلك العديد من المُكوِّنات النادرة غير المستقرة، مثل أنفاس الشياطين وما إلى ذلك، ويستغرق الأمر أسبوعًا على الأقل من ثمانية سحرة من الدرجة الرابعة لتصوُّر ذلك. ثم هناك هؤلاء السحرة على القرص، والذين يجب أن يكونوا جميعًا مُصابين بالهيدروفوبيا موهوبين».

قال توفلاور: «أتعني أنهم يكرهون الماء؟».

رد رينسويند: «لا، لن يصلح ذلك. الكراهية قوة جاذبة، مثل الحب تمامًا. إنهم يمقتونها فعليًّا، فكرة الماء نفسها تثير اشمئزازهم. يجب تدريب الهيدروفوبي الجيد على الماء المُجفف منذ ولادته. أعني، هذا يكلف ثروة في السحر وحده. لكنهم يصبحون سحرة جو عظماء. تستسلم سحب المطر وتذهب بعيدًا بسببهم».

قال الترول المائي خلفهم: «يبدو هذا فظيعًا».

رد رينسويند متجاهلًا إياه: «وكلهم يموتون صغارًا. لا يمكنهم العيش مع أنفسهم».

قال توفلاور: «أحيانًا أعتقد أن الإنسان يمكنه أن يتجول خلال القرص طوال حياته دون أن يرى كل ما يمكن رؤيته. والآن يبدو أن هناك الكثير من العوالم الأخرى أيضًا. عندما أفكر أنني قد أموت دون رؤية حتى واحد بالمئة من كل ما يمكن رؤيته، يجعلني أشعر بالـ...»، توقف لحظةً ثم أضاف: «حسنًا، أشعر بالتواضع، أعتقد. وطبعًا، بالغضب الشديد».

توقفتِ الطائرة على بعد بضعة أمتار من الجزيرة، فتناثر من أسفلها رذاذ الماء. تعلَّقت في موضعها وظلتْ تدور ببطء هناك. ثم وقف شخص مقنع بجانب عمود قصير في مركز العدسة بالتحديد، وأشار إليهم.

قال الترول: «من الأفضل أن تخوضا في الماء. لا ينبغي إبقاؤهم منتظرين. كم أسعدني تعرُّفكما». وصافحهما بيده المبتلة. وعندما خاض قليلًا معهما، ابتعد أقرب اثنين من الواقفين على العدسة بتعبيرات من الاشمئزاز الشديد.

مدَّ الشخص المقنَّع يده وأطلق سلمًا من الحبال. حمل في يده الأخرى عصا فضية، وبدا عليها بوضوح أنها مُصممَة لقتل الناس. ازداد انطباع رينسويند الأول عنها بعدما رفع الشخص العصا ولوَّح بها بلا مبالاة نحو الشاطئ، فاختفى جزء من الصخر، تاركًا وراءه ضبابًا رماديًّا من العدم.

قال الشخص المقنع: «هذا لكي لا تعتقد أنني أخاف استخدامها».

قال رينسويند: «ألا أعتقد أنك تخاف؟»، فزمجر الشخص المقنع وقال: «نعرف كل شيء عنك أيها الساحر رينسويند. أنت رجل ذو مكر وحيلة كبيرين. تضحك في وجه الموت. لن أنخدع بتصنُّعك المتعمد للجُبن».

خدع هذا رينسويند، فقال: «أنا...»، وشحب عندما وُجِّهَتْ عصا العدم نحوه، فأكمل في وهن: «أرى أنك تعرف كل شيء عني»، ثم جلس بثقل على السطح الزلق، وربط رينسويند وتوفلاور نفسيْهما بحلقات مثبتة في القرص الشفاف، وَفْقَ تعليمات القائد المقُنَّع.

قال المُقنَّع من ظلام ما تحت قلنسوته: «إذا حاولتَ أن تلقي أي تعويذة، ستموت. الربع الثالث، اجتمعوا؛ الربع التاسع، تضاعفوا؛ انطلقوا إلى الأمام!».

اندفع جدار من الماء في الهواء خلف رينسويند، واهتزَّ القرص فجأة. أسهم الوجود الرهيب للترول البحري في تركيز أذهان الهيدروفوبيين بشكل رائع، لأنه بعد ذلك ارتفع القرص بزاوية شديدة الانحدار ولم يبدأ الطيران المستقر إلا بعد وصوله إلى ارتفاع اثنتي عشرة قامة فوق الأمواج. نظر رينسويند إلى الأسفل خلال سطح القرص الشفاف وتمنى لو لم يفعل.

قال توفلاور ببهجة: «حسنًا، ها نحن ننطلق مجددًا». ثم استدار ولوَّح للترول، الذي أصبح الآن مجرد نقطة على حافة العالم.

حدَّق رينسويند إليه وسأله: «ألا يقلقك شيء أبدًا؟».

أجابه توفلاور: «ما زلنا حيَّين، أليس كذلك؟ وأنت قلت إنهم لن يبذلوا كل هذا الجهد إذا كنا سنصبح مجرد عبدين. أتوقع أن تيثيس قد بالغ في الأمر. أتوقع أن الأمر كله مجرد سوء فهم. وأننا سنعود إلى المنزل. بعد أن نرى كرول، طبعًا. ويجب أن أقول إن كل هذا يبدو رائعًا».

قال رينسويند بصوت رخيم: «أوه نعم، رائع». فيما فكَّر في داخله: «لقد رأيتُ الإثارة، ورأيتُ الملل. وكان الملل أفضل».

لو نظر أي منهما إلى الأسفل في تلك اللحظة لكانا قد لاحظا موجة غريبة على شكل حرف V تتدفق خلال الماء أسفلهما، يشير رأسها مباشرة إلى جزيرة تيثيس. لكنهما لم ينظرا. السحرة الهيدروفوبيون الأربعة والعشرون هم من نظروا، لكنْ بالنسبة إليهم كان الأمر مجرد أمر مرعب آخر، لا يختلف حقًّا عن الرعب السائل من حولهم. ربما كانوا على حق.

قبل كل هذا بوقت ما، انغمرتْ سفينة القراصنة المشتعلة تحت الأمواج وبدأت انزلاقًا بطيئًا وطويلًا نحو الأعماق الطينية. كانت المسافة أبعد من

المعتاد، لأنه تحت السفينة المنكوبة مباشرة كان يوجد خندق جورونا؛ هاوية في سطح القرص شديدة السواد والعُمق، وشريرة لدرجة أن حتى كائنات الكراكن كانت تخاف عند الذَّهَاب إليها، فتتحرك في أزواج. في الخنادق الأقل شرًّا، كانت الأسماك تتجول بأضواء طبيعية على رؤوسها، وتدبَّرت أمورها جيدًا. في جورونا تُطفئ الأسماك أضواءها، وتزحف بقدر ما يمكن لشيء بلا أرجل أن يزحف، فتميل إلى الاصطدام بأشياء، أشياء رهيبة.

تحوَّل الماء حول السفينة من الأخضر إلى البنفسجي، ومن البنفسجي إلى الأسود، ومن الأسود إلى ظلام كامل لدرجة أن السواد نفسه بدا رماديًّا بالنسبة إليه. انسحق معظم خشب السفينة فعلًا إلى شظايا تحت الضغط الشديد.

انزلقت السفينة بجوار بساتين من زوائد كابوسية وغابات متحركة من الأعشاب البحرية المتوهجة بألوان باهتة مريضة. امتدتْ أشياء لتلمسها لمدة وجيزة بأذرع ناعمة باردة، قبل أن تتراجع نحو الصمت المتجمد.

ثم نهض شيء من الظلام وأكلها في قضمة واحدة.

بعد ذلك بوقت ما، تفاجأ سكان جزيرة صغيرة عند الحافة بما جرفته الأمواج إلى شاطئهم المحليِّ الصغير. وجدوا جثة وحش بحري رهيب، مملوء بالمناقير والأعين والأذرع. كانت دهشتهم الأكبر بسبب حجمه، إذ كان أكبر من قريتهم. لكن تضاءلت دهشتهم مقارنةً بالتعبير الكبير المُضطرب على وجه الوحش الميت، الذي بدا كأنه قد دُعِسَ حتى الموت.

في موضع أبعد قليلًا عن الحافة من الجزيرة، كان هناك قاربان صغيران يسحبان شباكهما بحثًا عن المحار المتوحش السابح بحرية

في تلك البحار، فالتقطا شيئًا ما سحب كلا القاربين بضعةَ أميال، قبل أن يمتلك أحد القباطنة الوعيَ الكافي لقطع الحبال.

لكنْ حتى دهشته لم تكن شيئًا مقارنة بما شعر به سكان الجزيرة الأخيرة ضمن أرخبيل الجُزُر. فخلال الليلة التالية، استيقظوا على صوت تحطم وتكسير رهيب قادم من غابتهم الصغيرة؛ عندما ذهب بعض الرجال الجريئين في الصباح لاستكشاف ما حدث، وجدوا أن الأشجار قد تحطمت في ممر عريض يبدأ من الشاطئ الأقرب للمركز، لترسم خطًّا من الدمار الكامل يشير بدقة نحو الحافة، مملوءًا بنباتات الليانا المكسورة والشجيرات المسحوقة وبعض المحار المرتبك الغاضب.

ارتفع قرص السحرة بما يكفي الآن لرؤية المنحنى الواسع للحافة يبتعد عنهم، وقد غطته السحب الناعمة التي أخفت الشلال معظم الوقت بلطف. بدا البحر من هنا، بلونه الأزرق العميق الممزوج بظلال السحب، بدا تقريبًا مغريًا. ارتجف رينسويند وقال: «عذرًا».

استدار نحوه الشخص المقنع تاركًا تأمله للضباب البعيد، ورفع عصاه بتهديد قائلًا: «لا أريد استخدام هذه».

قال رينسويند: «لا تريد؟».

قال توفلاور: «ما هي على أي حال؟».

قال رينسويند: «عصا أجاندوراه للسلبية التامة. وأتمنى أن تتوقف عن التلويح بها. قد تطلقها بالخطأ»، وأضاف مشيرًا برأسه إلى طرف العصا اللامع: «أعني، أشعر بالإطراء لكل هذا السحر المُستخدم لمصلحتنا، لكن لا داعي إلى الذَّهَاب إلى هذا الحد. وأيضًا...».

رفع المُقنَّع يده وصاح: «اصمت!». ثم رفع يده وسحب قلنسوته إلى الخلف، ليكشف عن شابة ذات لون غير عادي. كان لون بشرتها أسودَ. ليس الأسود الداكن كأهل أورابيوي، أو الأسود الأزرق اللامع لكلاتش ذات الرياح الموسمية، بل الأسود الحالك لمنتصف الليل في قاع كهف. كان شعرها وحاجباها بلون ضوء القمر. وانتشر اللمعان الشاحب نفسه حول شفتيها. بدت كأنها في الخامسة عشرة من عمرها، ومذعورة جدًّا.

عجز رينسويند عن ألَّا يلاحظ ارتجاف يدها التي تحمل العصا؛ وذلك لأنه من الصعب عدم ملاحظة قطعة من الموت المفاجئ، تتأرجح بشكل غير مؤكد على بعد خمسة أقدام فقط من أنفك. أدرك ذلك ببطء شديد، لأنه كان إحساسًا جديدًا تمامًا، أن يجد شخصًا في العالم يخاف منه. كان العكس تمامًا هو الحال في كثير من الأحيان لدرجة أنه اعتبره نوعًا من قوانين الطبيعة.

قال رينسويند بأقصى ما يمكن من الطمأنينة: «ما اسمكِ؟». فربما كانت خائفة، لكنها تملك العصا. ففكَّر في عقله: «لو كنتُ أملك عصا كهذه، لما كنت أخاف أي شيء. إذن ما الذي يمكنها تخيله أنني أستطيع فعله؟».

قالت: «اسمي غير مُهِم».

قال رينسويند: «هذا اسم جميل». ثم أضاف: «إلى أين تأخذيننا، ولماذا؟ لا أرى أي ضرر في أن تخبرينا».

قالت الفتاة: «سنأخذكما إلى كرول. ولا تسخر منِّي أيها الهابلاندي. وإلا سأستخدم العصا. يجب أن أجلبكما حيين، لكنْ لم يقل أحد شيئًا عن أن أجلبكما سالميْن. اسمي هو ماركيزا، وأنا ساحرة من المستوى الخامس. أتفهمني؟».

قال رينسويند: «حسنًا، لمَّا كنتِ تعرفين كل شيء عني، فأنتِ تعرفين أنني لم أصلْ حتى إلى مرتبة المبتدئ. أنا لستُ حتى ساحرًا حقًّا». ثم لاحظ تعبير توفلاور المذهول، وأضاف بسرعة: «مجرد ساحر بشكل ما».

قالت ماركيزا: «لا يمكنكَ ممارسة السحر لأن إحدى التعاويذ الثمانية العظيمة عالقة بشكل لا يُمحى في عقلك»، ثم وازنتْ موضع وقوفه برشاقة فيما رسمت العدسة الكبيرة قوسًا واسعًا فوق البحر، وأكملت: «لهذا طُردتَ من الجامعة الخفيَّة. نحن نعرف ما حدث».

اعترض توفلاور: «لكنكِ قلتِ للتو إنه ساحر ذو مكر وحيلة كبيرين».

قالت ماركيزا: «نعم، لأن أي شخص ينجو من كل ما نجا منه – معظمها جلبها لنفسه بسبب ميله إلى التفكير في نفسه كساحر– لا بدَّ أنه ساحر نوعًا ما». ثم عبستْ بقلق وقالت: «أحذرك يا رينسويند. إذا شعرتُ بأدنى شك أنكَ تتلو التعويذة العظيمة فسأقتلك حقًّا».

قال رينسويند: «يبدو لي أن أفضل مسار لكِ سيكون، كما تعلمين، أن تتركينا في مكان ما». ثم أضاف: «أعني، شكرًا على إنقاذنا وكل شيء، لذلك إذا تركتِنا فقط نعيش حياتنا، فأنا متأكد أننا جميعًا...».

قال توفلاور: «آمل ألا تقترحي استعبادنا».

نظرتْ ماركيزا مصدومة بصدق: «بالتأكيد لا! ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟ ستكون حياتكما في كرول غنية، ملآنة ومريحة».

قال رينسويند: «أوه، جيد».

فأكملت: «...لكنها ليست طويلة جدًّا فقط».

اتضح أن كرول جزيرة كبيرة، جبلية إلى حد ما ومغطاة بالغابات الكثيفة، مع مبانٍ بيضاء جميلة تظهر هنا وهناك بين الأشجار. مالت الأرض إلى الأعلى تدريجيًّا تجاه الحافة، حتى إن النقطة الأعلى في كرول تتدلى قليلًا فوق الحافة. هنا بنى الكروليون مدينتهم الرئيسية، المُسمَّاة كرول أيضًا، ولأن الكثير من مواد البناء الخاصة بهم مأخوذة من صيد السياج الدائري، فاتسمتْ منازل كرول بطابع بحري واضح.

ببساطة، جُمِّعَتِ السفن بالكامل بشكل فني وتحوَّلت إلى مبانٍ. السفن ثلاثية المجاديف، والمراكب الشراعية، والسفن ذات الأشرعة المثلثة برزتْ بزوايا غريبة وسط تلك الفوضى الخشبية العامة. كانت الرؤوس المنحوتة والتنانين الهابلاندية وسيلة لتذكير مواطني كرول بأن حظهم الجيد مصدره البحر؛ وأضفتِ السفن الشراعية والسفن الضخمة شكلًا مميزًا على المباني الكبيرة. وهكذا ارتفعتِ المدينة طبقة تلو الأخرى بين المحيط الأزرق والأخضر للقرص وبحر السحب الناعمة عند الحافة، مع انعكاس الألوان الثمانية لقوس الحافة على كل نافذة وفي العديد من عدسات التلسكوبات الخاصة بعلماء الفلك المتعددين في المدينة.

قال رينسويند بعبوس: «إنها فظيعة جدًّا».

اقتربتِ العدسة الآن من طرف شلال الحافة. لم تكتفِ الجزيرة بزيادة الارتفاع كلما اقتربتْ من الحافة، بل ضاقت أيضًا، بحيث تمكنتِ العدسة من البقاء فوق الماء حتى أصبحت قريبة جدًّا من المدينة. كان السور على طول الجرف المواجه للحافة مُرصَّعًا بمنصات بارزة نحو العدم. انزلقت العدسة بسلاسة نحو إحدى هذه المنصات وارتبطت بها كما ينزلق القارب بسلاسة نحو الرصيف. وقف هناك أربعة حراس في انتظارهم، شعرهم بلون ضوء القمر ووجوههم سوداء كالليل مثل

ماركيزا. لم يبدوْا أنهم مسلحون، لكنْ عندما تعثر توفلاور ورينسويند على السور، أمسكوا بكل منهما من ذراعيه بقبضة محكمة بما يكفي لتبديد أي فكرة عن الهروب على الفور.

ثم تركوا وراءهم ماركيزا والسحرة المصابين برهاب الماء الذين كانوا يراقبونهما، وبدأ الحراس وسجناؤهم بالسير بسرعة خلال ممر متعرج بين المنازل المصنوعة من السفن. سرعان ما قادهم الممر إلى أسفل، إلى ما اتضح أنه قصر من نوع ما، محفور جزئيًّا في صخور الجرف نفسه. أدرك رينسويند تقريبًا ما يراه من أنفاق جيدة الإضاءة، وفناءات مفتوحة نحو السماء البعيدة. وقف جانبًا بعض الرجال المسنين، الذين تغطت أرديتهم برموز غامضة، وشاهدوهم باهتمام في أثناء مرورهم. لاحظ رينسويند عدة مرات المصابين برهاب الماء –ظهرت بوضوح على وجوههم تعبيرات الاشمئزاز الذاتية تجاه سوائل أجسامهم نفسها– ورأى رجالًا متعثرين هنا وهناك، لا يمكن أن يكونوا سوى عبيد. لم يكن لديه وقت كثير للتفكير في كل هذا قبل أن يُفتح باب أمامهما ويُدفَعا، بلطف لكنْ بحزم، إلى إحدى الغرف، ثم أُغلِقَ الباب خلفهما بقوة.

استعاد رينسويند وتوفلاور توازنهما وحدَّقا إلى أنحاء الغرفة التي وجدا نفسيهما فيها.

قال توفلاور بلا حماس بعد مدة من الصمت حاول خلالها العثور على كلمة أفضل: «يا للروعة».

تساءل رينسويند بصوت عالٍ: «هل هذه زنزانة سجن؟».

أضاف توفلاور: «كل هذا الذهب والحرير والأشياء. لم أرَ شيئًا مثل هذا من قبل!».

في وسط الغرفة المزخرفة بشكل غني، وجدا منضدةً طويلةً لامعةً ملأى بالطعام، على سجادة عميقة وذات فرو لدرجة أن رينسويند

خطا عليها بحذر خشية أن تكون نوعًا من الوحوش ذات الفراء المُحِبَّة للأرضيات. كانت معظم أطباق المائدة من الأسماك، من بين ذلك أكبر وأجمل سلطعون بحر رآه رينسويند على الإطلاق، لكن كان هناك أيضًا الكثير من الأطباق والأطباق المكدسة بإبداعات غريبة لم يرها من قبل. مدَّ يده بحذر والتقط نوعًا من الفاكهة البنفسجية المغطاة ببلورات خضراء.

أتى من خلفه صوت أجشٌّ مبتهج يقول: «قنفذ بحر مسكر. طعام شهيٌّ للغاية».

أسقط رينسويند الطعام بسرعة واستدار، فرأى شيخًا قد خرج من خلف الستائر الثقيلة. كان طويلًا ونحيفًا وبدا لطيفًا قليلًا مُقارنة ببعض الوجوه التي رآها رينسويند مؤخرًا.

قال الرجل بلهجة ودية: «خِيار البحر المهروس جيدٌ جدًّا أيضًا. وتلك القطع الصغيرة الخضراء هي صغار نجوم البحر».

قال رينسويند في وهن: «شكرًا لإخباري».

قال توفلاور بفم ممتلئ بالطعام: «في الواقع، إنها لذيذة. ظننتُ أنك تحب المأكولات البحرية؟».

قال رينسويند: «نعم، ظننت ذلك. مم صُنِعَ هذا النبيذ؟ أعين الأخطبوط المهروسة؟».

قال الشيخ: «عنب البحر».

قال رينسويند: «رائع»، وابتلع كأسًا منه ثم قال: «ليس سيئًا. ربما مالح قليلًا».

أوضح الشيخ قائلًا: «عنب البحر هو نوع من قناديل البحر الصغيرة. والآن أعتقد أنني يجب أن أقدِّم نفسي حقًّا. لماذا تغيَّر لون صديقك إلى هذا اللون الغريب؟».

قال توفلاور: «صدمة ثقافية، على ما أعتقد. ما اسمك؟».

قال: «لم أخبركَ به. إنه جارهارترا. أنا من يستقبل الضيوف، كما ترى. وظيفتي السارة أن أتأكد من أن إقامتكما هنا ستكون ممتعة قدر الإمكان». ثم انحنى وقال: «إذا أردت أي شيء، فما عليك سوى أن تطلب».

جلس توفلاور على كرسي مزخرف بلآلِئ ضخمة وبيده كأس من النبيذ الزيتي، وفي اليد الأخرى حبَّار مُتبَّل بالسُّكَّر. ثم عبس وقال: «أعتقد أنني قد فاتني شيء ما على طول الطريق. أولًا، قيل لنا إننا سنصبح عبدين...».

قاطعه جارهارترا: «هذه أكذوبة خبيثة!».

سأله توفلاور: «ما هي الأكذوبة؟».

قال رينسويند من نهاية المائدة الطويلة: «أعتقد أنها نوع من البط. أتظن أن هذا البسكويت مصنوع من شيء مثير للاشمئزاز؟».

أكمل توفلاور: «...ثم أنقذتمانا بتكلفة سحرية كبيرة».

قال المُضيف بحدة: «البسكويت مصنوع من الأعشاب البحرية المضغوطة».

قال توفلاور: «...لكنْ بعد ذلك تعرضنا للتهديد، وبتكلفة سحرية هائلة أيضًا...».

قال رينسويند موافقًا: «أجل، شعرتُ أنها شيء مثل الأعشاب البحرية. بالتأكيد طعمها مثل طعم الأعشاب البحرية، إذا كان هناك شخص مازوخي بما يكفي ليأكل الأعشاب البحرية».

استمر توفلاور: «...ثم عومِلنا بقسوة من قبل الحراس، وألقوا بنا هنا...».

صحح جارهارترا: «دفعوكما بلطف».

اختتم توفلاور كلامه: «...والتي تبين أنها غرفة غنية للغاية، بكل هذا الطعام ورجل يقول إنه يكرس حياته لجعلنا سعيدين. ما أعنيه هو هذا التناقض الغريب».

قال رينسويند: «نعم. ما يقصده هو، هل ستبدأ في التصرف بشكل غير لطيف مرة أخرى؟ هل هذه مجرد استراحة للغداء؟».

رفع جارهارترا يديه مطمئنًا، وقال باحتجاج: «رجاءً، رجاءً. كان من الضروري فقط إحضاركما هنا في أسرع وقت ممكن. نحن بالتأكيد لا نريد استعبادكما. يُرجى الاطمئنان بشأن ذلك».

قال رينسويند: «حسنًا، رائع».

أكمل جارهارترا بهدوء: «أجل، في الواقع سيُضحَّى بكما».

صرخ الساحر: «سيُضحَّى بنا؟ أستقتلوننا؟».

أجابه جارهارترا: «قتل؟ نعم، طبعًا. بالتأكيد! لن تكون تضحية إذا لم نقتلكما، أليس كذلك؟ لكنْ لا تقلق، سيكون الأمر غير مؤلم نسبيًّا».

قال رينسويند: «نسبيًّا؟ بالنسبة إلى ماذا؟»، ثم التقط زجاجة خضراء طويلة ملآنة بنبيذ عنب قناديل البحر وقذفها بقوة نحو جارهارترا، الذي رفع يده كما لو كان ليحمي نفسه.

انبعث من أصابعه وميض من اللهب الأوكتاريني، وفجأة أصبح الهواء كثيفًا ودهنيًّا، كإشارة لحدوث تفريغ سحري قوي. تباطأت الزجاجة الملقاة ثم توقفت في منتصف الهواء، لتدور برفق.

في الوقت نفسه، التقطتْ قوة خفية رينسويند وقذفته بطول الغرفة، مثبتة إياه بشكل غير مريح في منتصف الجدار البعيد، ليظل مُعلَّقًا هناك وفمه مفتوحًا من الغضب والدهشة.

خفض جارهارترا يده ومسحها ببطء على ردائه قائلًا: «لم أستمتعْ بفعل ذلك، كما تعلمون».

تمتم رينسويند: «لاحظتُ ذلك».

سأله توفلاور: «لكن لماذا تريدون التضحية بنا؟ أنتم بالكاد تعرفوننا!».

أجابه جارهارترا: «هذا هو بيت القصيد، أليس كذلك؟ ليس من الجيد إطلاقًا أن تُضحِّي بصديق. بالإضافة إلى ذلك، كنتما، آه، محددَيْن. لا أعرف الكثير عن الإله المعني، ولكنه كان واضحًا في هذه النقطة. انظرا، عليَّ أن أذهب الآن. أمور عدَّة يجب تنظيمها، تعرفون كيف تجري الأمور». ثم فتح الباب، وتطلَّع إلى الوراء حوله قائلًا: «من فضلكما، استريحا ولا تقلقا».

صرخ توفلاور: «ولكنك لم تخبرنا بشيء فعلًا!».

قال جارهارترا: «الأمر لا يستحق، أليس كذلك؟ سيُضحَّى بكما صباحًا، فلا يستحق الأمر عناء المعرفة حقًّا. ناما جيدًا. على الأقل حاولا».

ثم أغلق الباب، ليظهر حوله انعكاس أوكتاريني قصير يوحي بأنه قد خُتِمَ الآن بما يفوق مهارات أي صانع أقفال على الأرض.

جلينج، كلانج، تانج، انطلقتِ الأجراس على طول السياج المُحيط في الليل المضاء بضوء القمر على شلال الحافة.

تيرتون، حارس القسم 45، لم يسمع مثل هذا الصوت منذ ليلة دخول أحد كائنات الكراكن العملاقة إلى السياج قبل خمس سنوات. انحنى الحارس من كوخه المبني على سواعد خشبية مثبتة في قاع البحر، وتطلَّع إلى الظلام. مرةً أو اثنتين ظن أنه رأى شيئًا يتحرك بعيدًا. من الناحية الرسمية، عليه أن يجدف ليبحث عن سبب هذا الضجيج. لكن هنا في ذلك الظلام الرطب، لم يبدُ ذلك فكرة جيدة للغاية، لذا أغلق الباب، ولفَّ بعض النسيج حول الأجراس التي ترن بجنون، وحاول العودة إلى النوم.

لم يفلحْ ذلك، لأن حتى الحبل العلوي من السور كان يهتز الآن، كأنَّ شيئًا كبيرًا وثقيلًا يقفز عليه. بعد أن حدَّق إلى السقف بضعَ دقائق، محاولًا بكل جهده ألَّا يفكر في الأذرع الممصية الطويلة والأعين الكبيرة كحجم البِركة، أطفأ تيرتون شعلة المصباح وفتح الباب بزاوية ضيقة.

كان هناك شيء قادم على طول السياج، بخطوات ضخمة تغطي عدة أمتار في كل مرة. لقد ظهر أمامه لوهلة فرأى تيرتون شيئًا مستطيلًا، متعدد الأرجل، مُغطى بالأعشاب البحرية -ورغم أنه لم تكن له أي ملامح يمكن أن يستنتج منها ذلك- بدا عليه أنه غاضب جدًّا.

تحطَّم الكوخ إلى شظايا عندما اندفع الوحش من خلاله، ومع ذلك نجا تيرتون بالتشبث بالسياج المحيط؛ وبعد أسابيع قليلة التقطه أسطول إنقاذ عائد، ثم هرب لاحقًا من كرول على عدسة اختطفها -بعد أن تطورت لديه فوبيا الماء لدرجة مذهلة- وبعد عدة مغامرات وجد في النهاية طريقه إلى صحراء النيف الكُبرى، وهي مِنْطَقة من القرص جافة للغاية لدرجة أنها في الواقع لديها معدل هطول سلبي للأمطار، لكنْ بالرغم من ذلك، اعتبرها رطبة بشكل غير مريح».

قال رينسويند: «هل جربت الباب؟».

أجابه توفلاور: «نعم، ولم يصبح أقل انغلاقًا مما كان عليه آخر مرة سألت فيها. بالمناسبة، هناك النافذة».

تمتم رينسويند من مكانه في منتصف الجدار: «طريقة رائعة للهروب، قُلت إن النافذة تطل على الحافة. مجرد خطوة واحدة، أليس كذلك؟ ثم الغوص في الفضاء وربما التجمد التام أو الاصطدام بعالم آخر بسرعة هائلة أو الغوص بشكل محموم في قلب شمس ملتهبة؟».

قال توفلاور: «الأمر يستحق المحاولة. هل تريد بسكويت الأعشاب البحرية؟».

- لا!

- متى ستنزل؟

زمجر رينسويند بسبب الإحراج. لقد كانت تعويذة جارهارترا هي «اختلال الجاذبية الشخصية لآتافار»، وهي تعويذة قليلة الاستخدام وصعبة الاتقان، ونتيجتها العملية هي أن جسد رينسويند صار مُقتنعًا بأن «الأسفل» يقع بزاوية تسعين درجة عن الاتجاه الذي يقبله معظم سكان القرص على أنه اتجاه الأسفل. كان في الواقع يقف على الجدار.

في هذه الأثناء، كانت الزجاجة المُلقاة سابقًا مُعلَّقة في الهواء بلا دعم على بعد بضعة أمتار. في حالتها، لم يتوقف الوقت تمامًا، ولكنه تباطأ بعدة ترتيبات للحجم، فتحركت في مسارها لعدة ساعات وبضع بوصات كما هي الحال بالنسبة إلى توفلاور ورينسويند. لمعت الزجاجة في ضوء القمر، فيما تنهَّد رينسويند وحاول أن يجعل نفسه مرتاحًا على الجدار، وقال لتوفلاور بانزعاج: «لماذا لا تقلق أبدًا؟ ها نحن ذا، سيُضحى بنا لإله ما في الصباح، وأنت تجلس هناك تأكل مقبلات بحرية».

قال توفلاور: «أتوقع أن يحدث شيء ما».

أكمل الساحر: «أعني، ليس كأنَّنا نعرف لمَ سنُقتَل».

- أترغب في معرفة السبب؟

سأله رينسويند: «هل قلت ذلك؟».

- قُلت ماذا؟

قال صوت ما في رأس رينسويند: «أنت تسمع أصوات».

نظر رينسويند جانبًا وتساءل: «من أنت؟».

ألقى توفلاور عليه نظرة قلقة، وقال: «أنا توفلاور، هل نسيت؟».

وضع رينسويند رأسه بين يديه وصاح متألمًا: «لقد حدث أخيرًا. لقد فقدتُ عقلي».

قال الصوت: «فكرة جيدة. بدأ المكان بالازدحام هنا».

اختفتِ التعويذة التي ثبتتْ رينسويند على الجدار بصوت خافت، فسقط إلى الأمام ووقع مُتكوِّمًا على الأرض.

قال الصوت: «انتبه... كدت تسحقني».

ناضل رينسويند لينهض على مرفقيه ومدَّ يده إلى جيب ردائه. عندما سحب يده، وجد الضفدع الأخضر جالسًا عليها، وعيناه تتلألآن بشكل غريب في الضوء الخافت.

قال رينسويند: «أنت؟».

رمش الضفدع وقال: «ضعني على الأرض وابتعد».

فعل الساحر ذلك، وسحب توفلاور الذاهل بعيدًا.

أظلمت الغرفة، وأتى صوت رياح عاصفة. ثم ظهرت من العدم شرائط من السحب الخضراء والبنفسجية والأوكتارينية، وبدأت تدور

بسرعة نحو الضفدع المستلقي، مُطلقةً صواعق صغيرة من البرق في أثناء دورانها. سرعان ما غمر الضفدع ضباب ذهبي بدأ يتمدد إلى الأعلى، فملأ الغرفة بضوء أصفر دافئ. ظهر بداخله شكل مظلم غير واضح، استمر في التحول حتى في أثناء مشاهدتهما إياه. وسمعا طوال الوقت صوتًا حادًّا عاليًا يخترق العقول ناتج عن حقل سحري ضخم...

وكما ظهرت العاصفة السحرية فجأة، اختفت فجأة. وهناك، في الموضع الذي كان يشغله الضفدع، كان هناك ضفدع.

قال رينسويند: «رائع».

نظر الضفدع إليه بعينين ملؤهما العتاب، فأكمل رينسويند بمرارة: «مدهش حقًّا، ضفدع يتحوَّل سحريًا إلى ضفدع. مذهل».

قال صوت خلفهما: «استديرا». كان صوتًا ناعمًا، أنثويًّا، يكاد يشوبه الإغراء، الصوت الذي يمكن أن تشرب معه بعض كؤوس الشراب، لكنه أتى من موضع لا ينبغي أن يصدر منه صوت. تمكنا من الاستدارة دون أن يتحركا حقًّا، كتمثالين يدوران على قواعد.

كانت هناك امرأة تقف في ضوء الفجر. بدت.. كانت.. كان لديها.. في الحقيقة...

في ما بعد، لم يستطع رينسويند وتوفلاور الاتفاق على أي حقيقة واحدة عنها، سوى أنها بدت جميلة -لم يتمكنا من تحديد الملامح الفعلية التي جعلتها جميلة بشكل قاطع- وأن لديها عينين خضراوين. ليس الأخضر الباهت للأعين العادية، كانت خضراء كالزمرد الخام ولامعة مثل اليعسوب. وإحدى الحقائق السحرية القليلة التي كان يعرفها رينسويند هي أن أي إله أو إلهة، رغم تناقض صفاتهم وتقلبها في جميع الجوانب الأخرى، لا يمكنهم أن يغيروا لون أعينهم أو طبيعتها...

بدأ رينسويند يقول: «لـــ...». فرفعت السيدة يدها.

همست السيدة: «أنت تعلم أنه إذا قلت اسمي، فلا بُدَّ أن أغادر. بالتأكيد تتذكر أنني الإلهة الوحيدة التي تأتي فقط عندما لا تُدعى؟».

تمتم الساحر محاولًا ألا ينظر إلى عينيها: «آه. نعم، أظن أنني أتذكر، أنتِ الإلهة التي يسمونها السيدة؟».

- نعم.

قال توفلاور بحماس: «أأنتِ إلهة إذن؟ لطالما أردتُ أن أقابل واحدة».

اضطرب رينسويند، منتظرًا انفجار غضب السيدة، لكنْ بدلًا من ذلك، ابتسمتِ السيدة فقط وقالت: «ينبغي أن يقدمنا صديقك الساحر».

سعل رينسويند ثم قال: «آه، نعم. هذا توفلاور، أيتها السيدة، إنه سائح...».

- ...لقد حضرتُ معه عدة مواقف...

قال رينسويند بيأس: «وتوفلاور، هذه السيدة. فقط السيدة، حسنًا؟ لا شيءَ آخر. لا تحاول أن تمنحها أي اسم آخر، حسنًا؟». فيما تحدق عيناه بنظرات معبرة لم يلاحظها الرجل الصغير.

ارتعش رينسويند. لم يكن، طبعًا، مُلحدًا؛ فالآلهة في عالم القرص يُعاملون المُلحدين بقسوة. في المناسبات القليلة التي امتلك فيها بعض النقود الفائضة، حرص دائمًا على وضع بضع قطع نُحاسية في صندوق معبد ما، على مبدأ أن الرجل يحتاج إلى كل الأصدقاء الذين يمكنه الحصول عليهم. ولكنه لم يزعج الآلهة عادةً، وكان يأمل ألا تُزعِجه الآلهة، فالحياة مُعقدة بما فيه الكفاية.

مع ذلك، كان هناك إلهان مرعبان حقًّا. بقية الآلهة كانوا كالبشر لكنْ بأحجام أضخم، يحبون النبيذ والحرب والفجور. لكنَّ القدر والسيدة كانا إلهيْن مُرعبيْن.

في حي الآلهة في عنخ-موربورك، نُصِبَ للقَدَر معبد صغير وثقيل من الرصاص، حيث يجتمع المُصلُّون الشاحبون والهزيلون في الليالي المظلمة لأداء طقوسهم المُحددة سابقًا معدومة الجدوى في الغالب. لم يكن هناك أي معابد للسيدة، مع أنَّه يُمكن القول إنها كانت الإلهة الأكثر قوة في تاريخ الخلق كله. حاول بعض أعضاء جماعة المُقامرين الأكثر جرأة أن يجرِّبوا شكلًا من أشكال العبادة في أعمق سراديب مقرهم، فماتوا جميعًا فقرًا أو قتلًا أو حتى بطريقة عادية خلال أسبوع. كانت هي الإلهة التي يجب عدم تسميتها؛ أولئك الذين بحثوا عنها لم يجدوها قطُّ، لكنْ كان معروفًا أنها تأتي لمساعدة أولئك الذين في أمسِّ الحاجة إلى العون. أو مُجددًا، لا تأتي في بعض الأحوال. هكذا كانت. لم تكن تحب صوت السبحة، لكنْ جذبها صوت النرد. لم يعرفْ أي إنسان كيف كانت تبدو، مع أنَّ هناك العديد من الأوقات عندما يقامر المرء بحياته على رمية الأوراق، ويلتقط البطاقات التي وُزِّعت له فينظر إلى وجهها مباشرة. طبعًا، أحيانًا لا يفعلون ذلك. بين جميع الآلهة، كانت السيدة هي الأكثر تعرُّضًا للطلب واللعنات في الوقت نفسه.

قال توفلاور: «ليس لدينا آلهة في موطني».

قالت السيدة: «بل لديكم. الجميع لديهم آلهة. أنتم فقط لا تعتقدون أنهم آلهة».

اهتزَّ رينسويند بداخله، ثم قال: «انظر، لا أريد أن أبدو فاقدَ الصبر، لكنْ خلال بضع دقائق سيأتي بعض الأشخاص من خلال هذا الباب وسيأخذوننا ويقتلوننا».

قالت السيدة: «أجل».

قال توفلاور: «أفترض أنكِ لن تخبرينا لماذا؟».

قالت السيدة: «أجل. يعتزم الكروليانيون إطلاق سفينة برونزية فوق حافة القرص. هدفهم الرئيسي هو معرفة جنس آتوين سلحفاة العالم».

قال رينسويند: «يبدو ذلك بلا جدوى».

- لا. فكِّر في الأمر. يومًا ما، في مكان ما في الليل الواسع الذي نتحرك فيه، قد يلتقي آتوين العظيم عضوًا آخر من نوع السلاحف الكونية. هل سيتقاتلان؟ هل سيتزاوجان؟ سيظهر لك قليل من الخيال أن جنس آتوين العظيم قد يكون مهمًّا جدًّا بالنسبة إلينا. على الأقل، هذا ما يقوله الكروليانيون.

حاول رينسويند ألا يفكر في تزاوج السلاحف الكونية. لم يكن ذلك سهلًا تمامًا.

واصلت الإلهة: «إذن، يعتزمون إطلاق هذه السفينة الفضائية، وعلى متنها اثنان من المسافرين. ستكون تتويجًا لعقود من البحث. ستكون أيضًا خطِرة جدًّا على المسافريْن. ولذلك، في محاولة لتقليل الأخطار، تفاوض كبير الفلكيين في كرول مع القَدَر لتقديم تضحية بشخصين في لحظة الإطلاق. كما وافق القدر بدوره على الابتسام للسفينة الفضائية. صفقة أنيقة، أليس كذلك؟».

قال رينسويند: «ونحن التضحيتين».

- نعم.

- ظننتُ أن القدر لا ينخرط في هذا النوع من المساومة. ظننتُ أن القدر لا يلين.

- عادة، نعم. ولكنكما شوكتان في جانبه منذ مدة. لقد حدد أن تكون التضحيتين أنتما. لقد سمح لكما بالهروب من القراصنة.

سمح لكما بالانجراف إلى السياج المحيط. يمكن للقدر أن يكون إلهًا قاسيًا في بعض الأحيان.

ثم ساد الصمت وهلةً، تنهد فيها الضفدع وتجوَّل تحت المنضدة.

سألها توفلاور: «ولكنَّكِ تستطيعين مساعدتنا؟».

قالت السيدة: «أنتما تثيران مُتعتي، لديَّ نزعة عاطفية. كنتما ستعرفان ذلك لو كنتما مقامرين. لذا، لمدة قصيرة، تحركتُ في عقل ضفدع وأنقذتماني بلطف، لأنه كما نعلم جميعًا، لا أحد يحب أن يرى مخلوقات بائسةً عاجزةً تُجرَف إلى موتها».

قال رينسويند: «شكرًا لكِ».

قالت السيدة: «عقل القدر كله موجَّه ضدكما، ولكنَّ كلَّ ما أستطيع فعله هو أن أعطيكما فرصة واحدة. مجرد فرصة صغيرة. والباقي عليكما».

ثم اختفت.

قال توفلاور بعد مدة: «يا للروعة! هذه أول مرة أرى فيها إلهة».

انفتح الباب، ودخل جارهارترا حاملًا عصا سحرية أمامه. ومن خلفه أتى حارسان مسلحان بسيوف تقليدية، ثم قال: «آه، أرى أنكما جاهزان».

قال صوت داخل رأس رينسويند: «أجل».

كانت الزجاجة التي ألقاها الساحر قبل ثماني ساعات تقريبًا ما زالت معلقة في الهواء، محبوسة بالسحر في مجال زمني خاص بها. لكنْ خلال تلك الساعات تسربت الطاقة الأصلية للتعويذة ببطء، حتى لم تعد طاقتها السحرية الكلية كافية لاحتجاز الزجاجة ضد المجال القوي لطبيعة الكون، وعندما حدث ذلك، عادت الحقيقة بسرعة في غضون

ميكروثوانٍ. والدليل المرئي لذلك أن الزجاجة فجأة أكملت الجزء الأخير من دورانها وانفجرت بجانب جارهارترا، وغطَّت الحراس بالزجاج ونبيذ قناديل البحر.

أمسك رينسويند بذراع توفلاور، وركل أقرب حارس في مِنْطَقة بين ساقيه، ثم سحب السائح الذاهل إلى الممر. قبل أن يسقط جارهارترا الذاهل على الأرض، كان ضيفاه يركضان فعلًا على بلاط الأروقة البعيدة.

انزلق رينسويند في أثناء ركضه حول زاوية، فوجد نفسه على شُرفة تحيط بالجوانب الأربعة لساحة. وأسفل الشرفة، احتلت غالبية أرضية الفناء بركة زينة حيث كانت بعض السلاحف الصغيرة تستمتع بالشمس بين أوراق الزنبق.

وأمام رينسويند وقف ساحران ذاهلان يرتديان العباءات الزرقاء الداكنة والسوداء المميزة للمصابين برهاب الماء المُدرَّبين. رفع أكثرهما استيعابًا يده، وبدأ في نطق الكلمات الأولى لتعويذة.

صدر صوت حاد وقصير بجانب رينسويند. لقد بصق توفلاور، فصرخ المصاب برهاب الماء وأنزل يده كأنَّه تعرَّض للسع.

لم يكن لدى الآخر وقت للتحرك قبل أن ينقضَّ عليه رينسويند، وتتابعت قبضاته عليه بشكل جنوني. ثم تسببت لكمة واحدة قوية، بدافع الرعب، في تدحرج الرجل فوق حافة الشُّرفة ثم سقوطه في البِركة، التي أصابها شيءٌ غريبٌ جدًّا: انزاحت مياه البِركة جانبًا كأنَّ بالونًا ضخمًا خفيًّا قد سقط فيها، وتعلق الشخص المُصاب برهاب الماء في مجال نفوره الخاص وهو يصرخ.

شاهد توفلاور ذلك بدهشة إلى أن أمسك رينسويند بكتفه، وأشار إلى ممر يبدو مناسبًا. هُرِعَا تجاهه، تاركين المُصاب برهاب الماء المُتبقِّي يتلوى على الأرض قابضًا على يده المبللة.

سمعا بعض الصراخ خلفهما بعضَ الوقت، لكنهما اندفعا خلال ممر عبور، وفناء آخر وسرعان ما تركا أصوات المطاردة خلفهم. اختار رينسويند أخيرًا بابًا يبدو آمنًا، ألقى نظرة حوله فوجد الغرفة الموجودة خلفه خالية، فسحب توفلاور إلى الداخل، وأغلق الباب خلفه بعنف. ثم اتكأ عليه، ليلهث بقوة ويقول: «لقد تهنا تمامًا في قصر على جزيرة لا أمل لدينا في مغادرتها، وإضافة إلى ذلك... مهلًا!». لينهي كلامه عندما استوعب ما يراه في الغرفة من خلال أعصابه البصرية المشتتة.

كان توفلاور يحدق فعلًا إلى الجدران. لأن ما كان غريبًا في الغرفة هو أنها احتوت على الكون كله.

جلس الموت في حديقته، يشحذ نصل منجله بحجر الشحذ. كان منجله حادًّا فعلًا لدرجة أن أي نسيم عابر يتقاطع معه، ينقسم بسلاسة إلى زفيرين حائرين، رغم أن النسائم كانت نادرة حقًّا في حديقة الموت الصامتة. تقع الحديقة على هَضَبة محمية تطلُّ على أبعاد عالم القرص المعقدة، وخلفها ترتفع جبال الأبدية الباردة الراسخة الشاهقة بشموخ.

سويش! كان ذلك صوت حجر الشحذ، بينما همهم الموت بلحن جنائزي، وضرب بقدمه العظمية البلاطَ المتجمد.

اقترب شخص ما خلال البستان الباهت حيث تنمو تفاحات الليل، ثم فاحت الرائحة شديدة الحلاوة للزنابق المسحوقة. نظر الموت بغضب، ووجد نفسه يُحدِّق إلى أعين سوداء كجوف قطة وملأى بالنجوم البعيدة التي ليس لها نظير بين الأبراج المألوفة في الكون الفعلي.

تبادل الموت والقدر النظرات. ابتسم الموت، ولم يكن لديه بديل لذلك طبعًا، كونه مصنوعًا من العظام القاسية. استمر حجر الشحذ في الغناء بإيقاع على نصل المنجل فيما واصل الموت مهمته.

قال القدر: «لديَّ مهمة لك»، فانجرفتْ كلماته خلال منجل الموت وانقسمت بترتيب إلى شريطيْ حروف ساكنة ومتحركة.

قال الموت بصوت ثقيل كالنيوترونيوم: «لديَّ مهام كافية لهذا اليوم. ما زال الطاعون الأبيض قائمًا حتى الآن في سودوبوليس، وأنا ملزم بذلك المكان لإنقاذ العديد من سكانها من قبضته. لم يُرَ مثل هذا الطاعون منذ مئة عام. من المتوقع أن أجوب الشوارع، كما ينص عليَّ واجبي».

قال القدر بهدوء: «أقصد مسألة المتجول الصغير والساحر المارق»، ثم جلس بجانب الموت المكسو برداء أسود، ونظر إلى الجوهرة متعددة الأوجه البعيدة التي كانت عالم القرص كما يُرى من موقع المراقبة خارج الأبعاد هذا.

توقف المنجل عن ترديد أغنيته.

قال القدر: «سيموتان في غضون ساعات قليلة، إنه مقدَّر».

تحرك الموت، وبدأ الحجر يتحرك مرة أخرى.

قال القدر: «ظننتُ أنك ستكون سعيدًا».

هزَّ الموت كتفيه، وهي حركة تعبيرية بشكل خاص بالنسبة إلى شخص هيئته المرئية هيكل عظمي، وقال: «لقد طاردتهما بقوة في الماضي، لكني أدركتُ في النهاية أن كل الناس لا بدَّ أن يموتوا عاجلًا أم آجلًا. كل شيء يموت في النهاية. يُمكِن خداعي لكنْ لا يُمكِن إنكاري. فلمَاذا القلق؟».

صاح القدر: «أنا أيضًا لا يمكن خداعي».

قال الموت، وما زال يبتسم: «لقد سمعتُ ذلك».

صرخ القدر قافزًا على قدميه: «كفى! سيموتان!». واختفى في شعلة من النار الزرقاء.

أومأ الموت لنفسه وواصل عمله. بعد بضع دقائق بدا أن النصل قد انتهى شحذه بشكل يرضيه. فوقف ووجَّه المنجل نحو الشمعة السميكة المزعجة التي تحترق على حافة المنضدة، ثم بتلويحتين بارعتين، قطع لهب الشمعة إلى ثلاث شرائح ملتهبة، فابتسم الموت راضيًا.

بعد مدة قصيرة، وضع الموت سرجًا على حصانه الأبيض، الذي كان يعيش في إصطبل خلف كوخ الموت. انحنى الحصان نحوه بطريقة ودية؛ رغم أن عينيه كانتا قرمزيتين وكان له جناحان يشبهان الحرير المدهون، فإنه كان حصانًا حقيقيًّا من لحم ودم، وفي الواقع، كان على الأرجح يُعامَل بشكل أفضل من معظم الحيوانات على القرص. لم يكن الموت سيدًا قاسيًا. كان وزنه قليلًا جدًّا، ورغم أنه يعود كثيرًا بحقائب سرجه ممتلئة، فإنها كانت لا تزن شيئًا على الإطلاق.

قال توفلاور: «كل تلك العوالم! إنه أمر رائع!».

تذمَّر رينسويند واستمر في التجوُّل بحذر في أنحاء الغرفة الملآنة بالنجوم. توجه توفلاور إلى جهاز أسطرلاب معقَّدٍ، وُضِعَ في وسط النظام الكامل للسلحفاة العظيمة آتوين والفيلة والقرص مصنوعٍ من النُّحاس الأصفر ومُزيَّنٍ بجواهر صغيرة. فيما دارت حوله النجوم والكواكب على أسلاك فضية رقيقة.

قال توفلاور مرة أخرى: «رائع!». رُسِمَتْ كوكبات النجوم المصنوعة من اللؤلؤ الفسفوري الصغير على جدران الغرفة المغطاة بأنسجة سوداء ضخمة، وهذا ما أعطى الموجودين بالغرفة انطباعًا بأنهم يطفون في الفضاء بين النجوم. وُضِعَتْ على منصات الرسم الكبيرة رسوم لآتوين العظيم كما يُرى من أجزاء مختلفة من السياج المحيط، بأدق التفاصيل لكل قشرة وندبة عظيمة. تطلَّع توفلاور حوله بنظرة ساهمة.

أما رينسويند فكان مُضطَرِبًا بشدة. ما أقلقه أكثر من كل شيء هو البذلتان اللتان كانتا مُعلَّقتين على دُعامات في وسط الغرفة، فتجول حولهما في قلق.

بدتِ البذلات كأنها مصنوعة من جلد أبيض فاخر، مزودةً بأشرطة وثقوب نُحاسية وأشياء أخرى مريبة وغير مألوفة. انتهتِ السراويل بأحذية عالية ذات نعل سميك، والأذرع محشوة في قفازات كبيرة مرنة. أما الأغرب من كل شيء هو الخوذات النُّحاسية الكبيرة التي اتضح أنه من المفترض بها أن تتلاءم مع أطواق ثقيلة حول العنق. كانت الخوذات معدومة الفائدة تقريبًا كوسيلة حماية، فأي سيف خفيف لن يجد صعوبة في شطرها، حتى لو لم يصطدم بالنوافذ الزجاجية الصغيرة في مقدماتها. كان لكل خوذة قمة من الريش الأبيض في الأعلى، والتي لم تُسهِم بأي شكل في تحسين مظهرها العام.

راودتِ الشكوك ذهن رينسويند حول تلك البذلات.

فأمامه كانت هناك منضدة مُغطاة بالخرائط الفلكية وقصاصات من الرَّق مملوءة بالأشكال. قرر رينسويند أن من سيرتدي تلك البذلات كان متوقعًا له الذَّهَاب بشجاعة إلى مكان لم يذهب إليه أحد من قبل -باستثناء البحار المحظوظ أحيانًا، الذي لم يُحتسب- ولم تعد تراوده الشكوك فقط، بل هواجس مروعة.

استدارِ ووجد توفلاور ينظر إليه مُتأملًا.

قال رينسويند متعجلًا: «لا»، لكنْ تجاهله توفلاور وقال: «قالت الإلهة إن رجلين سيُرسلان إلى الحافة». ثم تألقت عيناه وأكمل: «أتذكُر قول تيثيس الترول أنك ستحتاج إلى حماية ما؟ لقد تغلَّب الكروليون على ذلك. هذه هي بذلات الدروع الفضائية».

قال رينسويند بسرعة: «إنها لا تبدو واسعة جدًّا بالنسبة إليَّ». ثم أمسك توفلاور من ذراعه وقال: «لذا تعالَ معي الآن، لا يوجد سبب للبقاء هنا...».

قال توفلاور بطفولية: «لماذا عليكَ دائمًا أن تهلع؟».

- لأن كل مستقبلي مرَّ أمام عيني في لحظة، ولم يستغرقْ وقتًا طويلًا، وإذا لم تتحرك الآن سأتركك، لأنك في أي لحظة الآن ستقترح أن نرتدي...

انفتح الباب، ودخل شابان قويان إلى الغرفة. كل ما كانا يرتديانه هو سروال صوفي لكل منهما. كان أحدهما لا يزال يجفف نفسه بنشاط. أومأ كلاهما برأسه للهاربيْن دون أن تبدو عليهما المفاجأة.

جلس الرجل الأطول من بين الاثنين على أحد المقاعد أمام الآرائك، ثم أشار إلى رينسويند وقال:

«? Tyø yur åtl hø sooten gåtrunen?»

كان هذا محرجًا، لأنه بالرغم من اعتبار رينسويند نفسه خبيرًا في معظم لغات مناطق محور القرص، لكنها أول مرة يُخاطَب فيها باللغة الكرولية، ولم يفهم كلمة واحدة منها. لم يفهم توفلاور أيضًا، لكنْ لم يمنعه ذلك من التقدم والاستعداد للكلام.

كانت سرعة الضوء خلال الهالة السحرية المُحيطة بالقرص بطيئة جدًّا، تقارب سرعة الصوت في الأكوان الأقل ترددًا. لكنها كانت لا تزال الأسرع، باستثناء، في لحظات مثل هذه، سرعة الأفكار داخل عقل رينسويند.

في لحظة واحدة، أدرك أن توفلاور على وشك محاولة استخدام لغته الخاصة الفريدة، وهذا ما يعني أنه سيتحدث بلغته الأم بصوت عالٍ وببطء.

ارتدَّ مرفق رينسويند إلى الخلف، فجعل أنفاس توفلاور تتقطع. وعندما نظر الرجل الصغير إليه بألم ودهشة، أمسك رينسويند بعينيه وسحب لسانًا خياليًّا من فمه وقطعه بمقص وهمي.

نظر رائد السلاحف الثاني -هذه كانت مهنة الرجال الذين كان مصيرهم لاحقًا هو خوض رحلة إلى آتوين العظيم- من وراء المنضدة الملآنة بالخرائط، فشاهد ما يحدث بحيرة، ثم تجعَّدتْ جبهته البطولي الكبير بجهد الكلام قائلًا:

«؟ Hør yu latruin nør u»

ابتسم رينسويند وأومأ برأسه، ثم دفع توفلاور تجاهه. وبراحة داخلية، رأى توفلاور يلتفت فجأة إلى تلسكوب نُحاسي كبير موضوع على المنضدة.

أمر رائد السلاحف الجالس: «! Sooten u». فأومأ رينسويند وابتسم والتقط إحدى الخوذات النُّحاسية الكبيرة من الرف، وضرب بها رأس الرجل بكل ما أوتي من قوة، فسقط الرجل إلى الأمام بزمجرة خافتة.

خطا الرجل الآخر خطوة متفاجئة، قبل أن يضربه توفلاور بتليسكوب كالهواة لكنْ بنتيجة جيدة، فانهار الآخر على زميله.

نظر رينسويند وتوفلاور إلى بعضهما خلال تلك الفوضى.

انفجر رينسويند، مُدركًا أنه خسر تحديًا ما دون أن يكون متأكدًا تمامًا ما هو: «حسنًا! لا تُكلِّف نفسك عناء قولها. هناك شخص ما بالخارج يتوقع أن يخرج هذان الرجلان مُرتديين البدلات بعد قليل.

أفترض أنهما اعتقدا أننا عبدان. ساعدني في إخفائهما خلف الستائر، ثم، ثم...».

قال توفلاور، ملتقطًا الخوذة الثانية: «...يجب أن نرتدي البدلات».

قال رينسويند: «نعم، أتعرف، حالما رأيتُ البدلات عرفتُ أنه ستنتهي بي الحال مرتديًا إحداها. لا تسألني كيف عرفت... أفترض أن السبب هو أنه كان أسوأ شيء يُمكِن أن يحدث».

قال توفلاور بصوت مكتوم بعد أن سحب الجزء العلوي من البدلة فوق رأسه: «حسنًا، قلت بنفسك إنه لا توجد لدينا طريقة للهروب، أي شيء أفضل من أن نكون ضحية».

قال رينسويند: «حالما نحصل على فرصة سنهرب، إياك أن تخطر على بالك أي أفكار».

دفع ذراعه بقسوة في بدلته وضرب رأسه بالخوذة، إذ لاحظ أن هناك شخصًا ما في الأعلى يراقبه، فقال بمرارة: «شكرًا جزيلًا».

على حافة مدينة ودولة كرول تمامًا، يقع مُدرَّج نصف دائري كبير يتسع لعشرات الآلاف من الناس. اتخذ المُدرَّج هيئته نصف الدائرية لسبب أنيق جدًا، وهو أنه يطلُّ على بحر السحب المتصاعدة من شلال الحافة البعيد في الأسفل، والآن اكتظَّت كل مقاعد المُدرَّج بحشود الجالسين، الذين بدأوا يشعرون بالضيق. لقد أتوا لمشاهدة تضحية مزدوجة، وكذلك إطلاق سفينة الفضاء البرونزية العظيمة، ولم يتحقق أيٌّ من الحدثين بعد.

وجَّه كبير الفلكيين نداءً لرئيس مراقبي الإطلاق، وقال: «حسنًا؟». لتمتلئ كلمته ذات الحروف الأربعة فقط بكامل قاموس الغضب

والتهديد، فشحب وجه رئيس مراقبي الإطلاق، وقال: «لا أخبار يا سيدي»، ثم أضاف ببهجة هشة: «باستثناء أن سيادتك ستسعد بمعرفة أن جارهارترا قد تعافى».

قال كبير الفلكيين: «سيندم على ذلك».

- أجل يا سيدي.

- كم من الوقت لدينا؟

نظر رئيس مراقبي الإطلاق إلى الشمس التي تُشرِق بسرعة، ثم قال: «ثلاثون دقيقة، سيادتك. بعد ذلك ستدور كرول بعيدًا عن ذيل السلحفاة العظيمة آتوين، وسيُحكَم على سفينة «المسافر الجبار» بالدوران بعيدًا في الخليج النجميِّ. لقد ضبطتُ فعلًا وسائل التحكم الآلية، لذا...».

قال كبير الفلكيين، مشيرًا له بالابتعاد: «حسنًا، حسنًا. يجب أن تتم عملية الإطلاق. استمرَّ في مراقبة الميناء، طبعًا. وعندما تقبضون على هذين البائسيْن، سأستمتع شخصيًّا بتنفيذ حكم الإعدام عليهما».

- نعم يا سيدي. آآآ..

قطَّب رئيس الفلكيين حاجبيه قائلًا: «ماذا لديك لتقوله أيضًا أيها الرجل؟».

ابتلع رئيس مراقبي الإطلاق ريقه. كان كل هذا غير عادل بالنسبة إليه، فهو ساحر حقيقي وليس دبلوماسيًّا، ولهذا السبب رأتْ بعض العقول الأكثر حكمة أن يكون هو من ينقل الأخبار.

قال: «خرج وحش من البحر، ويهاجم السفن في الميناء. وصل عدَّاء للتو من هناك يحمل ذلك الخبر».

قال كبير الفلكيين: «وحش كبير؟».

- ليس بشكل خاص، رغم أنه يُقال إنه شرس بشكل استثنائي يا سيدي.

فكَّر حاكم كرول والسياج المُحيط في هذا للحظة، ثم هزَّ كتفيه وقال: «البحر مملوء بالوحوش. إنها إحدى خصائصه الأساسية. تعاملوا مع الوحش. وهناك شيء آخر يا رئيس مراقبي الإطلاق».

- أجل يا سيدي؟

- إذا زاد انزعاجي، تذكَّر أن هناك شخصين يجب أن يُضحى بهما. قد أشعر بالسخاء وأزيد العدد.

- أجل يا سيدي.

ثم تراجع رئيس مراقبي الإطلاق مبتعدًا، مرتاحًا لخروجه من نطاق رؤية الطاغية.

استقرَّت سفينة «المسافر الجبار» في مهدها على قمة برج خشبي في مركز ساحة المدرج، ولم تعد مجرد قشرة برونزية فارغة انخلعتْ من القالب قبل أيام قليلة. امتدتْ أمامها سكة حديدية نحو الحافة لعدة أمتار، ثم مالت فجأة إلى الأعلى.

المهندس الراحل داكتيلوس ذهبيُّ العينين، الذي صمَّم منصة الإطلاق وكذلك سفينة «المسافر الجبار» نفسها، كان قد ادعى أن هذه اللمسة الأخيرة كانت لضمان أن السفينة لن تعلق بأي صخور في أثناء بداية انحدارها الطويل. وربما كان من قبيل المصادفة فقط أنها، بسبب تلك الالتفافة الصغيرة في المسار، ستقفز مثل سمكة السلمون وتلمع بشكل مسرحي في ضوء الشمس قبل أن تختفي في بحر السحب.

علتْ أصوات نفير الأبواق عند حافة المدرج. وظهر حرس شرف رواد السلاحف، وسط هتافات عالية من الجمهور. ثم خرج الرواد ببدلاتهم البيضاء إلى النور.

أدرك كبير الفلكيين على الفور أن هناك شيئًا غير صحيح. فمثلًا، دائمًا يسير الأبطال بطريقة معيَّنة، فلا يترنحون بالتأكيد، ولكنَّ أحد الرواد كان بالتأكيد يترنح.

هدير جمهور كرول المحتشد يصمُّ الآذان. كان كبير الفلكيين متجهمًا، بينما عبر رواد السلاحف وحرسهم ساحة المدرج الكبير، مرورًا بين العديد من المذابح التي أقيمت للعديد من سحرة وكهنة طوائف كرول المختلفة لضمان نجاح الإطلاق. بحلول الوقت الذي وصلت فيه المجموعة إلى منتصف الطريق خلال الساحة، توصَّل عقل كبير الفلكيين إلى استنتاج نهائي. وبحلول الوقت الذي وقف فيه الرواد عند بداية السلم المؤدِّي إلى السفينة –وهل كان هناك أكثر من إشارة للتردد لديهم؟– كان كبير الفلكيين واقفًا على قدميه، فيما ضاعت كلماته وسط ضجيج الجمهور. أشاح بإحدى ذراعيه إلى الأمام ثم أعادها إلى الخلف، وامتدتْ أصابعه بدراماتيكية في وضعية إلقاء التعويذات التقليدية، وأي قارئ شفاه متمرس في النصوص القياسية عن السحر كان سيعرف الكلمات الافتتاحية لتعويذة فيستكيك العائمة، وحينها سيهرب بحكمة.

مع ذلك، لم تُقَل آخِر كلمات تعويذته، إذ استدار كبير الفلكيين بدهشة عندما اندلع شغب حول المدخل الكبير المقوس للمدرج. ركض الحراس في ضوء النهار، وقد ألقوْا بأسلحتهم في أثناء ركضهم بين المذابح أو قفزهم فوق الحاجز الفاصل نحو المقاعد.

ظهر شيء ما مِن خلفهم، فتوقف الجمهور حول المدخل عن هتافاته الصاخبة وبدأ بالتحرك بصمت وتصميم للابتعاد عن الطريق.

كان ذلك الشيء قبةً منخفضةً من الأعشاب البحرية، تتحرك ببطء لكنْ مع إحساس خبيث بالوصول إلى هدفها. تغلَّب أحد الحراس على رعبه بما يكفي للوقوف في طريقها، ورمى رمحه الذي هبط مباشرة بين الأعشاب. هتف الجمهور، ثم صمتوا كصمت الموتى عندما اندفعتِ القبة إلى الأمام وابتلعت الرجل بالكامل.

صرف كبير الفلكيين الشكلَ غير المكتمل لتعويذة فيستكيك الشهيرة بتلويحة حادة من يده، وردَّد بسرعة كلمات إحدى أقوى التعاويذ في ترسانته: لغز الاحتراق الجهنمي.

تصاعدت نيران الأوكتارين حول أصابعه وبينها، وهو يُشكِّل الرمز الروني المعقد للتعويذة في الهواء ويلقي بها، فتصرخ ساحبةً خلفها دخانًا أزرق نحو الكائن.

اندلع انفجار مباشر، وخرج منه عمود من اللهب إلى سماء الصباح الصافية، ناثرًا قطعًا من الأعشاب البحرية المحترقة في الهواء. اختفى الوحش في سحابة من الدخان والبخار لبضع دقائق، وعندما تلاشتْ، كانت القبة قد اختفتْ تمامًا.

انطبعتْ دائرة محترقة كبيرة على الأرض الحجرية، ومع ذلك، وُجِدَتْ بعض الكتل من الأعشاب البحرية والأشلاء التي لا تزال يتصاعد منها الدخان.

وفي مركز الدائرة، كان هناك صندوق خشبي عادي تمامًا، إذا استثنينا حجمه الكبير بعض الشيء. لم يكن محترقًا حتى. فبدأ شخص ما في الجانب البعيد من المدرج بالضحك، لكنِ انقطع صوتُ ضحكه فجأة عندما نهض الصندوق على عشرات مما يمكن اعتباره أرجلًا فقط، واستدار لمواجهة كبير الفلكيين. ذلك الصندوق الخشبي العادي تمامًا، إذا استثنينا حجمه الكبير بعض الشيء، لم يملك وجهًا ليواجه به كبير

الفلكيين، ولكنه كان مواجهًا له بوضوح. بالطريقة نفسها التي فهم بها كبير الفلكيين ذلك، أدرك أيضًا بشكل مروع أن هذا الصندوق العادي تمامًا، كان بطريقة غير قابلة للوصف يُضيِّق عينيه.

ثم بدأ يتحرك بعزم نحو كبير الفلكيين الذي ارتعد وصاح: «السحرة! أين سحرتي؟».

نظر رجال شاحبون من خلف المذابح وتحت المقاعد بأنحاء المدرج، فرفع أحد الجريئين منهم ذراعه بتردد، وهو يرى تعبيرات وجه كبير الفلكيين، وأطلق صاعقة سريعة. انطلقت الصاعقة نحو الصندوق وأصابته مباشرة بدفق من الشرارات البيضاء.

كانت هذه هي الإشارة لكل ساحر، ومشعوذ وصاحب معجزات في كرول للاشتراك بحماس، تحت أعين سيدهم المرتعبة، وإطلاق أول تعويذة تخطر على بالهم، فتجوَّلت التعاويذ وانطلقت في الهواء.

سرعان ما اختفى الصندوق عن الأنظار مرة أخرى في سحابة متزايدة من الجزيئات السحرية، انتشرت ولفَّت الصندوق في أشكال مُلتوية مُزعجة. صرختِ التعاويذ واحدة تلو الأخرى في المعمعة، فاندلع اللهيب والصواعق بكل الألوان الثمانية قادمًا من الشيء المتحرك الذي احتل الآن الموضع الذي كان فيه الصندوق.

منذ حروب السحرة، لم تجتمعْ هذه الكمية الهائلة من السحر في مِنْطَقة صغيرة. ارتجف الهواء نفسه وتلألأ، فيما ارتدتِ التعاويذ عن بعضها، لتتكون تعاويذ جامحة قصيرة الأجل، اتصفت بالغرابة والتمرُّد. بدأت الأحجار تحت الكتلة الهائلة تتقوس وتنشق، ثم تحوَّل حجر منها إلى شيء من الأفضل تركه بلا وصف، وانسحب نحو بُعد كئيب. بدأت تأثيرات جانبية غريبة أخرى بالظهور، فارتدَّ وابل من المكعبات الرصاصية الصغيرة من العاصفة لتتدحرج خلال الأرض المهتزة،

وصاحت أشكال غريبة وأشارت بطرق بذيئة؛ ثم ظهرت مثلثات بأربعة أضلاع ودوائر بنهايتين لحظاتٍ، قبل أن تندمج مرة أخرى في برج السحر الخام الجامح الهادر الصارخ، الذي انبثق بغليان من قلب الأحجار المنصهرة، وانتشر فوق كرول. لم يعد مُهمًّا أن معظم السحرة قد توقفوا عن إلقاء التعويذات وهربوا، إذ تغذَّى ذلك الشيء على تدفق جزيئات الأوكتارين التي كانت دائمًا في أقصى كثافتها قرب حافة القرص. وفي جميع أنحاء جزيرة كرول، أخفقت كل الأنشطة السحرية بينما امتصَّت السحابة كل الطاقة المُتاحة في المِنْطَقة، من موضعها على ارتفاع ربع ميل، وامتدَّت إلى أشكال تُحيِّر العقل؛ وقع المصابون بالهيدروفوبيا من على عدساتهم المتزلجة في أمواج البحر فتعالى صراخهم، وتحوَّلَت الجرعات السحرية إلى مجرد ماء غير نقي في قواريرها، فيما ذابت السيوف السحرية وسالت من أغمادها.

لكنْ لم يمنع أي من هذا الشيء الموجود في قلب السحابة، الذي لمع الآن ببريق كالمرآة في شدة عاصفة القوة حوله، من التحرك بخطى ثابتة نحو كبير الفلكيين.

راقب رينسويند وتوفلاور بدهشة من مأوى برج إطلاق مَرْكَبة «المسافر الجبار». اختفتْ فرقة الشرف منذ مدة طويلة، تاركةً وراءها أسلحتها متناثرة.

تنهَّد توفلاور أخيرًا: «حسنًا، ها قد رحل الصندوق». ثم تنهد مُجددًا.

قال رينسويند: «لا تُصدِّق ذلك، فخشب الكمثرى الحكيم مُحصَّن تمامًا ضد جميع أنواع السحر المعروفة. لقد صُمِّمَ ليتبعك أينما ذهبتَ. أعني، عندما تموت، إذا ذهبتَ إلى الجنة، على الأقل سيكون لديك جوربان

في الحياة الآخرة. لكنني لا أريد أن أموت بعد، لذا دعنا نذهب فقط، أليس كذلك؟».

قال توفلاور: «إلى أين؟».

أخذ رينسويند قوسًا ومجموعة من الأسهم، ثم قال: «إلى أي مكان ليس هنا».

- وماذا عن الصندوق؟

- لا تقلق. عندما تستهلك العاصفة كل السحر المجاني في المِنْطَقة، ستنطفئ ببساطة.

في الواقع، بدأ ذلك يحدث فعلًا. استمرتِ السحابة المتدفقة بالتصاعُد من الساحة، لكنها بدتِ الآن واهية وغير ضارة. وحتى بينما كان توفلاور يُحدِّق، بدأت تتلاشى بشكل غير مؤكد.

سرعان ما أصبحتْ شبحًا باهتًا. ليظهر الصندوق الآن كشكلٍ جالس القرفصاء بين اللهب شبه الخفي. بدأت الحجارة التي بردت بسرعة من حوله بالتشقُّق والتقوُّس.

نادى توفلاور برفق على صندوق أمتعته، فتوقف عن تقدمه الثابت خلال الأحجار المعذبة وظهر كأنه يستمع بانتباه؛ ثم حرَّك أقدامه المتعددة بنمط معقد، واستدار واتجه نحو مَرْكَبة المسافر الجبار، فراقبه رينسويند بمرارة. اتسم الصندوق بطبيعة عناصرية، بلا عقل على الإطلاق، وموقف عدواني تجاه أي شيء يهدد سيده، ولم يكن رينسويند متأكدًا تمامًا من أن داخله يشغل نفس إطار الزمان والمكان الذي يشغله خارجه.

قال توفلاور بمرح عندما استقر الصندوق أمامه: «لا يوجد أي خدش عليه»، ثم فتح الغطاء.

تذمَّر رينسويند قائلًا: «هذا وقت جيد لتغيير ملابسك الداخلية. في غضون دقيقة، سيعود جميع هؤلاء الحراس والكهنة، وسيكونون غاضبين يا رجل!».

تمتم توفلاور: «الماء. الصندوق كله مملوء بالماء!».

نظر رينسويند فوق كتفيْ توفلاور. لا يوجد أي أثر للملابس، أو أكياس المال، أو أي من مُتعلَّقات السائح الأخرى. كان الصندوق كله مليئًا بالماء.

قفزتْ موجة من العدم وارتطمت بحافة الصندوق، ثم وصلت إلى الحجارة، لكنْ بدلًا من الانتشار، بدأت تتخذ شكل قدم. تبعتها قدم أخرى والنصف السفلي لرِجلين حيث سال المزيد من الماء، وكأنه يملأ قالبًا خفيًّا. بعد لحظة، وجدا تيثيس، ترول البحر، واقفًا أمامهما يرمش بعينيه، ويقول أخيرًا: «إذن. أنتما الاثنان. أظن أنه لا داعي للدهشة».

ثم نظر حوله، متجاهلًا تعبيراتهما المذهولة، وأكمل: «كنت جالسًا خارج كوخي، أراقب غروب الشمس، عندما اندفع ذلك الشيء من الماء وابتلعني. ظننتُ أن ذلك غريب نوعًا ما. أين أنا الآن؟».

قال رينسويند: «كرول»، ثم نظر بقوة إلى الصندوق الذي صار مُغلقًا الآن، والذي نجح في رسم تعبير مغرور على سطحه. ابتلاع الناس كان شيئًا يفعله كثيرًا، لكنْ دائمًا بعد انفتاح الغطاء في المرة التالية، لا يظهر شيء سوى ملابس توفلاور بعد غسلها. ففتح الغطاء بعنف، ولم يكن هناك شيء سوى غسيل توفلاور. كان جافًّا تمامًا.

قال تيثيس: «حسنًا، حسنًا». ثم نظر إلى الأعلى، وقال: «مهلًا! أليست هذه هي السفينة التي سيطلقونها فوق الحافة؟ أليس كذلك؟ لا بدَّ أنها هي!».

طار سهم خلال صدره، تاركًا تموجًا خفيفًا. لم يبدو أنه لاحظ، ولكن رينسويند لاحظ ذلك. بدأ الجنود بالظهور على أطراف الساحة، ونظر عدد منهم خلال المداخل.

ارتدَّ سهم أخرى عن البرج خلف توفلاور. لم تتمتع السهام بقوة كبيرة من هذه المسافة، ولكنها مسألة وقت فقط...

قال توفلاور: «بسرعة! إلى السفينة! لن يجرؤوا على إطلاق النار عليها!».

تذمَّر رينسويند: «كنت أعرف أنك ستقترح ذلك. كنت أعرف ذلك!».

ثم وجَّه ركلة نحو الصندوق، فتراجع بضع بوصات، وفتح غطاءه بتهديد.

طار رمح في السماء ثم توقف بارتجاجة في سور خشبي بجانب أذن الساحر، فصرخ لوهلة ثم تسلق السلم بسرعة بعد الآخرين.

صفَّرتِ السهام من حولهم في أثناء خروجهم إلى الممر الضيق الذي امتدَّ على طول العمود الفقري لسفينة «المُسافر الجبَّار». قاد توفلاور الطريق مهرولًا بحماس مكبوت اعتبره رينسويند زائدًا عن الحد.

على قمة السفينة كانت هناك فتحة برونزية كبيرة مستديرة مع خطاطيف حولها، فانحنى الترول والسائح وبدآ في العمل على الخطاطيف.

في قلب «المُسافر الجبَّار»، تسرَّبت الرمال الناعمة عدةَ ساعاتٍ إلى كوب مُصمم بعناية. امتلأ الكوب الآن بالكمية الصحيحة تمامًا لينخفض ويرتطم بوزن متوازن بعناية. تأرجح الوزن بعيدًا، ساحبًا دبوسًا من آلية صغيرة معقدة. بدأت سلسلة في التحرك. ثم أتى صوت ارتطام...

قال رينسويند بشوق ناظرًا إلى الأسفل: «ما كان ذلك؟».

توقف وابل الأسهم، ووقف حشد الكهنة والجنود بلا حَراك، يُحدِّقون بانتباه نحو السفينة. شقَّ رجل قَلِق قصير القامة طريقه خلالهم، وبدأ يصرخ بشيء ما.

قال توفلاور: «ما كان ماذا؟». في أثناء انشغاله بصمولة جناح.

قال رينسويند: «ظننتُ أني سمعت شيئًا. انظر، سنهدد بإتلاف هذا الشيء إذا لم يطلقوا سراحنا، صحيح؟ هذا كل ما سنفعله، صحيح؟».

قال توفلاور بغموض: «أجل»، ثم جلس على عقبيه وقال: «انتهى الأمر. ينبغي أن تنطلق الآن».

تسلَّق عدة رجال بعضلات بارزة السلم إلى السفينة، تعرَّف رينسويند روادَ السلاحف الحقيقيين بينهم. كانوا يحملون سيوفًا، فقال: «أنا...».

تمايلت السفينة. ثم، ببطء لا نهائي، بدأت تتحرك على طول القضبان.

في لحظة الرعب الأسود تلك، رأى رينسويند أن توفلاور والترول قد نجحا في فتح الفتحة، وأن سلمًا معدنيًّا بداخلها يؤدي إلى المقصورة أدناه، وأن الترول قد اختفى، فهمس رينسويند: «علينا الخروج».

نظر إليه توفلاور بابتسامة غريبة مجنونة على وجهه، وقال: «النجوم. العوالم. السماء اللعينة الملآنة بالعوالم. أماكن لن يراها أحد أبدًا. إلا أنا». ثم دخل من خلال الفتحة.

قال رينسويند بصوت مبحوح، محاولًا الحفاظ على توازنه فيما بدأت السفينة في التسارع: «أنت مجنون تمامًا»، ثم استدار عندما حاول أحد الرواد أن يقفز خلال المسافة بين السفينة والبرج، وهبط على الجانب المنحني للسفينة، فحاول اللحاق بسطح السفينة لحظةً، لكنه أخفق في العثور على أي شيء ليُمسِك به، فسقط صارخًا.

انطلقتِ السفينة بسرعة الآن. واستطاع رينسويند أن يرى من وراء رأس توفلاور بحرَ السحاب المضاء بنور الشمس، وقوس الحافة المستحيل يطفو بشكل مُغرٍ خلفه، ليقود المُغفَّلين إلى المغامرة بعيدًا جدًّا...

كما رأى مجموعة من الرجال يتسلقون بيأس فوق المنحدرات السفلية لمنصة الإطلاق ويتعاملون مع قطعة خشبية كبيرة على المسار، في محاولة يائسة لإخراج السفينة عن مسارها قبل أن تختفي فوق الحافة. اصطدمتِ العجلات بقطعة الخشب، لكنها لم تتأثر إلا بتأرجح بسيط، وتخلِّي توفلاور لإمساكه بالسلم ثم سقوطه في المقصورة، وانغلاق الفتحة بصوت رهيب من عدة مزاليج صغيرة تلتحم بمواضعها، اندفع رينسويند إلى الأمام وحاول فتحها، وهو يئن.

صار بحر السحاب أقرب بكثير الآن. اقتربت الحافة نفسها، المحيط الصخري للساحة، بشكل مذهل.

نهض رينسويند، فهناك شيء واحد فقط يمكن فعله الآن، وهو ما فعله حقًّا. استسلم للذعر بشكل أعمى، فيما ضربت عجلات السفينة الانحناء الصغير في المسار، لتقفز متألقة مثل سمكة السلمون، نحو السماء وفوق الحافة.

بضع ثوانٍ لاحقًا، سُمِعَ دويُّ أقدام صغيرة وظهر صندوق الأمتعة فوق حافة العالم، فيما لا تزال سيقانه تتحرك بعزم، ثم سقط في الكون.

## النهاية

استيقظ رينسويند وهو يرتجف، إذ شعر بالبرد الشديد.

فكَّر داخل عقله قائلًا: هكذا الأمر إذن، عندما تموت تذهب إلى مكان بارد، رطب، ضبابي وبارد جدًّا. هاديس، حيث تجتمع أرواح الموتى الحزانى إلى الأبد خلال المستنقعات الكئيبة، وتتلألأ أضواء الجثث بشكل متقطع في دائرة الـــ...

انتظر دقيقة...

بالتأكيد هاديس ليست بهذا الشكل غير المريح؟ إذ شعر بانزعاج شديد حقًّا. شعر بألم في ظهره حيث ضغط فرع شجرة عليه، وآلمته ساقاه وذراعاه حيث جرحتها الأغصان، فاستنتج مما يشعر به في رأسه أن شيئًا صلبًا قد ضربه مؤخرًا. إذا كانت هذه هي هاديس، فهو بالتأكيد جحيم... انتظر دقيقة...

شجرة. ركَّز على الكلمة التي طفت من عقله، على الرغم من طنين أذنيه والأضواء المتلألئة أمام عينيه، وهذا ما جعل ذلك إنجازًا غير متوقع. شجرة. شيء خشبي. هذا هو. فروع وأغصان وأشياء. ورينسويند، مستلقٍ فيها. شجرة. مبللة بشدة. غيمة بيضاء باردة من كل الجوانب. تحته أيضًا. هذا كان غريبًا.

كان حيًّا ومُستلقيًا مُغطًّى بالكدمات في شجرة ذات أشواك صغيرة تنمو في شق داخل صخرة برزتْ من الجدار الأبيض الرغوي الذي هو شلال الحافة. أصابه إدراك ذلك بقوة كمطرقة ثلجية، فارتعش، وأطلقتِ الشجرة صريرًا تحذيريًّا.

مرَّ شيء أزرق غامض بجانبه، وانخفض مؤقتًا إلى المياه الهادرة، ثم عاد ودار ليستقرَّ على فرع قرب رأس رينسويند. كان طائرًا صغيرًا برأس أزرق وريش أخضر. ابتلع الطائر السمكة الفضية الصغيرة التي انتزعها من الشلال، ونظر إليه بفضول.

أدرك رينسويند أن هناك العديد من الطيور المماثلة حوله.

حلَّقت الطيور الصغيرة، واندفعتْ بسهولة خلال سطح الماء، لتثير إحداها رذاذًا إضافيًّا كل حين وآخر عندما تسرق قطعة غذاء محتومة أخرى من الشلال، بينما وقف عدد منها متربصين على الشجرة. تلوَّنت الطيور كالجواهر، فافتتن رينسويند بهيئتها.

في الواقع، كان أول رجل يرى صيادي أسماك الحافة، تلك المخلوقات الصغيرة التي طوَّرت منذ مدة طويلة نمط حياة فريد، حتى بالنسبة إلى عالم القرص. قديمًا قبل أن يبني سكان كرول السياج المُحيط، كان لدى صيادي الحافة طريقتهم شديدة الفعَّالية لمراقبة حافة العالم لتكسب عيشها.

لم تبدُ الطيور مهتمةً بوجود رينسويند. راودته رؤية سريعة لكنْ مرعبة، لنفسه وهو يعيش بقية حياته في هذه الشجرة، مُعتمِدًا على الطيور النيئة والأسماك التي أمكنه اصطيادها في أثناء سقوطها.

بدأتِ الشجرة تتحرك بوضوح. أطلق رينسويند نواحًا عندما وجد نفسه ينزلق إلى الوراء، لكنه تمكن من الإمساك بفرع. لكنْ، عاجلًا أم آجِلًا، سيغمض عينيه وينام...

حدث تغيير طفيف في المشهد، حيث تناثرت بقع بنفسجية في السماء. وظهر شخص طويل يرتدي رداءً أسود واقفًا في الهواء بجانب الشجرة، ويحمل منجلًا في يده، فيما اختبأ وجهه في ظلال قلنسوة ردائه.

قال الفم الخفي للموت بنبرات ثقيلة مثل نبض قلب الحوت: «لقد جئتُ من أجلِك».

أطلق جذع الشجرة هشيمًا احتجاجيًّا آخر، وانحلَّت إحدى الجذور من الصخرة، فارتدَّت حُصاة على خوذة رينسويند.

دائمًا ما يأتي الموت شخصيًّا لحصاد أرواح السحرة بنفسه.

قال رينسويند: «ماذا سيكون سبب موتي؟».

تردد الموت وقال: «عذرًا؟».

قال رينسويند: «حسنًا، لم أكسرْ شيئًا، ولم أغرقْ، فما الذي سأموت بسببه؟ لا يمكنْ أن يموت المرء قتلًا بيد الموت؛ لا بُدَّ أن يوجد سببٌ». دُهِشَ رينسويند، إذ إنه لم يعد يشعر بالرعب. أول مرة تقريبًا في حياته لم يكن خائفًا. يا للأسف لم يبدُ أن تلك التجربة ستدوم طويلًا.

بدا الموت كأنه توصَّل إلى استنتاج، فقال من أسفل قلنسوته: «يمكنك أن تموت من الرعب». ما زال صوته يحمل نبرة جنائزية، لكنْ به لمحة طفيفة من الشك.

قال رينسويند بغرور: «لن يصلح ذلك».

قال الموت: «لا داعي إلى وجود سبب، يمكنني أن أقتلك فحسب».

- مهلًا، لا يمكنك فعل ذلك! ستكون جريمة قتل!

تنهَّد الموت أسفل غطاء ردائه، وسحب قلنسوته عن رأسه. وبدلًا من جمجمة الموت المبتسمة التي توقَّعها رينسويند، وجد نفسه أمام الوجه الشاحب والشفاف قليلًا لشيطان قَلِق نوعًا ما.

قال بحزن: «لقد أفسدتُ كل شيء، أليس كذلك؟».

صاح رينسويند: «أنت لست الموت! من أنت؟».

- سكروفولا.

- سكروفولا؟

قال الشيطان بحزن: «لم يتمكنِ الموت من المجيء. هناك وباء كبير في سودوبوليس. كان مضطرًّا إلى الذَّهَاب ليجول في الشوارع. لذلك أرسلني».

- لا أحد يموت بيد سكروفولا! لديَّ حقوق. أنا ساحر!

قال سكروفولا: «حسنًا، حسنًا. كان من المفترض أن تكون هذه فرصتي الكبيرة، لكن انظر إلى هذه الطريقة، إذا ضربتكَ بهذا المنجل ستصبح ميتًا تمامًا كأنَّ الموت قد فعلها. من سيعرف ما حدث؟».

صاح رينسويند: «أنا سأعرف!».

قال سكروفولا بمنطقيَّة: «لن تعرف. ستكون ميتًا».

قال رينسويند: «اخرس».

قال الشيطان رافعًا المنجل: «هذا كلام جيد جدًّا. لكنْ لمَ لا تحاول أن ترى الأمور من وجهة نظري؟ سيعني هذا الكثير لي، وعليك أن تعترف أن حياتك ليست بهذا القدر من الروعة. تناسخ الأرواح مجرد تحسُّن فقط... أوه».

طارت يده إلى فمه ولكنَّ رينسويند كان قد أشار بإصبع مرتجفة إليه فعلًا، وصاح بحماس: «تناسخ الأرواح! إذن فما يقوله الصوفيون صحيح!».

قال سكروفولا بانفعال: «لم أعترفْ بشيء. إنها زلة لسان. الآن.. أستموت برضاك أم لا؟».

قال رينسويند: «لا».

ردَّ الشيطان: «كما تشاء». ثم رفع المنجل، فانطلق بصوت صفير باحترافية تامة، لكن لم يكن رينسويند بموضعه. في الواقع، كان عدة أمتار أسفله، بينما تزداد المسافة طوال الوقت، لأن الفرع قد اختار تلك اللحظة لينكسر، ويرسله في رحلته غير المكتملة نحو الخليج النجميِّ.

صرخ الشيطان: «عُد!».

لم يجبْه رينسويند، بل استلقى على بطنه في الهواء الجارف، يُحدِّق إلى السحب التي بدأت بالتناقص الآن، إلى أن اختفت.

وفي الأسفل، تلألأ الكون بأسره أمام رينسويند. رأى آتوين العظيم، ضخمًا وثقيلًا ومملوءًا بالحُفر. وهناك قمر القرص الصغير. رأى توهجًا بعيدًا لا يمكن أن يكون إلا سفينة «المسافر الجبار». وهناك جميع النجوم، تبدو كأنها ألماس مسحوق مُتناثر على مخمل أسود، النجوم التي جذبت ودعتْ إليها في نهاية المطاف من هو أكثر جرأة...

كان الكون بأكمله في انتظار رينسويند ليقع فيه.

فوقع.

لم يبدُ أن هناك بديلًا لذلك.

## النهاية

# تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:
# أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

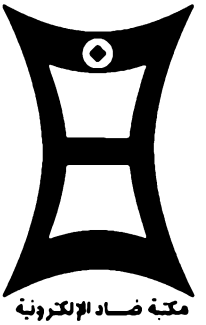

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

عصير
الكتب

# عالم القرص
# DISCWORLD
## — لون السحر —

في البَدءِ، كانت توجد سلحفاة.

في مكان ما، بين حدود الخيال والواقع، يوجد عالم القرص. وهو عالم بزمان ومكان موازيين، قد يبدو مثل عالمنا، لكنه كذلك شديد الاختلاف عنه. خصوصًا أنه يسبح في الفضاء على أكتاف أربعة أفيال محمولين فوق ظهر سلحفاة عملاقة.

ولكن، توجد بعض الأشياء التي تظل كما هي في كل مكان. يواجه عالم القرص أمرًا جديدًا بالنسبة له، فقد أتى إليه أول سائح في العالم، الذي تعتمد سلامة وازدهار الأرض على بقائه. ولسوء الحظ الشخص المكلف بالحفاظ على بقاء السائح في مواجهة اللصوص والمرتزقة، والموت نفسه، هو ساحر غير كفء بشكل مدهش.

إنها رحلة مبهجة، غريبة الأطوار، مليئة بالأحداث المثيرة. رحلة تضم ساحرًا طماعًا ولكنه غير كفء، وسائحًا ساذجًا يمتلك صندوق أمتعة يتحرك على مئات من الأرجل الصغيرة، لنستكشف معهم هذا العالم المليء بالكائنات السحرية، والتنانين التي لا تظهر إلا إذا كنت تؤمن بوجودها، وأعدائهم الطامعين في الحصول على ما بحوزتهما من كنوز.

غلاف: محمود هشام

9 789779 924458

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb